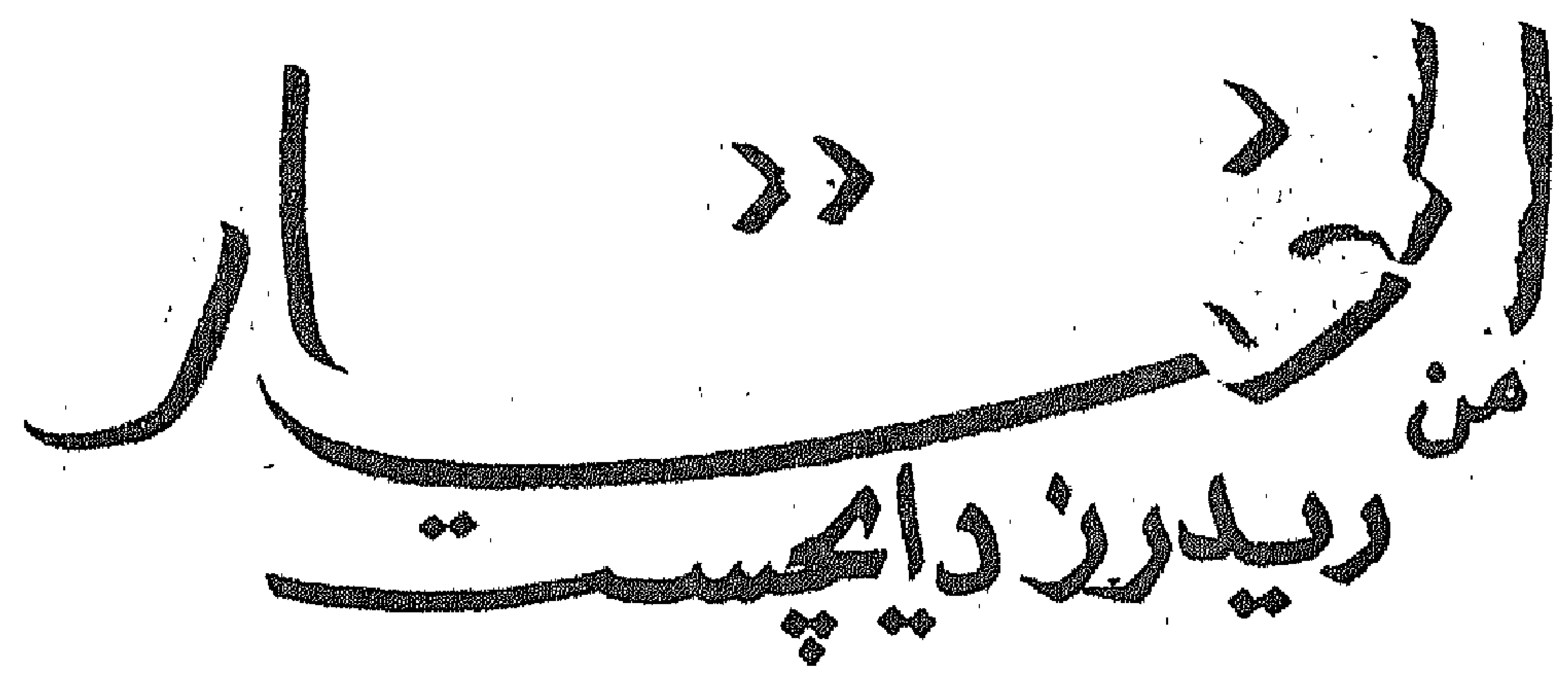


في كل مقالة لذة دائمة

أبريل ١٩٤٦

بعض ما تقرأ في عددنا القادم ، مايو ١٩٤٦

الحرب السرية بين رجال المراقبة والجواسيس : نستطيع الآن أن نروى ما تمّ وراء ستار المراقبة ، من صراع شديد مديد بين الذين تولوا مراقبة الرسائل والبرقيات و بين الجواسيس. وهذه طائفة من الحوادث الرائعة يرويها المؤرخ الرسمى لمكتب المراقبة.

يوم تفجرت جزيرة كراكتوا : حدّث عن انفجار القنابل الذرّية ما شئت ، ولكن الطبيعة لم تزل مصدر أعظم الانفجارات فى الأرض ، ولا يكاد انفجار القنبلة الذرية ، على هوله ، أن يزيد على نفحة خفيفة إذا ماقيس بها . وهذا وصف انفجار مروّع ، سجلت آثاره على ٨٠٠٠ ميل من مكانه .

عالم واحد — شعوب مختلفة : ليس يسعك أن تفض مشكلات الأمم بأن تزيل ما بينها من فروق ، ولا بأن تفرغها جميعاً فى قالب واحد من الآراء والعادات ، ولا بأن تدمج طوائفها فى بضع دول كبيرة .

إذا ما تعبت فكُلْ : هل أنت كثير الشعور بالتعب ؟ أتشعر أنك مرهف مستوفز العصب فى الضحى والأصيل ؟ أتخطىء كثيراً فى عملك ؟ فاعلم — من بحث علمى نافع — أن الراحة لا تنقذك ، وأن فيك جوعاً خفياً ، فالذى تحتاج إليه هو الطعام لا الراحة .

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 32, APRIL 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان باويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : ألفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلى أتشيسون



قد تصبح غداً أنضر شباباً

وليم ل. لورنس

مختصرة من مجلة "ليديز هوم چورنال"

ظل وليم لورنس خمسة عشر عاماً محرراً علمياً لصحيفة نيويورك تيمس، فبسط لعامة الناس كثيراً من عجائب الكيمياء والطبيعة، فمنح جائزة بوليتزر المرموقة . وهو يؤمن بأن الاكتشاف الذى بسطه فى هذا المقال « أجل شأناً عند الناس من القنبلة الذرية » .

طلع على الدنيا من دوائر البحوث الطبية الزاخرة فى روسيا نبأ مصل جديد رائع، أطلقوا عليه اسم « المصل المضاد لتسمم الخلايا الشبكية » .

ومنذ كشف البنسلين فى سنة ١٩٤١، لم تصنع مادة طبية أثارت من الاهتمام ما أثاره هذا المصل . وقد صنعه الأستاذ ألكسندر بوجومولتس، الذى وقف ثلاثين سنة أو أكثر من حياته على دراسة الشيخوخة . وهذا المصل أول مادة يرجى أن تتغلب على فساد الأنسجة، وما يصاحبه من الأمراض المزمنة التى تبدأ تظهر فى أعقاب الكهولة . ومثل هذه الغلبة خليقة أن تحفظ على المرء نشاط بدنه وعقله عشرين سنة أو ثلاثين سنة، تضاف إلى معدل عمره . غير أن هذا المصل لا يطيل الحياة وحسب، بل يجعلها أحفل وأزخر بالقوة والبهجة . فهذه آية أخرى من آيات الطب توشك أن تظهر على مسرح الحياة، وقد استعمل المصل استعمالا موفّقاً فى علاج ألوف من المرضى المعذبين .

ما هو معدّل عمر المرء ؟ ينتهى المرء

إن الشيخوخة بأسرع مما ينبغي، لأنه يجرى على عادات ضارّة — من طعام غير صالح، وإجهادٍ للجهاز العصبي، وحيلولة بين الجسم وبين قسطٍ وافٍ من الراحة، وغير ذلك من أمور مردُّها إلى البيئة لا إلى طبيعة الجسم. وقد وجد بوفون العالم الفرنسى العظيم، أن أجل الحيوان أطول من فترة نموه بستة أضعاف على المعدل. فقال بوجولومتس: «لو طبقنا هذه القاعدة على الإنسان لوجدنا أن عمره يجب أن يكون بين ١٢٠ سنة و ١٥٠ سنة، لأن فترة نمو عظامه تمتدّ منذ ساعة يولد إلى أن يبلغ عشرين سنة، أو خمساً وعشرين سنة».

وقد درست طوائف من العلماء نفس الموضوع من نواحٍ أخرى، فخلصت إلى النتيجة نفسها. ويرى ر. و. جيرارد أستاذ وظائف الأعضاء فى جامعة شيكاغو: «أن عمر الإنسان ينبغى أن يكون ضعف السنوات الستين أو السبعين من العمر المذكورة فى التوراة».

وقد وقف بوجومولتس حياته على بحث الأسباب التى تفضى إلى انهيار مقاومة المرء للمرض انهياراً مطرداً، وعلى وسائل وقفها. وقصة هذا البحث من أروع قصص البحث العلمى فى العصور الحديثة، فقد استعان بستين باحثاً على فحص نحو ٣٠ ألفاً ممن عمّروا أكثر من مئة عام. فأيّةُ مزية خاصة يتمتع بها هؤلاء الناس؟ لقد وجد أن فريقاً منهم تتجدّد حياتهم، فيردُّ إليهم البصر بعد ضعفه أو ذهابه، ويعود لون شعرهم كما كان، وتشتدُّ مقاومتهم للمرض.

وقد عثر على جماعة ممن عمّروا أكثر من مئة عام، فى أبخاسيا على ساحل البحر الأسود، منهم ٣٥ رجلا وامرأة، تتفاوت أعمارهم بين ١١٣ سنة و ١٣٦ سنة، وكانوا جميعاً ممتعين بالقوة والنشاط.

مضى بوجومولتس فى بحثه، فازداد اهتمامه على مرّ الزمن بتلك الشبكة من النسيج المطاط فى البدن، المعروف باسم «النسيج الضامّ»، فهذا النسيج يكسو ظاهر أعضاء الجسم جميعاً وباطنها. ولما كانت وظيفة هذا النسيج غير بينة الأثر، لم يحفل به علماء الأحياء إلا قليلا.

وقد وجد بوجومولتس أن خلايا النسيج الضامّ فى الذين أدركوا الشيخوخة، تبلغ مبلغاً عجيباً من السلامة والصحة. فمضى فى البحث قدما، فخلص إلى رأى لا عهد للطب به، وهو أن بناء خلايا النسيج الضام وحالتها هى التى تحدد قدرة الجسم على مقاومة العدوى، وكذلك ما تحدثه الشيخوخة من تحول فى الجسم، كمثل تصلب

الشرايين ، والرَّثْيَة (التهاب المفاصل) ، وضعف الكلى ، وارتفاع ضغط الدم — والسرطان أيضاً . وهذا الرأى يصدق خاصة على الخلايا التى تؤلف مجموعة الخلايا الشبكية ، كالتى تجدها فى الطحال والنِّقْى (نخاع العظم) وغيرها من الأحشاء .

وقد أيدت رأيه هذا حقائق تبينها فى بحوثه السابقة . فالدم يمد الخلايا بالغذاء وينقل منها فضلاتها ، ولكن الخلايا فى الأعضاء المختلفة لا تتصل بالدم اتصالا مباشراً ، فالتفاعل بين الدم والخلايا يتم خلال جدران أوعية الدم الدقيقة التى تحيط بهذه الخلايا . والنسيج الضام يربط هذه الجدران بعضها ببعض ، فيقوم مقام الوسيط ، فهو طريق لما تأخذه الخلايا من الدم ، وأيضاً لما تنفضه من فضولها فى تياره . فإذا ازدحم الطريق بالذاهب والآتى ، وانسدّ ، ضعفت قدرة الخلايا عن الظفر بالغذاء الوافى ، وعن إفراز فضولها .

وقد تم لبوجومولتس مكتشفات أخرى باهرة . فقد وجد أن هذا الجدار المؤلف من النسيج الضام ، والذى يفصل بين الدم والخلايا ، هو المركز الذى تتولد فيه الطاقة اللازمة للحياة ، فمنه تنبع جميع وجوه النشاط الكيميائى الحيوى التى تحفظ على الجسم شبابه ، وترد عنه عادية المرض . فهو فى رأيه « ينبوع الشباب » الحق ، الذى ينظم أفعال الهدم والبناء الأصلية فى الكائن الحى . ومقاومة المرض ليست سوى فعل كيميائى على الأكثر .

وقد جاء فى المثل السائر : «يقاس عمر المرء بعمر شرايينه» . أما بوجومولتس فقد صاغ قولا آخر هو : « يقاس عمر المرء بعمر نسيجه الضامّ » . وقد عمِّر القوم الذين وجدهم فى القوقاز ما عُمِّروا ، لأنهم استطاعوا بطريقة ما أن يحفظوا الشباب على هذا النسيج فى أبدانهم . وعلى نقيض ذلك ترى معظم الذين يبلغون الشيخوخة قبل أوانها ، إنما يدركونها لما يطرأ من فساد بطىء على الأجهزة التى تنفض ما يتراكم من السموم شيئاً فشيئاً فى خلايا النسيج الضامّ .

فقدر بوجومولتس أنه إذا ما وجدت وسيلة لحفز النسيج الضامّ إلى النشاط ، تحقق غرضان كبيران فى وقت واحد . ذلك بأن النسيج الذى حُفِز إلى النشاط يتجدّد شبابه ، فيقوى على نفض السموم المتراكمة فيه ، ثم تراه يستأنف القيام بوظيفته الخاصة التى كان يقوم بها يوم كان هو والجسم جميعاً فى عنفوان الشباب . وكذلك يعود كرة أخرى ينقل الغذاء اللازم إلى الخلايا ، ويردُّ عنها عادية العدوى .

وأهم من ذلك أنه يحلُّ الخلايا الجـديدة الزاخرة بالقوة محل الخلايا الهالكة ، أى أن حفز النسيج الضامّ يجدد شباب البدن كله .

وقدر بوجومولتس أن الأمر لا يقتضى منـه سوى إعداد مصل ينبـه أشد أجزاء النسيج الضام نشاطاً — أى الخلايا الشبكية نفسها . وبعد أن قضى سنين مكباً على العمل فى معهد علوم الأحياء والأمراض فى كييف يعاونه ستون من الباحثين ، صنع المصل المضاد لتسمم الخلايا الشبكية .

وقد بدأت تجارب هذا المصل فى سنة ١٩٣٧ فأجريت على الحيوان أولاً ثم على البشر ، وأنشئت عيادة خاصة لا تعنى إلا بعلاج الذين تخطوا الخمسين من العمر . وكان العـلاج حقناً قليلة من المصل ، ونظاماً خاصاً فى الأكل ، فتحسنت صحة المرضى وقدرتهم على العمل ، وسرعان ما زال الصداع والروماتزم والأرق . فلما أُتقنت أساليب استعمال المصـل ، صار درعاً قوية تردُّ عن الجسم عادية أمراض تجيئه فى ركاب الشيخوخة فتفسد أنسجته .

وفى ٢٣ يونيو سـنة ١٩٤١ أذاع بوجومولتس أن مصله الذى يطيل الحياة قد بلغ غاية الكمال . وكان هو قد بلغ الستين من عمره فى ذلك اليـوم ، ولكنه أصر على أنه أبعد ما يكون عن الشيخوخة وقال :

« قد ترى تناقضاً فيما أقول ، ولكن الرجل فى الستين أو السبعين لا يزال شاباً ، فهو لم يقض فى الحياة سوى نصف عمره الطبيعى . وفى الوسع أن نداوى الشيخوخة كما نداوى سائر العلل ، لأن الشيخوخة التى نعـدها اليـوم أمراً طبيعياً ، ليست فى الحقيقـة إلا ظاهرة غير طبيعية جاءت قبل أوانها » .

وأتيح المصل لمستشفيات كثيرة ، فوردت تقارير الأطباء منبئة بأنه سلاح يرجى منه نفع كبير فى منع حدوث السرطان بعد أن يستأصله الجراح ، وأيضاً فى تحسين حالات الشرايين المتصلبـة ، وضغط الدم العـالى ، واضطراب الأعصاب والعقل ، وغيرها من الأمراض .

وهو يحذر الناس أن يحسبوا هذا المصل دواء عاماً لكل داء ، أو عـلاجاً لمرض بعينه ، ولكنه ينشط خلايا النسيج الضامّ ويجددها ، فيعيد إلى البـدن قسطاً عظيماً من قدرته الأصلية على مقاومة المرض ، كما كان فى أيام شبابه .

وقد سلكت طائفة كبيرة من معامل البحث هـذا الطريق الذى مهده بوجومولتس ، وقد تم لها تحسين الوسائل المتبعـة للظفر بالمواد اللازمة لتحضيره . فالطريقـة المتبعة الآن تقتضى أن تؤخذ الخلايا الشبكية من الطحال والنخاع الشوكى فى شباب أصحاء ماتوا

فى حوادث مفاجئة ، أو بمرض غير معدٍ ، وينبغى أن تستعمل هذه الخلايا خلال ست ساعات أو عشر ساعات بعد الوفاة على الأكثر .

وهذه طريقة شاقة المسالك ، ولكن من حسن الطالع أن نجد أساليب زرع الأنسجة الحية المنتزعة من الحيوان والبشر فى مواد خاصة ، قد تقدمت تقدماً عظيما . فإذا عدلت هذه الأساليب بعض التعديل ، كانت خليقة أن تمكن العلماء من أن يستنبتوا من « بذرة » صغيرة ، عدداً لا يحصى من الخلايا الشبكية .

ومتى أتيح مصل بوجومولتس للناس (بعد سنتين أو ثلاث سنوات) فقد نجد فيه أول ما يبطل قول الحكيم الذى سئل عن أسباب التعمير فقال بين الهزل والجد : « توخَّ أن يكون أبواك قد انحدرا من أصلاب قوم معمَّرين » .



طرائف القبل

يقتصر العناق والتقبيل فى اليابان على الأمهات وصغارهنّ ، دليلا على الحب الأبوى الخالص . فإذا اجتاز الصغار مرحلة الطفولة عدّ التقبيل ضرباً من قلة الحياء . وحينئذ ترى الأب منهم لا يقبل ولده ، وقد يجتمع الزوج والزوجة بعد فراق طويل ، فيجثوان ويتبادلان التحية ويبتسمان ، وقد يهمى دمعهما اغتباطاً وفرحاً ، ولكنهما لا يتعانقان ، ولا يعبّران بالكلام عما فى قلبهما ، وحسبهما أن يفصحا عن حبهما بأفعال غاية فى الرقة واللطف .

[لافكاديو هيرن فى كتابه « من الشرق »]

التقبيل حيلة محكمة لوقف الكلام حين يصير الكلام فضولا ولغواً .

[دائرة معارف كيوبيد]

قد تغتفر المرأة للرجل قبلة لا حق له فيها ، ولكنها لن تغتفر له إحجامه عن قبلة لم يجرؤ على أخذها .

[آرثر مورتيمر]



من كتاب "مضحكة" تأليف "بنيت سيرف"

حضر لورد هاليفاكس مأدبة فى وشنطن، فروى حكاية ضج لها المدعوون بالضحك. وكانت عن سفينةٍ تجمع ركبها من كل ملة ونحلة، وقد أصيبت بما عطابها فأرست فى مياه جزيرة صغيرة مأهولة فى المحيط الهادى، أضفت عليها الطبيعة جميع ضروب الفتنة والحسن.

وما هى إلا ساعات، حتى غدت الجزيرة كأنها خلية النحل نشاطاً وعملا. فهاهم الألمان من ركب السفينة قد عمدوا إلى تدريب أهل الجزيرة على الأعمال الحربية، وفتح الأمريكيون متجراً عاماً ووكالة سيارات، ونظم الأستراليون حلبة لسباق الخيل، وأنشأ الفرنسيون مطعما، وعنى الأسكتلنديان من رجال الركب بتقديم المال لجميع هذه الأعمال. وأما الإنجليز فقد ظلوا وحدهم بمعزل عن الجماعة، لأن أحداً لم يتقدم فيعرفهم بسائر الركاب.

تروى رواية ممتعة عن آرون سمان المشهور بين كبار المعلنين، تلقى ضوءاً على أمره فى مستهل حياته. فقد روى أن سمان كان يتغدّى ذات يوم فى مطعم مع صاحبه، فرأى على مقربة منه رجلا كريما تبدو عليه سما العناية بضروب الرياضة، وسمعه يقول: « إن التدمُرى الأثير عند زوجتى قد مات أمس، وهذه مئتا ريال أدفعها طيب النفس لو وجدت تدمرياً أصيلا يحلّ محلّه ».

فوثب سمان إلى قدميه، وربت على كتف الرجل وقال: « عندى أنا تدمرى أصيل، ولكننى لا أبيعه بأقل من مئتين وخمسين ريال ».

فقال الرجل بعد تفكر: « إنك مغال فما تطلب، ولكننى أودّ أن أسرّ زوجتى. لقد اتفقنا ».

وعاد سمان إلى مائدته يبتسم راضياً، ثم التفت إلى صاحبه وقال: « لم يبق على إلا أن أعرف ما هو هذا التدمرى ».

قضى داريل سلزنيك، المخرج السنمائى، ست سنوات لم يقع فيها على قصة ظفرت بإعجابه، حتى نال منه اليأس، فصار لا يأبى

أن يقابل كل قادم من الكتاب ويستمع إليه . وفى أحد الأيام دخل عليه كاتب غريب فرحب به كل ترحيب وقال : « بلغنى أنك قد ألفت مسرحية . فتفضل بالجلوس واقرأها على » .

كان الكاتب فأفاء تماماً ، فجاء هذا الترحيب غير المنتظر ضغثاً على إبّالة، ولكنها فرصة عظيمة قد سنحت له ، فينبغى أن ينتهزها . فجلس وتلا المسرحية على سلزنيك من ألفها إلى يائها ، فلما أتم تلاوتها دعا سلزنيك كاتم سره وقال :

«اتفق مع هذا الرجل فى الحال، وأبرم معه العقد. ففى روايته ظاهرة لطيفة ستضحك لها جماهير النظارة بالضحك، فكل شخص من أشخاصها سيكون فأفاء تماماً ملوىّ اللسان.

نشرت مسز مولى أن أربعة ريالات ثمن يسير جداً لكلب بوليسى أصيل . فقصت الإعلان من الصحيفة ، وأعلنت لكل من حولها أن شراء هذا الكلب صفقة رابحة، ثم كتبت شيكا بالمبلغ ، ورسالة طلبت فيها أن يرسل الكلب إليها فى دارها . وبعد بضعة أيام ألقى أحد السعاة أمام عتبة دارها كلباً لم تر فى حياتها كلباً أقذر منه ولا أوضع أصلا . فأخذ منها الحنق كل مأخذ ، وهرعت إلى التلفون وخاطبت صاحب الإعلان : « كيف تجرؤ على أن تصف هذا الكلب الوضيع فتقول إنه كلب بوليسى أصيل ؟ » .

فترفق الرجل فى الرد عليها وقال : «هو ما قلت ، لا يغرّنك ما يبدو عليه من بذاذة المظهر ، فإنه كلب فى البوليس السرى ! »

جلست وحدها إلى مائدة فى المطعم . وكان فى زينتها غلوٌّ وتبرج ، ثم أجالت طرفها فى جنباته ودعت رئيس النُّدُل إليها وقالت : « أليس هذا الواقف هناك يحتسى كأساً من الشراب ، هو كلارك جيبل ؟ »

فقال لها : « إنه هو بعينه » .

فقالت : « إنه يضايقنى » .

فرفع رئيس الندل حاجبه تعجباً وقال : «ولكنه ياسيدتى لم يرم ببصره إلى ناحيتك»

فقالت : « هذا هو الذى يضايقنى منه » .



طلب الخير للجماعة هو أنبل الدوافع . [فرجيل]

لقد جمح الخيال واحتدم الجدال !

تهاويل القنبلة الذرية

الماجور الكسندر پ. دى سفرسكى
مؤلف كتاب "النصر عن طريق الطيران"

انتدبنى وزير الحربية الأمريكية ، روبرت باترسون ، مستشاراً خاصاً ، فقضيت ثمانية أشهر أبحث بحثاً دقيقاً ما حل بأوربا وآسيا من دمار الحرب . فاطلعت اطلاعا وافياً على كل ضرب من ضروب الدمار أحدثته المتفجرات الشديدة ، أو القنابل المحرقة ، أو قنابل المدافع ، أو الديناميت ، أو مجموعة مؤلفة منها .

من أجل ذلك جست خلال هيروشيما ونجازاكى ، وهما هدف القنبلتين الذريتين ، وفحصت الأنقاض والخرائب ، ووجهت الأسئلة إلى شهود العيان ، وصورت مئات الصور .

وقد خلصت إلى رأى مؤداه أن ماروى عن أثر القنبلتين الذريتين — لا القنابل الذرية فى المستقبل ، بل هاتين القنبلتين الذريتين — كان فيه غلو عظيم .

بدأت بحثى فى اليابان ، بالطيران فوق يوكوهاما ، وناجويا ، وأوزاكا ، وكوبى ، وعشرات من المواقع الأخرى ، ثم زرتها راجلا . وقد رأيتها جميعاً متشابهة الأثر فجميع المناطق التى خربتها النار وردية اللون ، وهو أثر أكوام من الرماد والأنقاض مختلطة بالمعادن الصدئة ، أما المبانى الحديثة والمصانع فلم تزل قائمة . ولم يبد لى من الجو أن النار قد أكلت من المبانى طائفة كبيرة ، فلما ألقيت بصرى من الطائرة على قلب يوكوهاما حسبته سليما لم يمسسه أذى . وقد خربت النار المنطقة الصناعية الطويلة الممتدة من أوزاكا إلى كوبى ، ولكن المصانع والمبانى المشيدة بالأبرق لم تزل قائمة . وهذه صورة تختلف كل الاختلاف عما شاهدته فى المدن الألمانية التى عصفت بها القنابل التى تقوض المبانى وتدكها . والفرق بينهما أن معظم الخراب فى اليابان مردود إلى النار ، وقلما لحق الأهداف التى لا تحترق تصدع فى بنيانها .

وقد كنت أتوقع أن أرى فى هيروشيما صورة أخرى ، فدهشت ساعة رأيت هيروشيما لا تختلف عن المدن اليابانية التى اكتسحتها النار .

فثمة الرقعة المألوفة الوردية اللون ، التي يبلغ قطرها نحو ميلين ، وفيها بقايا أشجار وأعمدة تلغراف عضّتها النيران. وفي المدينة عشرون جسراً لم يهدم منها سوى جسر واحد ، وأما جماعات المباني الحديثة في المدينة فلا تزال قائمة .

فمن الواضح أن قوة نسف القنبلة الذرية لم يبلغ المبلغ الذي روى عنها ، ولأن يوصف بأنه نسف متسع النطاق ، أولى من أن يوصف بأنه شديد الفتاك .

كنت قد سمعت عن مبانٍ أكلتها على الفور حرارة لم يسبق لشدتها مثيل ، ولكنني رأيت هنا مباني لم تتصدع . وأعظم من ذلك دلالة أني رأيت في أعاليها أعمدة الأعلام لم يمسسها أذى ، وكذلك قضبان الصواعق ، وحواجز الحديد على الشرفات ، وصفارات الإنذار وغيرها من الأشياء الخرعة والهشّة .

وحين بلغت جسر «ت» ، هدف القنبلة الذرية ، بحثت عن « البقعة » التي يزعمون أن كل شيء فيها يتبخر في مثل لمح البصر ، فلم أجدها هناك ، ولا وجدتها في أي مكان آخر ، ولم أعثر على أي أثر لهذه الظاهرة الغريبة .

وما شاهدته كان في جمله كمثل ما شاهدته في يوكوهاما وأوزاكا ، أو في ضواحي طوكيو — بقايا منطقة شيدت مبانيها بالخشب والآجر ، فالتهمتها نيران حاصدة . وقد رأيت في كل مكان جذوع أشجار محترقة ، وأشجاراً جردت من ورقها ، وقطعاً من الخشب محترقة وغير محترقة . وقد بلغت النار من الشدة مبلغاً كفى لثنى قضبان الصلب ولـيّها ، ولصهر الزجاج حتى يسيل كاللابة — كما حدث في سائر المدن اليابانية سواء بسواء .

أما المباني المشيدة بالآجر ، والتي كانت أقرب ما تكون إلى مركز الانفجار الذري ، فلم يبدُ فيها شيء من التصدع ، مع أن بعضها لم يبعد عنها أكثر من بضع مئات من الأمتار ، وحتى الزخارف الخارجية على جدرانها كانت سليمة . نعم كان زجاج النوافذ قد تحطم ، ولكن إطارات النوافذ التي صنعت للوح واحد من الزجاج ظلت على حالها ، ولم يلتو أو ينثنِ إلا الإطارات التي صنعت للوحين

---

* الصاغ ألكسندر ده سفرسكي ثقة في شئون الحرب الجوية ، وأحد المبرزين في هندسة الطائرات . وقد قاد أسراباً من الطائرات الروسية في الحرب العالمية الأولى ، وفقد إحدى ساقيه في سنة ١٩١٥ حين تحطمت به طائرته ، ولكن القيصر أذن له خاصة أن يعود إلى قيادته . وبعد الحرب رحل إلى الولايات المتحدة وعين مستشاراً هندسياً في شئون الطيران ، واخترع أول منظار أوتوماتيكي لتسديد القنابل ، وأدخل وجوهاً كثيرة من التحسين على أدوات الملاحة الجوية . ولم يزل منذ عشر سنوات يصمم الطائرات لسلاح الطيران الأمريكي ويصنعها .

من الزجاج أو أكثر . فقوة النسف فى الانفجار الذرى لم تكن شيئاً غير مألوف .

ثم وجهت الأسئلة إلى عدد وافر من الناس كانوا فى مثل هـذه المبانى حين انفجرت القنبلة . وقد وافقت أجوبتهم روايات الذين كانوا فى مبانى الأبرق فى مناطق قذفت بناسفات الربوع . فبناء الصحافة فى هيروشيما ذو عشرة أدوار ، ولا يبعد عن مركز الانفجار أكثر من بضع مئات من الأمتار ، وقد أكلته النيران التى أعقبت الانفجار ، ولكنه لم يزل سليما لم يتصدع ، وأما الناس الذين كانوا فيـه ، فلم يصابوا بأذى غير مألوف .

وقد بلغ الموت والخراب والهول فى هيروشيما مبلغاً عظيما كما روى فى الصحف والإذاعة ، ولكن نوع الدمار ليس فذًّا لم يسبق له مثيل . ولم تبلغ قوة النسف وشدة الحرارة المبلغ الذى تناقلته الألسنة .

أما فى نجازاكى فقد احترقت المبـانى المشيدة بالأبرق ، ولكنها ظلت قائمة . وقد نجا حىٌّ الأعمال من الأذى ، مع أن مبانيه من الخشب على الأكثر . فقيل فى تفسير ذلك أن الآكام القائمـة بينهُ وبين موقع القنبلة حمتهُ أن يحترق أو ينهدم ، ولكنَّ حيًّا آخر من أحياء المدينة ، يقع على خط مستقيم من مركز الانفجار ولا تفصلهُ عنهُ آكام ، نجا أيضاً من كل أذى بليـغ . فقوة القنبلة كانت قد تبدَّدت قبل أن يبلغ أثرها هذه المنطقة ، فلم يتقوض إلا بضعة منازل ، ولم يحترق منزل البتة .

وقد أذيعت أقوال نسب فيها كل الخراب الذى حل بنجازاكى إلى القنبلة الذرية . والواقع هو أن الطائرات كانت قد قذفت المدينة بقنابلها ستة أيام تباعاً ، فأصيبت مصانع ميتسوبيشى الشهيرة بأذى جسيم من جراء ثمانى قنابل متفجرة أصابتها فى المقتل .

فماذا حدث حقاً فى هيروشيما ونجازاكى ؟ ليس ثمة إلا دليل ضعيف على أنهما أصيبتا بنار أشعلتها حرارة التفجر الذرّى ، ولعلَّ القنبلة انفجرت على ارتفاع حال دون اشتعال النار . وإذا كانت الحرارة بالغـة الارتفاع فى نطاق انفجار القنبلة الذرية (وتجربة نيومكسيكو تؤيد ذلك) ، فلا مناص من القول بأن الحرارة قد تبدَّدت فى الفضاءِ ، ولم تصب هيروشيما إلا بقوة النسف التى ولدها الانفجار .

كانت قوة الانفجار كأنها مِذَبّة كبيرة سعتها ميلان ، لطمت مدينة مؤلفة من مبانٍ واهيـة ، فسوّتها بالأرض ، ودفنت فى أنقاضها مئتى ألف نسمة من الأحياء . وقد زاد من أثرها أن مبانى اليابان الواهية

مشيدة بخشب نخره الأرَض، وأثقلتها سطوح متخذة من الآجر السميك، ثم شبت ألوف من النيران فى وقت معاً من تماسّ الأسلاك الكهربائية ، وانقلاب الأفران ، ومصابيح الجاز ، وتحطم أنابيب الغاز ، فإذا المنطقة كلها نار مسعورة حاصدة .

وحين تغير الطائرات وتقذف القنابل المحرقة ، تتاح للناس فرصة للنجاة فيفرون من بيوتهم إلى الشوارع أو الميادين أو الأنهار . أما هيروشيما فلم تتح فرصة ما لمعظم سكانها ، فقتل ألوف منهم لساعتهم من انهيار الجدران والسقوف ، وسدت المنافذ على البقية فى جحيم مستعر . وقد قدِّر عدد الذين ماتوا حرقاً بستين ألف نسمة .

إنها النار ، ولا شىء غير النار الطاغية الحاصدة الآكلة ، فهى وحدها التى دمرت ما دمرت من الأنفس والعمران فى هيروشيما ونجازاكى .

والذين هلكوا لم يموتوا لساعتهم ، ولا انحلت أبدانهم بفعل الانفجار الذرى ، بل ماتوا كما يموت الناس حرقاً .

ولعل بعضهم أهلكه الإشعاع ، فقد لقيت قوماً سمعوا بأن هناك من أصيب بحروق الإشعاع وتسمم الإشعاع ، ولكننى لم أظفر بشهادة من شاهد عيان . فالأطباء والممرضات فى المستشفيات التى زرتها لم يعالجوا إصابات من هذا القبيل ، مع أن بعضهم سمع بها .

وقد سألت الذين كافحوا النيران ، وعمال الصليب الأحمر الذين هرعوا إلى إغاثة المصابين فى الدقائق الأولى التى تلت الانفجار ، فأنكروا جميعاً أنهم شاهدوا إشعاعا لابثاً مديداً .

هذه هى الحقائق كما وجدتها ، وهى مروعة لا تحتاج إلى مغالاة وتهويل . ولست منفرداً بهذا الرأى ، فالعلماء الذين حادثتهم وكانت مهمتهم أن يفحصوا ما تحدثه القنبلة من تدمير فى المكان الذى تلقى فيه ، يشاطروننى هذا الرأى بوجه عام . وليس فى الأنباء الوثيقة التى تذيعها وزارة الحربية شيئاً يؤيد صحة هذه الأهوال . فليس صحيحاً ما يقال من أن المادة تبخرت بتأثير الحرارة الشديدة ، ولو تبخر الصلب لكان الخشب خليقاً أن يجرى مجراه ، وقد وجدت خشباً كثيراً سليما فى الأنقاض . ولم أجد فى إحدى المدينتين تلك « البقعة » التى يزعمون أن كل شىء فيها يتبخر لساعته ، بل وجدت فى المنطقتين اللتين أصابتهما القنبلة جذوعاً كثيرة وجدراناً عليها عرائش . وهذا ينفى مزاعم الحرارة الطاغية .

وكلما بالغت فى فحص مشاهداتى فحصاً دقيقاً ازددت اقتناعاً بأنه لو ألقيت نفس القنبلة على نيويورك أو لندن أو برلين ،

لما زاد عدد من يهلك بها على عدد الذين تهلكهم قنبلة متفجرة من ناسفات الربوع، وعسى أن يقتصر أذاها المادى على تحطيم زجاج النوافذ فى منطقة واسعة .

وقد عاب علىّ ثلاثة من علماء جامعة شيكاغو قولى : « إن مئتى قاذفة ضخمة محملة بالقنابل المحرقة، كانت خليقة أن تفعل فعل القنبلة الذرية » . وقالوا : « إذا كانت مئتا قاذفة ضخمة تستطيع أن تمحو هيروشيما كما فعلت قنبلة ذرية واحـدة ، فإن هذه القاذفات نفسها تستطيع أن تمحو مئتى مدينة إذا حملت قنابل ذرية » .

إلا أن هؤلاء الخبراء أغفلوا شيئاً واحداً، هو أن المدن المئتين ينبغى أن تكون واهية البنيان كمثل هيروشيما . فإذا كانت مبانى المدينة مشيدة بالآجر والصلب ، كان ضربة لازم أن تضاف القنابل الشديدة التفجر إلى القنبلة الذرية حتى يتم الأثر المطلوب . نعم إن قنبلة ذرية واحدة ألقيت على هيروشيما عدلت مئتى قاذفة ضخمة ، ولكن إذا شئت أن تفعل بنيويورك أو لندن ما فعلته بهيروشيما، وجب أن تظفر بضرب آخر من القنابل الذرية ، وبلون آخر من التفجر ، قبل أن يزيد فعل القنبـلة الذرية على فعل قاذفة ضخمة واحدة محملة بقنابل شديدة التفجر.

ويبدو لى أنه من باب التضليل أن يقال إن القنبلة الذرية التى ألقيت على اليابان كانت أقوى من قنبلة ت . ن . ت ناسفة الربوع « عشرين ألف ضعف » . وقد يكون هذا القول صحيحاً إذا اتخذنا مقدار الطاقة الذى يتولد فى الحالين معياراً للمقابلة ، ولكن الأمر الذى يهمنا هو ذلك الجزء من الطاقة الذى يدمر : فإذا اتخذناه مقياساً للمقابلة ، وجدنا أن القنبلة الذرية تزيد على ناسفة الربوع « مئتى ضعف » فقط ، إذا كان الهـدف هيروشيما أو مثلها ، وتصير كأنهـا « قنبلة واحدة » إذا كان الهدف مدينة مثل برلين.

وكل ما يسـعنا أن نقوله اليوم ونحن واثقون ، هو أن القنبلة الذرية كانت بالغة الأثر فى تدمير مدينة واهية قابلة للالتهاب . فاستعمالها فى هيروشيما ، مثل على استعمال القوة المناسبة ، على الهدف المناسب ، فى الوقت المناسب ، حتى تحدث أبلغ أثر مطلوب .

فالذين قرروا استعمال القنبلة هناك جديرون — من الناحية الحربية — بأعظم الثناء .

وليس ثمة ريب فى أن التجربة ستسفر عن وسائل لاستعمال القذائف الذرية أنفع استعمال حربى ، فيقل ما يتبدد من طاقتها فى الفضاء ، ويزداد ما يوجه منها إلى التدمير .

وقد ذكر علماء شيكاغو فى بيانهم « أن القنبلتين اللتين ألقيتا على اليابان ، كانتا

أول القنابل الذرية التي صنعت ، وأنهما كالألعاب النارية ، إذا قورنتا بما تصير إليه القنبلة الذرية بعد عشر سنوات أو عشرين سنة » .

وهذا هو عين ما أقول ، فالقنبلة الذرية لا تزال فى مهدها . وقد استبد بالناس ذعر مفزع حين قرأوا ما قيل لهم عن أثرها الأول ، فجمح الخيال واشتد التهويل ، وصار الناس يتحدثون عن نفر قليل من الفدائيين ، يحملون فى حقائبهم قنابل ذرية مُدْمجَة التركيب ، وينسفون بها هذا البلد أو ذاك . وهذا كله باطل ولغو .

وما أكثر ما قيل من الهراء عن حجم القنبلة ! وكيف يعلم الناس أن زنتها « بضع أواق » أو « بضعة أرطال » ؟ ألم يعهد بنقلها إلى قاذفة ضخمة لا إلى مطاردة صغيرة ؟

وأنا آخر من ينكر أن الطاقة الذرية قد أحدثت أمراً عظيم الخطر ربما أدى إلى انقلاب عظيم فى فنون الحرب وصلات الأمم بعضها ببعض ، ولكننى لا أظن أن هذا الانقلاب قد تمّ ، وأنه ينبغى أن نستسلم لذعر التهويل . ومهما يكن القرار الذى ننتهى إليه ، فينبغى أن نبتّ الرأى بمنطق سليم ونفوس هادئة ، وأعظم منهما أن نتجنب العسف والمكابرة فى الحقائق التى قامت على صحتها الأدلة .

·oOOo··oOOo·

لعبة الأرقام

نعرف زوجين مضى عليهما سنوات منذ تزوجا ، ولكنهما لا يستغرقان فى صمت مطبق حين يجلسان إلى الطعام وحدهما فى مطعم ، كما يفعل معظم الأزواج . فجعل الناس يتساءلون كيف يكون ذلك . وأخيراً أقدمت إحداهن على سؤال الزوجة : « ما سر هذا الحديث الذى يتصل دائماً بينهما بعد هذه السنين الطويلة ؟ »

فقالت الزوجة : « حقيقة الأمر أننا عزمنا منذ زمن بعيد أن نتكلف الظهور كأن بيننا أمراً ذا بال كلما جلسنا فى مكان عام . فإذا ما شعرت أن السكون سينشر ظله بيننا ، أقول لزوجى متصنعة اللهفة والاهتمام : « واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة » ، فيجيبنى : « ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة » . وهذا يحملنا على أن نغرب فى الضحك على الأثر ، ولا نلبث حتى نجد موضوعاً يسرنا ويهمنا أن نتحدث فيه .

[صحيفة « نيويورك صن »]

قد يكون الشجار فى الحين بعد الحين وسيلة تفضى إلى حسن المعاشرة بين الأزواج .

روّح عن قلبك بمشاجرة بينك وبين زوجك

إڤلين ميليس دوڤال و روبين هل

محضرة من كتاب "حين تتزوج"

قال جيم لنفسه : « آل مارتن يتشاجرون مرة أخرى! »

وكان بيته يلى بيتهم ، وكان يحب الرجل وامرأته ، وكان خلافهما يقلقه ، ولكنه وجد أنهما بعد أن يتنازعا يبدوان أسعد مما كانا من قبل .

وكان مارتن وامرأته يعلمان أن الخلاف ينتهى دون أن يهدد علاقتهما الزوجية ، فقبل أن يتفاقم الأمر تشرع « سادى » فى البكاء ، ثم لا يلبث كلاهما أن يشعر أنه أحسن حالا . وكانا لم يخضعا قط لمذهب الذين يدعون إلى « الرقة والبشاشة » بين الزوجين ، ولم يتدربا قط على أن يتريّثا قليلا قبل أن ينطقا بالكلمة النابية .

ولعل صراحتهما فى الاندفاع للتنفيس عن عواطفهما المحبوسة ، أقل صور النزاع خطراً ، لأنه لا يُبقى بين الزوجين سبباً يذكر لسوء تفاهم طويل العهد ، إذ كانت المتاعب والخلافات تعالج بانتظام وتسوّى فى وقتها .

وثم صورة للنزاع أخطر من هذه ، وهى ذلك الضرب من الهدم المتبادل الذى لا يبين عنه اى واحد من الزوجين ليعالجه أو يفهمه بوضوح . ذلك أن كلا منهما يؤثر خطأ أن يحرص على الوفاق فيكظم غضبه ، ولكنه قلما يعفى قرينه من الألم فى النهاية ، لأنه ، وهو يكبت عواطفه ، يكدس النقمة فى نفسه ، فلا تلبث أن تفيض فى صورة عمل مشوب بالعداوة لا يستطيع كلا الزوجين أن يفهمه . والزوج الذى لا ينطق بكلمة حين تنحى عليه زوجته باللائمة لأنه لم يطلب علاوة ، لا يفيد شيئاً من الفهم أو الراحة حين يركل قطته الأثيرة وهو يغادر البيت فراراً بنفسه .

وكثيرون منا يشعرون بتأنيب الضمير بعد شجار بينه وبين زوجه ، لأننا لا نزال ننظر إلى الزواج على اعتبار أنه نظام أبوى يتمثل فى مئات من الحكم والأمثال التى تمجد السعادة الزوجية والسلام والسكينة فى البيت : « اصبر وصابر » ، « الرد اللين يفلّ حد الغضب » . وفى ظل هذا النظام كان المفروض أن ينشأ الأطفال ولا يسمع لهم صوت ، وأن تكون الأم الزوجة

مستسلمة تصبر ولا تشكو ، وكان الشجار من أى نوع دليلا على تقوض السلطة الأبوية، فينبغى قمعه بلا تلكؤ ، ولكنه كان هناك صراع خفى كثير ، ونقمة كثيرة مكتومة غير مأمونة .

ومما يدل على أننا ما زلنا اليوم مثقلين بآثار هذا الأسلوب من أساليب التفكير الذى يحض على البر والرقة والبشاشة ، أن مئات من الأزواج يأتون إلى « مراكز إرشاد الأزواج » ليطرحوا عنهم وقر الإحساس بالإثم والضعة ، لأنهم تشاجروا فى بيوتهم . غير أنا بدأنا نعيد النظر فى المثل القائل : « لا شجار إلا بين اثنين ، ولن أتشاجر » لنعدله فيكون « إذا كان بيننا شيء فلنتصارح به » ، وبهذا يمكن أن يزول بعض الإثم والضّعة .

إن حياة العمل اليومى لاتسمح بالإعراب الصّراح عن العواطف التى تنشأ فى نفس كل إنسان طبيعى — الغرور ، والغيرة ، والامتعاض ، والطموح الأنانى — وهى إحساسات طبيعية كالرقة والحب . ولا بد للفرد أن يملك زمام نفسه عند الغيظ ، لأنه إذا أرخى لشعوره العنان أمام رئيسه فقد يفقد عمله . ومن أجل هذا ينبغى أن يكون ثم مكان ما ، ينفّس فيه عن قلبه ويرسل فيه نفسه على السجية . وهذا المكان هو ، على ما يبدو ، بيت الزوجية . فإذا كان هناك قدر معين من الشجار ، فإنه ينبغى أن يتخذ الزوجان من ذلك دليلا على أن زواجهما يؤدى إحدى وظائفه الرئيسية ، وتلك أنه يهيىء مكاناً يخرج منه البخار الحبيس ، فيعود الاتزان العاطفى . أما إذا كانت العلاقة بين الزوجين من الوهن بحيث يتطلب الاحتفاظ بها تحرّى ذلك السلوك المتكلف فى مكاتب الأعمال ، فإنها تكون إذن على شفا جُرُف هار .

ومع أن كثيراً من النزاع بين الزوجين طبيعى ومرغوب فيه ، إلا أنه يجب أن نميز بين النزاع المنتج المثمر والنزاع الهدّام . فأما النزاع المنتج فإنه يجعل رباط الزواج أقوى ، لأنه يعيد تعيين الأمر الذى أثار النزاع ، وهو نزاع موجه إلى مسألة ودائر عليها ، ومفضٍ إلى تفاهم جديد أتمّ ، وهو فى خير الحالات يقل تكرره وعنفه كلما تقدّمت الحياة الزوجية وتقررت الحلول الأساسية للمسائل .

ومن شأن النزاع المثمر أن يكشف للزوجين عن قوة علاقتهما ومتانتها فى الحقيقة . وهناك رجال ونساء يخدعهم توهمهم أن الحب لا بد أن يكون قد غاض بعد أن تـّطرد الحياة على نسق ممل . وهؤلاء يدهشهم أن يتبينوا قوة عواطف الحب التى تتبدّى

من جراء نزاع . وهكذا يساعد النزاع على توطيد الزواج بتذكير الزوجين حين يصطلحان بعمق ما بينهما من الحب .

أما النزاع الهدام فتصبح مزايا العلاقة الزوجية بعده أقل مما كانت من قبل ، لأن غرضه ليس الموضوع بل الشخص ، ولما كان محصوراً فى شخصية الطرف الآخر ، فإنه يحقره ويؤذيه ، ولذلك يؤدى النزاع الهدام إلى فتور القلوب وتنائيها ، وينقلب الحب بغضاً ، لأن الشدة والقسوة تزدادان فيه باطراد .

وعلى الزوج الذى يقف موقف المدافع حين يحدث النزاع ، تبعه خاصة . فإذا كان غضب المعتدى يرجع على ما يظهر إلى مرض أو تعب أو حَمْل أو إلى آلام الحيض ، فإن الموقف قد يدعو إلى الحلم ، وإلى التهدئة والعطف ، لا إلى المعارضة الشديدة . وقد يحتاج الشخص الذى لقى ما يؤلمه أو يؤذيه فى أثناء عمله ، إلى نفس العطف والفهم . وقد يخفف من وقع المهانة والخيبة التى آذته أن يظهر القرين اهتماماً منطوياً على الفهم والعذر ، ولكن على القرين أن يكون واثقاً من سَداد مسلكه ، فإنه ليس أبعث على تلهب الغيظ فى نفس من يتعمد إثارة شجار ، من أن يرى الآخر عاجزاً عن ردّ العدوان بمثله . والحاجة إلى ذلك تكون أشد عند الشخص الذى يعانى أزمة عاطفية .

> فى رأيى أن حياة اثنين يعيشان معاً خمساً وعشرين سنة دون أن يسمع أحدهما من الآخر كلمة غضب ، توقع فى الروع أن هناك ضعفاً فى الروح لا يعجب به الإنسان إلا فى الحمَل الوديع . فإنه حينما تكون هناك روح ، لابد أن يكون هناك شرر . فلا تتوهم أن أول شجار بينك وبين زوجك سيكون نهاية كل شىء ، فإنه أولى بأن يكون البداية الحقيقية .
> [أ. ب هربرت]

وللنزاع نهج ، وهو يجرى على نسق يمكن التكهن به . ففى المرحلة الأولى تكون فى الزوجة — إذا كانت هى المعتدية — شكاسة وسرعة بادرة وميل إلى النِّقار . أما إذا كان الزوج هو المعتدى فإن أعراض التوتر تتبدّى من الدمدمة الثائرة ، والتذمر من البيت القذر ، ومن شريحة اللحم التى بولغ فى إنضاجها ، أو مما يطالب به البدّال . فالمعتدى إذن متهيئ للشجار لبواعث سخط مكدسة ، ولا يلبث الطرف الآخر أن يتهيأ هو أيضاً للنزال .

والمرحلة الثانية هى المعركة الكبرى نفسها . وقوامها إلقاء الأوراق على المائدة ، ومقابلة

التهم بالتهم ، والجدل، والمصانعة ، والتنكيت. وهذه المرحلة قد تكون قصيرة لا تتجاوز دقائق ، أو قد تطول بغير عنف ساعات إلى أن يأتي الليل ، دون أن تحل المسألة التي دعت إلى ذلك . وقد يجيء الحل من طريق أسهل في الصباح التالي حين تبدو الأشياء أكثر نضرة وتورّداً .

وتبدأ المرحلة الثالثة حين يدرك المعتدى أن التوتر الداخلي قد خفت وطأته ، فيسعى للصلح وينشد السلام . وقد يكون الدافع قد اصبح يعانى توتراً فينفر من التقبيل والصلح ، فتطول المعركة ، ولكن كليهما في النهاية يصبح أهدأ نفساً وأكثر حباً .

واجتياز المراحل الثلاث بنجاح ، يتطلب نضجاً عاطفياً ، وقوة نفس. ولكن الشجار الصريح ، ولا سيما في المرحلة الثالثة ، يريح الأعصاب ويزيل التوتر ، ويشيع في النفس شعوراً جميلاً بأن الدنيا بخير، وأن الزواج نعمة.

أين المحتفى به ؟

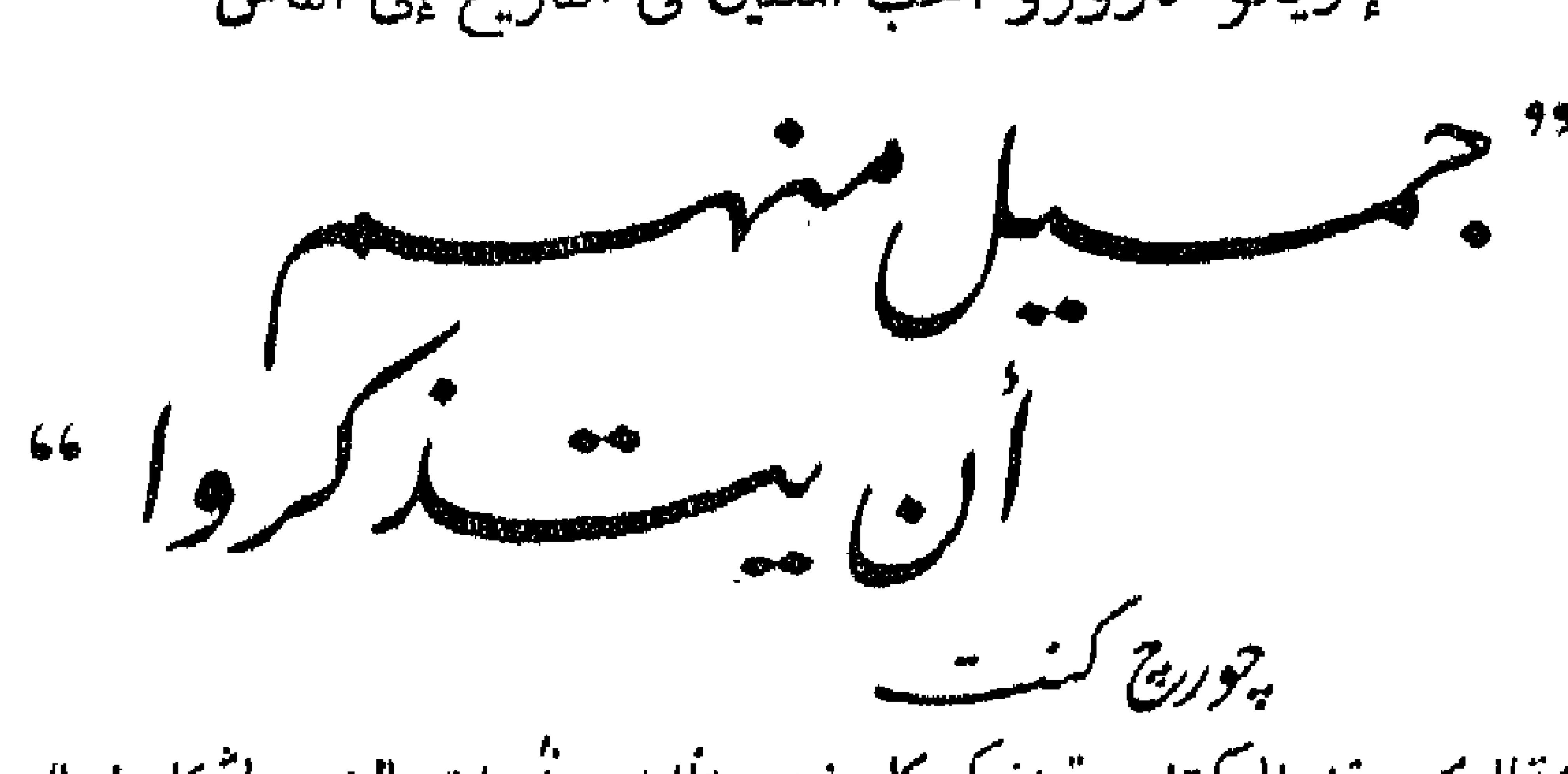
أقيمت حفلة في فندق ستاتلر بوشنطن دعى إليها مئة من كبار القوم ، تكريماً لرجل يدعى تيتوس أوتس . وكان المدعوون منصرفين إلى احتساء كؤوس الشراب والتندّر ، وعيونهم تبحث عن المحتفى به حين وزعت أوراق طبع عليها ما يلي :

« يأسف المستر أوتس لأنه لا يستطيع أن يحضر الحفلة اليوم . وإذا أردتم أن تعلموا سبب ذلك فارجعوا إلى قاموس الأعلام تأليف وبستر تروا في الصفحة ١١١١ مايلي : « أوتس ، تيتوس ١٦٤٩ — ١٧١٥ ، محتال إنجليزي وملفّق الدسيسة البابوية» . ثم أورد كاتب الورقة أصل هذه الدسيسة، وكيف زعم ملفقها أن الكاثوليك ينوون أن يذبحوا البروستانت ويحرقوا لندن ويغتالوا الملك ، وكيف حكم على الرجل من أجلها بالسجن مدى الحياة إلخ ...

وقد كان صاحب الرأي في إقامة هذه الحفلة رجل صحفي يدعى جورج ديكسون ، أراد أن يقيم الدليل على أن سكان وشنطن يلبون الدعوة إلى أية حفلة تقام لتكريم أيّ الناس كان .

[هارولد هلفر]

إنريكو كاروزو أحب المغنين فى التاريخ إلى الناس



جورج كنت

مقال مستند إلى كتاب " إنريكو كاروزو " تأليف أرملته " دوروثى كاروزو "

ولدت أنة كاروزو واحداً وعشرين ولداً مات منهم ثمانية عشر ، أما التاسع عشر فقد عاش حتى صار أعظم مغن على تطاول العصور . وقد كان أول ظهوره فى أمريكا على مسرح أوبرا متروبوليتان فى سنة ١٩٠٣ ، وغنى آخر أغنية غناها على المسرح نفسه فى سنة ١٩٢٠ ، فلم تكد تنقضى ثمانية أشهر حتى ذهب إلى لقاء ربه ، فبكاه ملايين من الرجال والنساء فى بلاد كثيرة ، ولبس السوادَ عليه ألوف . فهو لم يكن مغنياً عظيما وحسب ، بل كان أيضاً رجلا عظيما وإنساناً أحبه الناس حباً جماً .

لم تكن الإذاعة ولا السينما الناطقة معروفة فى أيام كاروزو ، فلم يكن لك بدٌّ ، إذا شئت أن تسمعه ، من أن تشترى تذكرة وتشهد الحفلة ، فتراه حياً ماثلا أمام عينيك يغنى ، أو أن تدير ذراع الفونغراف فينطق صوته فى البوق من الأسطوانة الدائرة . وقد كان عدد الذين سمعوه يغنى قليلا إذا قيس بالملايين الذين يستمعون اليوم إلى الراديو ، ومع ذلك فقد ظفر من افتتان الناس وإعجابهم، بما لم يسبق له مثيل فى تاريخ العظماء .

وقد كان أكثر غنائه أصواتاً من الأوبرات الكبيرة الفرنسية والإيطالية ، وكانت تعدّ يومئذ كما تعدّ اليوم من الفن الرفيع العالى ، ومع ذلك فقد بلغ كاروزو من قوة الصوت وانتشاره ، ومن القدرة على التعبير عن الشعور الذى يخالجه ، مبلغاً هزّ الناس وأشجاهم ، وكثيراً ما تركهم والدموع تهمى من عيونهم . أما هو فقد يبلغ منه التأثر أحياناً حتى تراه بعد انتهاء الحفلة جالساً فى حجرته ينتحب .

وقد كانت دار أوبرا متروبوليتان فى نيويورك مسرحه المعهود ، ولكن شهرته طبقت الخافقين وذاعت فى كل عاصمة عظيمة، من بوينس إيرس إلى موسكو . وكانت الجماهير تلتف من حوله أينما ذهب ، وكان الناس يقفون ويهتفون له إذا ما دخل مطعما من المطاعم ، فلذلك دأب على أن يتناول طعامه فى بيته ، أو فى مطعم صغير من مطاعم

نيويورك التى تقدم « المكرونة » ، حيث يصرف بقية نهاره يلعب الورق مع صاحب المطعم . وكان يتلقى فى كل بريد هدايا كثيرة : علباً من الحلواء ، أو الطعام ، أوجواهر ، أو صورته مطرزة على الحرير أو الصوف .

وقد أطلق اسمه على آلاف من السلع ، من « السيجار » إلى الصابون ، ولا تزال فى أمريكا طائفة من المطاعم تعرف باسمه ، وكذلك صنف من المكرونة ، ومجموعة من ألوان الطعام المحفوظ . وأطلق أحدهم على جواد من جياد السباق اسم كاروزو ، فظل المغنى يراهن عليه بعشرة ريالات فى كل شوط يشترك فيه ، ولكنه لم يكسب قط .

وقد بلغ دخل كاروزو فى العهد السابق لعهد الراديو مبلغاً لم يعدله دخل أحد من المغنين على الإطلاق . وكان يصيب دخله من الغناء على المسرح ومن تسجيل الغناء على أسطوانات ، وأبى أن يتقاضى من دار المتروبوليتان أكثر من ٢٥٠٠ ريال عن الحفلة الواحدة ، ولكنه تقاضى ١٠ آلاف ريال عن حفلة فى كوبا ، و ١٥ ألف ريال عن حفلة فى المكسيك ، ورفض مرة ٢٥٠ ألف ريال لقاء رحلة فى جمهوريات أمريكا اللاتينية تستغرق شهرين ، وهذه غاية (رقم قياسى) ، ولم تزل غاية إلى يومنا هذا . وقد بلغ مجموع دخله فى حياته عشرة ملايين ريال . ولم تزل أسطواناته تدرُّ مالا وفيراً على ورثته منذ توفى فى سنة ١٩٢١ . وقد أعدت شركة فيكتوريا فى آخر سنة ١٩٤٣ ثمانية عشر ألف دفتر تحتوى على أسطوانات كاروزو ، وجعلت ثمن كلٍّ منها عشرة ريالات ، فبيعت جميعاً بين عشية وضحاها .

وبعض شهرته على الأقل يرجع إلى أنه كان رجلا عظيما ، فقد كان مفطوراً على بساطة الفلاح وسذاجته ، فيعرب عن شعوره بإشارات وإيماءات سمْحة لا تكلف فيها ، هى التى حببته إلى الناس .

وقد حدث ذات ليلة فى بروكلن أن علا الصياح خارج نافذة الحجرة التى يرتدى فيها ثياب المسرح ، ففتح النافذة فألفى جمهوراً عظيما فيه بضعة آلاف من الناس ، وكانوا ينعون سوء حظهم لأن جميع مقاعد المسرح قد بيعت ، وكانت الحفلة مهرجاناً عظيما أعدت فيها المقاصير للأسرة المالكة . ففكر كاروزو هنيهة ، ثم غنى الناس الواقفين فى الشارع أهم أصوات الأوبرا التى كان يتأهب لغنائها على المسرح .

وجلس فى أحد الأيام يوقع على شيكات كان يجود بها على أكثر من مئتى نفس من المحتاجين دأب على أن يعينهم ، فتمتمت زوجته قائلة : « لا يمكن أن يكون جميع هؤلاء الناس ممن يستحقون المعونة » فقال :

« حقاً يا دوروثى ، ولكن أتستطيعين أن تعرفى من منهم الذى لا يستحق ؟ »

وخرج ذات صباح يتمشى فى مدينة كليفلاند مع كاتم سره برونو زيراتو ، فإذا به يفاجىء كاتم السر بقوله : « ليس ما نفعله حقاً ولا عدلا ، فنحن نأتى إلى هنا ونكسب مالا ثم نمضى على وجهنا . فينبغى أن نخلف بعض المال فى المدينة » واتفق أن مرّا أمام حانوت عرضت فى واجهته آنية من الخزف الصينى ، فأسرع كاروزو ودخل الحانوت ، واشترى كل ما فيه ، ثم أرسل ما اشترى إلى نيويورك ليوزع على ذوى الحاجة من أصدقائه . وقد دأب بعد ذلك على أن ينفق فى كلّ مدينة بعض المال الذى يتقاضاه فيها على غنائه .

وقد كان كاروزو ، وهو فى أوج شهرته ، رجلا بادناً رَبْعة غليظ العنق ، قد أخذ الصلع يدب فى رأسه . وكان يبالغ فى النظافة إلى حد الهوس ، فكان يستحم مرتين كل يوم ، حتى جعل على حوض الحمام رفاً يضع عليه كتاب الألحان ليدرسها وهو يستحم . فيدَع باب الحمام مفتوحاً ، والعازف جالس إلى البيان فى الحجرة المجاورة ، فيصاحبه وهو يغنى . وكان يجيئه كل صباح من يحلق له ذقنه ويدلك بدنه ويطرّف أظافر يديه وقدميه ، فيتم ذلك كله على عزف نغم الدور الذى ينتظر أن يغنيه فى الحفلة التالية .

وكان يضيق ذرعاً بالذين لا يبالغون كما يبالغ فى النظافة والأناقة . وقد شكا مرة إحدى الممثلات التى ينبغى له أن يغازلها على المسرح ، فقال : « من نكد الدنيا أن تغنى مع مغنية لا تستحم ، أما أن تتاهب حباً لمغنية تفوح رائحة الثوم من فمها ، فأمر مستحيل » .

ولد إنريكو كاروزو فى مدينة نابولى بإيطاليا ، وكان والده رئيس عمال فى مطحنة ، فظل بضع سنين يتلقى بعض العلم فى مدرسة . وكان أبوه يريده على أن يصير طحاناً مثله ، وما كان أبوه ليظفر منه ببعض العمل إلا أن يضربه ضرباً مبرحاً ، ولكن كاروزو لم يكن يبغى سوى شىء واحد فى الحياة : أن يصير مغنياً ، فوجد عند أمه التشجيع الدائم على ما يريد .

كان أول صوت غناه أمام أستاذ موسيقار صوتاً غير موفق ، فقال له الأستاذ جوليلمو فرجينى الذى أذاعت صيته هذه الحادثة : « إنك لك صوتاً كزفيف الريح فى جنبات الغاب » . واستأذن كاروزو فى أن يختلف إلى بيت الأستاذ لكى يستمع إلى الدروس التى يلقيها . أما عن فقره فى ذلك العهد فقد قال لزوجته ما يلى :

«كان ثوبى الأسود قد استحال أخضر اللون ، فاشتريت زجاجة صغيرة فيها صبغ فصبغته قبل ذهابى إلى الفصل . واتخذت صدر قميصى من ورق قطعته لكى أبدو حسن الملبس ، وكان علىّ أن أمشى مسافة طويلة حتى أصل إلى المدرسة . والحذاء يكلف مالا ، فكنت أغنى فى الأفراح والمآتم لاكسب ما يفى بثمن الحذاء ، وكان نعل الحذاء من الورق المقوى ، فما كدت أبلغ منتصف الطريق إلى بيت الأستاذ حتى هطل المطر ، فلما بلغته وضعت الحذاء أمام النار حتى يجف ، فتقوّس حين جف ، فعدت إلى بيتى حافى القدمين» .

وحين انتهى فصل الدراسة امتحن التلاميذ ، فتوسل كاروزو إلى الأستاذ أن يأذن له فى تأدية الامتحان . فسلم فرجينى بأن كاروزو قد أصاب شيئاً من التقدم فى الغناء ، ولكن توسل التلميذ لم يقنعه ، ومع ذلك ظفر لكاروزو بعمل فى حفلة أو حفلتين ، ثم بعمل فى الأوبرا ، على أن يتدرب على صوت المثالث الذى يغنيه أحد المغنين فى فرقة جوالة ، (المثالث غناء الرجل غناء شديداً عالياً) ، وأن يحل محله إذا عاق ذلك المغنى عائق عن الغناء .

ووصلت الفرقة ذات يوم إلى مكان يقطنه نفر من أصدقاء كاروزو ، وقدّر هو أنه لن يدعى ليحل محل المغنى الأول ، فانضم إلى أصحابه فأقاموا يغنون ، واحتسوا مقادير كبيرة من الخمر . وكان كاروزو ثملا حين جاء من يدعوه ليحل محل المغنى الذى أصابته وعكة ، فهرع إلى المسرح ، وأجادفيها غناءه ، ولكنه ترنح من السكر ، فارتاع مديرو المسرح ، وضجّ الجمهور بالضحك وجعلوا يصرخون : « أوبرياكو » أى السكير .

فطرده المدير ساعة انتهى من غنائه ، فعاد المغنى الشاب كسير القلب يتعثر فى ذيول الخيبة إلى بيته ، فقد أتيحت له فرصته الأولى فلم ينتهزها . ولكنه لم يكد يصل إلى البيت حتى جاءه الرسول حسيراً يلهث لينبئه بأن الجمهور ، قد ضج استياء من المغنى الآخر حتى أخرجه من المسرح ، وأنهم يدقون الأرض بأرجلهم وينادون يريدون « السكير » ، فعاد كاروزو فأحرز نصراً عظيماً .

ومنذ ذلك اليوم أخذ كاروزو يتقدم تقدماً مطرداً ، فصار خلال السنوات العشر التالية من أشهر مغنى المثالث فى الأوبرا الإيطالية . وغنى فى كثير من بلاد أوربا ، ثم دعى إلى أوبرا متروبوليتان فى نيويورك ، فغنى فى حفلته الأولى فيها أوبرا «ريجوليتو» .

يقول كاروزو إن صفات المغنى العظيم ، هى : صدر واسع ، وشِدْق رحيب ،

وذاكرة قوية ، وبعض الذكاء ، وجلد عظيم على التمرن ، وشعلة تتوهج فى القلب » . وقد كان كاروزو متصفاً بجميع هذه الصفات فى عقله وعاطفته وبدنه وأخلاقه .

فقد كان واسع الصدر ، وكان يستطيع أن يزيد سعته تسع بوصات !

كان قبل أن يذهب إلى المسرح ، يجرى على نظام ابتكره لنفسه ، فيتغرغر أولا بماء ملح فاتر ، ثم يستنشق قليلا من نشوق سويدى لتنظيف منخريه ، ثم يشرب ملء قدح من الوسكى ، فملء قدح من ماء الصودا ، ثم يأكل ربع تفاحة . وكان يدس فى جيوبه قارورتين من الماء الملح الفاتر ، يشربه إذا ما شعر وهو يغنى أن حلقه قد جفّ وانطبق ، وكان إذا حدث ذلك يستدبر النظارة ويشرب ماء إحدى القارورتين على عجل ، وهو ماض فى الغناء ، فلا يدرك أحد ما تمّ .

وكان النقد يثير غيظ كاروزو ، وقد حدث مرة أن قسا نقاد بوسطن فى نقد حفلة أقامها ، فأقسم ليتنعنّ عن الغناء فى تلك المدينة مرة أخرى — وقد فعل . ولكنه كان على الأكثر رجلا سمحاً مرحاً ، وكان يحب الدعابة والمزاح ، ولا تزال بعض دُعاباته مذكورة حتى يومنا هذا . فى إحدى حفلات الأوبرا « توسكا » انحنى المغنى أنطونيو سكوتى ، ليرفع فرشة من تحت لوحة المصور ، فوجدها مثبتة لا تتحرك ، فقد سمّرها كاروزو فى أرض المسرح .

ويروى داڤيد إيون . فى كتابه : « أصغ إلى الكلام الساحر » ، أن كاروزو والمغنية جيرالدين فرار ، كانا ذات يوم يسجلان أغنية من أوبرا « مدام بترفلاى » ، وكان العمل طويلا مضنياً ، فهرع كارورو إلى حانة قريبة ليصيب قليلا من شراب يحرك نشاطه . فلما عاد وواصل غناءه مع جيرالدين ، دست المغنية فى نشيدها « لقد شربت قدحاً من الوسكى » فرد عليها كاروزو وهو يغنى : « كلا بل شربت قدحين » . فصارت الأسطوانة التى سجلت عليها هذه الأغنية ، من الطرائف التى يعتز بها الذين يحرصون على جمع التحف النادرة .

ولعل أرق ما يروى عن حياته العجيبة ، كان قصة زواجه . كان فى الخامسة والأربعين وقد بلغ أوج مجده حين التقى بدوروثى بارك بنجامين ، وكانت فتاة غِرّة شديدة الحياء فى العشرين من عمرها ، وقد خرجت لساعتها من مدرسة فى دير ، فطارحها الغرام وتزوجها ، دون أن يباليا باستنكار أسرتها المحافظة العريقة .

وقد عاشا معاً ثلاث سنوات كانت أشبه ما تكون بقصيدة أو حلم ، وإنك لترى نور

سعادتهما يشرق من صفحات الترجمة التى كتبتها له ونشرت فى السنة الماضية ، بل هى أشد إشراقاً من صفحات رسائله إليها . وقد كتبت هذه الرسائل بأسلوب إنجليزى عجيب ، لم تزده كثرة الأخطاء فى الهجاء والقواعد إلا طرافة وجمالاً .

وقد عاش الزوجان عيشة هادئة مطمئنة فى شقة من فندق بنيويورك ، فما كان يطيب لكاروزو أن يكثر من الاختلاط بالناس ، لأن الجماهير كانت تزعجه ، فكانا يقضيان معظم الوقت فى شقتهما ، فيلبس هو نظارته الذهبية ويكبّ على إلصاق الطوابع فى دفتره ، وتعمد هى إلى المطالعة . وكثيراً ما كان يحس بالجوع قرب منتصف الليل ، فيطلب رغيفاً وشرائح من اللحم ، فيشق الرغيف ويصنع شطيرة يأكلها .

وكان كاروزو ، إذا ما قبل دعوة إلى العشاء ، يبلغ صاحبة الدعوة أنه يحب أن يجلس إلى جنب زوجته ، فيقول للرسول : « قل لها إنى تزوجت امرأتى لأكون معها ، فإذا دعا داع لانفصالى عنها ، فإننى أوثر أن ألزم بيتى » .

وفى ديسمبر سنة ١٩٢٠ كان كاروزو يغنى أغنية فى الفصل الأول من أوبرا « إكسير الحب » ، فانفجر شريان فى حلقه ، فأصرّ على أن يمضى فى الفصل حتى نهايته . وقد روى أحد مخبرى نيويورك تيمس قصة ما حدث فقال :

« ألقى كاروزو منديله المضرج بدمه ، ثم جعل أفراد الفرقة يدنون منه واحداً بعد واحد ، فيدسون مناديلهم فى يده حتى اصطبغت جميعاً بدمه ، وظهرت على شفتيه حيناً بعد حين قطع من الدم » .

وكانت زوجته جالسة فى الصف الأول فجعلت تتوسل إليه سُدًى أن يترك المسرح.

وعاد إلى مسرح متروبوليتان فى مساء الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، ولكنه لم يقو على المضىّ فى غنائه ، فعملت له سبع جراحات فى خراجات كانت فى رئتيه ، ولكنه لم يغنِّ أبداً بعد ذلك . وفى صيف السنة التالية أبحر إلى نابولى ، وهناك أدركه أجله فى فندق صغير يطلّ على خليج نابولى ، وكان فى الثامنة والأربعين .

وقد كتبت دوروثى كاروزو فى كتابها : « جلست إلى الراديو أصغى إلى صوته المسجل وهو ينشد إحدى الأغانى إنشاداً رخيما فى حفلة أقيمت لذكراه . ومثل هذا التقدير كان خليقاً أن يثلج صدره ، ولو علم به لقال : جميل منهم أن يتذكروا بعد هذا الزمن الطويل » .

أراد طلاب جامعة كاليفورنيا أن يعرفوا الحق سافراً صريحا

التعليم الجنسي في المدارس

دين جننجز

مختصرة من مجلة " كوليرز"

اجتمع في قاعة المحاضرات بجامعة كاليفورنيا ببركلي حشد فيه ٦٠٠ طالب وطالبة تتراوح أعمارهم بين ١٧ سنة و ٢٥، وكنت تسمع حفيف الورق وصرير الأقلام ، كالعهد بأي فصل في مدرسة .

وتكلم الأستاذ فقال بصوت هادىء :
« سئلت عن اللواط والسحاق أيمكن أن يعالجا ؟ وردي « نعم » و « لا » ، فإن ثمة نوعاً من الشواذ أسيء توجيه طبيعتهم الجنسية منذ الطفولة بحيث لا يجدي الطب وعلم النفس كثيراً في شفائهم . وثمة آخرون تردوا في هذه العادات القبيحة اضطراراً ، وهؤلاء يمكن شفاؤهم إذا أرادوا . فإن كان منكم أحد يهمه هذا الموضوع فليقابلني بمكتبي لنتحدث في الأمر ملياً » . لم يكاتم أحد منهم ضحكا ، ولا تحرج أحد أو خجل .

ومضى الأستاذ يقول : « بقي سؤال واحد . يريد أحدكم أن يعرف فرق ما بين الحب والفتنة . ولا أظنهما يختلفان ، فإن الفتنة قد تكون صادقة خالصة كالحب . والمهم هو أن يكون في الحب الذي تحمله من الاسباب ما يزيده قوة على مر السنين » .

فلما انتهت ساعة الدرس وفترة الأسئلة ، عاد الأستاذ نويل كيز إلى مكتبه ليستمع إلى الاستشارات الخاصة ، وليعد محاضرة أخرى عن « الشباب والزواج اليوم » .

حضر هذه الدروس الصريحة العجيبة ١٠٫٠٠٠ شاب وشابة ، منذ كان إنشاؤه المحفوف بالمخاوف ، لست سنين مضت . وقد برهن الدكتور كيز على أن الشباب يريد معرفة الحقائق الخالصة عن الحياة والحب . وهو كما قال أحد الطلبة : « إننا نميل إلى هذه الدراسة لأنها صريحة لا مواربة فيها . فإن أسئلتنا تجد جوابها دون تهرّب » .

ويفخر كيز بأنه تلقى مئات من الرسائل ، وزاره كثير من طلبة تزوجوا بعد إتمام الدراسة ، فلم يسمع قط أن زوجين أخفقا في زواجهما بعد أن حضرا هذه المحاضرات .

ولعل أعظم ما يعتز به الدكتور كيز من النتائج هو ما يبلغه عن أولئك الطلبة الذين ينقلون ما حصلوه من علم جديد إلى آبائهم . وقد زاره بمكتبه أحدهم وقال له : « لقد

حملت إلى والدتى أنباء دراستى ، وأطلعتها على مذكراتى، فقالت لى إنها ودّت لوكانت عرفت شيئاً عن هذا من قبل » .

وكتب طالب آخر يقول : « لم يعلمنى أبواى شيئاً قط ، والحق أنهما لم يكونا على علم بشىء من ذلك حتى يعلمانى . وإن هذا التعليم كان خليقاً أن يحول دون افتراق أبوىّ ودون طلاق شقيقى » .

ومما يذكر أن تلاميذه قد أبدوا عن تجربة واختبار ، بأغلبية ٩٩ صوتاً لصوت واحد ، مبدأ التعليم الجنسى الصريح فى المدارس ، لمن يتجاوز السادسة عشرة .

أما مقرر الدراسة الراهن، فقد أحاطت بنشأته أحداث شديدة . فقد تفاقم الشعور فى جامعة كاليفورنيا فى شتاء عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ بالحاجة إلى منهج فى موضوع الجنس والزواج ، وامتلأت أعمدة صحيفة الطلبة برسائل تنم على التخوّف من الزواج وضياع الثقة فيه. وذات يوم أعلن نادى طلبة الطب عن سلسلة محاضرات فى نظرية فرويد فى الجنس . وازدحمت المقاعد بمئات من غير المدعوين، وغصت بهم أروقة النادى. وسرعان ما قامت قيامة الجمهور ، ورُفع احتجاج شديد وقع عليه ٨٠٠ سيدة من المتدينات الصالحات بمنطقة خليج سان فرنسسكو . ولم تلبث السلطات الجامعية أن ألقت بهذه المسألة الشائكة إلى الطلبة أنفسهم ، فتولى اتحاد الجامعة استفتاء الطلبة فى المسائل الآتية : هل ينبغى للجامعة أن تهيىء منهجاً فى الجنس والزواج ؟ وهل ينبغى أن يكون للجنسين على السواء ومتاحاً لجميع الطلاب؟ وقد أجاب نحو ٢٧٠٠ طالب على السؤالين بنعم ، وذلك بأغلبية ساحقة .

وألفت لجنة فى الجامعة فاختارت الدكتور كيز أستاذ علم النفس بالجامعة ، ليضع هذا المنهج. وكان خير اختيار، فقد ظل الدكتور كيز سنين يدعو إلى هذه الفكرة ، وكان هو نفسه مثالا من أمثلة الزواج الهانىء السعيد.

ووضع الدكتور كيز والدكتور تشونسى ليك أحد أساتذة كلية الطب ، حلقة من المحاضرات فى كل أسبوع ، تعالج المسائل المتصلة بالجنس وبالزواج ، وعلاقات الأسر . وضمنوها بحث مسألة المغازلة ومسألة الجاذبية من الوجهة النفسية، والزواج التجريبى، وقمع الشهوات، والمباضعة، وشهر العسل، والأبوة، وسن الزواج ، وتدبير مال الأسرة .

أراد الدكتور كيز فى محاضراته الأولى أن يكون جاداً ثقيلا فى كلامه حتى لا يشجع من يبتغون الشهوة أو الهياج الجنسى . وقد ضم الدكتور كيز فيما بعد إلى معونته جماعة من المتخصصين النابهين ، ليتولوا تدريس مختلف فروع المنهج .

ولم تُغفل في هذا المنهج أية ناحيـة من نواحي الحياة الجنسية من سن المراهقـة إلى سن اليأس (انقطاع الحيض) . وقد ساعدت الأفلام والمصورات والفانوس السحري على تجريد الأمور الجنسية من الغموض والأسرار التي كان الطلبة يتهامسون بها في جهل وخشية وهم في غرف النوم .

وقد دعا الدكتور كيز في مبدأ الأمر سامعيه إلى توجيه أسئلة إليه ، ولكنه لم يجد مجيباً . ثم عنّ له أن يدور على الحضور بصندوق مثقوب يضعون فيه مايتحرجون من إبدائه جهاراً . فلم يلبث أن انهالت عليه الأسئلة ، فكان يقرأ كل سؤال ويجيب عليه من فوره . وإذا كان الموضوع من اللطف والدقة بحيث لا تمكن الإجابة عليه في هذا الدرس الصريح ، ناقشه في مكتبه مع السائل .

وإليك بعض أسئلة أخذت اتفاقاً من بين آلاف الأسئلة التي جمعها الدكتور كيز :
هل تسبب عقاقير منع الحمل السرطان ؟
أصحيح أن أكل البيض يهيج الشهوة ؟
هل تسبب أشعة الرادار عقماً في الرجال ؟
أي توفيق يُرجى في زواج يعقد على عجلة ؟

قد تقولها أسئلة سخيفة ، ولكنها على نقيض ذلك فيما يقول الدكتور كيز ، فهي صدى الجهل المطبق والمآسي المتوقعة ، وهي دليل على حاجتنا إلى التعليم الجنسي في مدارسنا . وإنك لتتبين في ثنايا كل سؤال منها شاباً أو شابة تبحث عن الحقيقة .

ولطلبة الدكتور كيز آراء ملؤها التفاؤل في موضوع الزواج . وقد قرر عشرون في المئة من الطلبة أنهم كانوا يعيشون إلى أن بلغوا السادسة عشرة في أسر هدّ الموتُ أو الطلاق كيانها . بيد أنه اتضح لهم حين أعربوا عن آمالهم كتابة ، أن ٩٥ في المئة يريدون الزواج ، وأنهم جميعاً تقريباً — ٩٧٫٥ في المئة منهم — على ثقة من أن سعادتهم في الزواج ستدوم لهم ما عاشوا . وهم يرون أيضاً أنه ينبغي أن يكون لكل زوجين أربعة أولاد .

والدكتور كيز اليوم ، رجل من رجال التعليم المرهقين بالعمل ، فإنه يقوم على الدراسات الجنسية ، ويستمع إلى الاستشارات الخاصة طول أيام الأسبوع ، ويجيب على الأسئلة من الكليات والمعاهد الأخرى التي يهمها أن تسير على غرار المنهج الذي وضعه . وقد ظل في نصيحته لطلابه حكيماً سديداً ، ومن دأبه أن يقول لهم : « ليس ثمة شيء يجد المرء راحة في إتيانه مع غير زوجه ، إلا وجد راحة في إتيانه مع زوجه — ولعلها تكون راحة أتمّ وأعظم » .



العمال وأصحاب الأعمال يتعاونون على إنقاذ الصناعة البريطانية

ستانلى هاى

دخلت بريطانيا أريد أن أرى كيف يعدّ حزب العمال عُدّته لتكفين اقتصاد بريطانيا الحر فى كفن اشتراكى ، غير أنى رأيت العمال يتعاونون هم ومديرو الأعمال على إحياء الصناعة والتجارة فى بريطانيا . وقد أقبل العمال البريطانيون على بناء مستقبل الأمة إقبال الشريك الكامل الحقوق ، الشاعر بتبعته فى عمل مشترك .

ولذلك لا ترى جو الصناعة فى بريطانيا ملبداً بالقتام والقنوط ، بل هو منعش حافز للعزائم . فلست ترى رجال الصناعة ترتعد فرائصهم ، ولا تراهم يتصاولون أو ينزحون إلى كندا ، بل تراهم مقبلين على إصلاح الصناعة البريطانية إصلاحاً لم تعرف أرجَى منه نفعاً منذ مئة سنة مضت .

وهذه الحقائق أروع وأجل شأناً من العلم الاشتراكى الذى يخفق فوق حزب العمال ، وهى عند البريطانيين أعظم نفعاً من القروض والاعتمادات وسياسة التفضيل الإمبراطورى . ولكى تستأنف الصناعة البريطانية نشاطها وتبلغ أقصاه ، عقد الفريقان بملء حريتهما اتفاقات جديدة تحدد الأجور وساعات العمل ، وتشمل مناجم الفحم ، والزراعة وصناعة القطن ، وأعمال البناء وغيرها من الصناعات الصغيرة . وقد عدّلت اتحادات العمال الأساليب التى لم تزل تعتز بها وتحافظ عليها . وقد وافق العمال على الاحتفاظ بقواعد السيطرة على العمل التى ولدتها الحرب ، حتى يضمن أكبر قدر مستطاع من الإنتاج فى زمن السلم . وقد أنشئت « لجان مشتركة للإنتاج » فى أكثر من خمسة آلاف مصنع ، فيتبادل فيها العمال والمديرون ما كسبوه بالتجربة من أساليب لتحسين الإنتاج .

نعم ، إن ثمة فئة قليلة متطرفة يقودها رجل بليغ اللسان قليل الخطر ، هو الأستاذ هارولد لاسكى ، وهى تدعو إلى تطبيق المبادىء الاشتراكية جميعاً غير مبالية بالعواقب ، ولكن اتحادات العمال البريطانيين التى يستمد حزب العمال كل قوته منها ، ترى أن العواقب أعظم شأناً من الاشتراكية .

والعاقبة التي تسمو في نظرها على كل اعتبار آخر ، سواء أكان مبادىء ماركس أو مبادىء الرأسمالية ، إنما هي رفع مستوى الحياة في بريطانيا . وليس لتحقيق ذلك ، في نظر اتحادات العمال ، سوى وسيلة واحدة ، هي أن تنفض عن أعطاف الصناعة البريطانية أسباب الضعف والتخلف ، وأن تسلك أقصر الطرق وأفضلها إلى تحقيق أعظم قدر من الإنتاج في زمن السلم .

وليس ثمة من هو أصدق تعبيراً عن رأي العمال من هربرت موريسون زعيم الحزب في مجلس النواب . فهو يقول : « إن الأمة تريد دخلا أعظم جداً من دخلها اليوم ، وتريد عملا لكل عامل ، ومقادير كبيرة من الصادرات ، وإنتاجاً لا يقعد به ضعف أو بطء ، وسنظفر بكل ذلك . وإذا لم يكن بدّ من أن تملي الأمة إرادتها على أصحاب الأعمال الكبيرة ، فسوف تمليه . وليس يهمنا إلا النتائج . وقد نستطيع أن ندافع عن حرية النشاط الاقتصادي ، ولكن لا يسع أحداً أن يدافع عن حرية التخاذل والجمود .

« ونحن لا نطالب بتحويل المرافق ملكا للأمة لأن ذلك هدف في حد ذاته ، ولا لأنه شعار حزبي ، بل لكي ننتفع بمواردنا القومية أفضل انتفاع من أجل الخير العام . وإذا كان تحويل المرافق ملكا للأمة يحقق هذا الغرض ، فينبغي أن نحولها ، وإذا كان في وسع النشاط الاقتصادي الحر أن يحققه ، فلنبق على النشاط الاقتصادي الحر » .

وقد قال أحد زعماء اتحاد العمال منذ عهد قريب : « قد يسرنا أن نغلب سادة الصناعة على أمرهم ، ولكن ذلك يؤذي الصناعة والإنتاج . ومواجهة الأمور العظيمة في الفترة التي تلي الحرب ، تقتضي منا جميعاً أن نتضافر ، وعندي أن المشاركة الشريفة بين الفريقين ، هي خير وسيلة للتضافر » .

وقد حدثت إضرابات في بريطانيا خلال الحرب ، وحدثت إضرابات بعد انتهائها ، وفي طليعتها إضراب عمال الموانىء الذي لم يسمح به اتحادهم ، ولكن التضافر الصناعي في بريطانيا قد اجتاز مرحلة الكلام ، فهو يبشر اليوم بانتهاء الصراع الصناعي الذي يدور على الأجور وساعات العمل .

وقد كانت أحوال العمل في بريطانيا خلال الحرب ، أشد إرهاقاً مما كانت عليه في الحرب العالمية الأولى . فكانت ساعات العمل أطول ، وأحواله أسوأ ، فكانت مطالب اتحاد العمال أخطر شأناً . ومع ذلك ففي السنة الواحدة خلال الحرب العالمية الثانية ، لم يضيع عمال بريطانيا بإضرابهم

من ساعات العمل إلا خمس ما ضيعوه فى الحرب العالمية الأولى .

ويوم انتهت الحرب ، لم يرفع الغطاء عن مرجل يفور ، ولم يبلغ ما ضيع بالإضراب من ساعات العمل بين أول يناير وأول أكتوبر من سنة ١٩٤٥ إلا ثلث ماضيع منها بين أول يناير وأول أكتوبر سنة ١٩٤٤ .

وهذا لا يعنى أن العمال قد كفوا عن السعى إلى زيادة الأجور وتحسين أحوال العمل ، ولكنه يعنى أن العمال يرضون بنصيبهم من التبعة فى إحياء الصناعة التى يرجون أن يظفروا منها بتحقيق ما يصبون إليه .

إن لاتحاد الهندسة ٨٧٠ ألف عضو فى صناعات المعادن والفلزات ، وقد عنى هذا الاتحاد قبل نهاية الحرب ، بثلاث دراسات وافية ، كان همها أن تستطلع آراء العمال فيما ينبغى عمله « حتى تعود بريطانيا ثانية دولة صناعية من الطبقة الأولى » .

والقيام بهذه الدراسات وحسب ، عمل عظيم فى حد ذاته . وأعظم من ذلك ما كشفته من آراء العمال ، فقد وردت شكواهم من قلة الدخل فى طائفة كبيرة من الأجوبة ، ولكن هذه الشكوى اقترنت بها شكاو أخرى من ضعف التعاون بين الإدارة والعمل ، وسوء أساليب العمل ، وقلة آلات الصناعة ، ووضع بعض العمال فى غير مواضعهم ، وتعطل بعض الآلات . ولم تكن زيادة الأجور فى رأيهم هى الحافز الوحيد ولا الحافز الأكبر لتحريك همة العمال وتعزيز الإنتاج .

ويقول السر ستافورد كريبس ، وزير التجارة فى حكومة العمال : « لقد آذنت بالزوال تلك الأيام التى كان ينبغى فيها لزعماء اتحاد العمال ، أن يكون أحدهم مفاوضاً شديد المراس وكفى ، لا همّ له إلا مناضلة أصحاب الأعمال لرفع الأجور وتحسين أحوال العمل . أما اليوم فإنه ينبغى لاتحادات العمال أن تضطلع بنصيب عظيم من تبعات الإنتاج . وإذا لم يتحقق هذا التضافر الديمقراطى الصادق فسوف يشق على المصانع أن تنتج إنتاجاً نافعاً » .

وقد مهدت الحكومة لإحياء صناعة النسيج الهالكة المتخلفة فى لانكشير ، بتعيين لجنة مهمتها أن تضع خطة جديدة لأجور العمال ، وجعلت أعضاءها أربعة من أصحاب المصانع ، وأربعة من رجال اتحاد العمال ، ورئيساً من كبار رجال القانون .

وقد أجمع الأعضاء على القرارات التى اتخذوها ، فطلبوا أن يزداد الأجر الأساسى من ١٥ إلى ٢٠ فى المئة ، وأن تتساوى أجور الرجال والنساء إذا تساوى العمل ،

وأن يخفض عدد العمال من الصغار ، وأن تزداد أسباب تدريب العمال الحاذقين ، وأن تحذف الأعمال التي لا تفضي إلى ترقية العامل.

وقد كان هذا التقرير خليقاً أن يسخط زعماء العمال الذين يريدون أن يظفروا من أصحاب العمل بأجور أعلى ، وأصحاب العمل الذين يريدون أن تكون زيادة الأجور أقل . ولكن العمال وأصحاب العمل ورجال الحكومة عدُّوا هذا التقرير دستوراً للصناعة.

والنتيجة التي انتهى إليها هـذا الاتفاق الذي تمَّ على رضى ووفاق بين العمال وأصحاب العمل ، لا تقل شأناً ومغزى عن الاتفاق نفسه ، وذلك أنهم رأوا أن « من الأمور الجوهرية أن يرسخ الاعتقاد بأن رجال الإدارة من ناحية ، والعمال من ناحية أخرى ، لا يخدمون مصالح متناقضة ، بل همهم جميعاً واحد ، وهو أن يتعهدوا سلامة الصناعة وكفايتها » .

إن التضافر الصناعي في بريطانيا لم تلده الحرب تضافراً سوياً تاماً ، فقد استغرق نموه زمناً طويلا .

وقد كان الطلائع من زعماء اتحاد العمال رجالا من أولي العزم والأخلاق ، يحركهم يقين قوي بأن لهم رسالة يجب أن يؤدوها ، هي أن «يحسِّنوا حالة» العمال في بريطانيا . ولم يعتمدوا في تعزيز اتحاداتهم وتوسيع نطاقها على أوامر القانون ، أو تدخل الحكومة، بل أفرغوا دعوتهم في قالب إنساني أدبي ، وأقاموها على قاعدتين : حسن إدراك العمال ، وضمير الشعب البريطاني .

وليس في بريطانيا قانون يفرض على اتحادات العمال أن يرفعوا إلى الحكومة بياناً يذكر فيه دخلها وخرجها ، ولكنها جميعاً تكاد تفعل ذلك .

وكلمتا السر في العلاقات الصناعية البريطانية هما « الرضى » و « حسن النية » ففي جميع نواحي الصناعة البريطانية ترى « المساومة المشتركة » قاعـدة متبعة ، ولكن ليس في بريطانيا قانون يفرض على صاحب عمل أن يقبل مساومة عماله جملة واحدة . وليس ثمة قانون لإرغام صاحب العمل أو الاتحاد على تنفيذ اتفاق عقـد بينهما بالتراضي ، ولا يقوم تنفيذه إلا على رضى الفريقين وحسن نيتهما . وقد كان ذلك كافياً .

وقد قال بيفن الذي خرج من بين الدهماء وشق طريقه إلى منصب وزير خارجية بريطانيا : « إن تسوية الأجور تتم في ألوف الحالات بكلمة بين رجلين ، وقلما تقيد بالكتابة، وما هي إلا اتفاق بين رئيس العمال أو المدير وبين ممثل اتحاد العمال وقد يتم الاتفاق بالتلفون ، ومع ذلك ترى كل أحد يقبله على أنه كلمة شرف . وقليل من الدول استطاع

أن يفعل ذلك بمثل هذه الثقة المتبادلة » .

منذ عهد قريب أذاعت شركة الإذاعة البريطانية ، مناقشة موضوعها « أعمال للجميع » ، فاشترك فيها رجل من أرباب الصناعة وآخر من زعماء اتحاد العمال .

قال الأول : « إذا ظفرنا بأعمال لجميع العمال ، وجب على صاحب العمل أن يغير رأيه تغييراً كبيراً . وينبغى للتاجر أن يعد نفسه خادماً للمصلحة العامة ، لا خادماً لمصلحته الخاصة ، ثم قال : وينبغى للتاجر أيضاً أن يطلع الجمهور على دخيلة أمره ليظفر بثقته ، وأن يكون رحب الصدر صريحاً فى معالجة كل نقد يوجه إليه فى مسائل أجور العمال وأسعار السلع ، وأن يعزز التفاهم والتعاون بين الجماعة التى تدير المصنع وعماله . فالعمل كله ينبغى أن يكون شركة وثيقة العرى — فئة متضامنة » .

وقد قال أحد زعماء اتحاد العمال منذ عهد قريب : « إذا انطلقنا إلى غاية الجهد لكى نوسع نطاق العمل ، فإن فريق العمال يريد أن يزداد نصيبه من الإشراف على توفير أسباب الكفاية فى الإنتاج ، ولن ترى الاتحاد يقف حائلا دون أى تحسين تقتضيه خطة عامة غرضها توفير العمل الجميع ، بل ستراهم يطالبون بأساليب جديدة وآلات جديدة . وإذا اطلع العمال على كل ما يحدث ، واخذ رأيهم فى الوسائل والأساليب ، رأيتهم يقبلون على الإنتاج بفكرهم وعزمهم جميعاً » .

وإطلاع العمال على كل ما يحدث ، واستشارتهم فى الوسائل والأساليب ، خطة مرعية فى كل عمل صحيح . وقد استفتت إحدى الصحف جماعة من كبار أرباب الصناعة ، فأسفر الاستفتاء عن موافقتهم على الاحتفاظ بما اقتضته الحرب من إنشاء « لجان مشتركة للإنتاج » فى مصانعهم .

وقد جازت مدينة كوفنترى الصناعية سنوات الحرب ، وهى تجوز اليوم مرحلة التحول إلى إنتاج السلام ، دون أن يحدث فيها نزاع صناعى يذكر . وقد عهد رجال الإدارة فى أحد مصانع السيارات فيها ، إلى لجنة الإنتاج المشتركة ، فعرضوا على العمال مشكلة هذا التحويل عرضاً صريحاً . وكان مما عرضته طلبات تلقتها الشركة لصنع سيارات جديدة قيمة ١٦٥ مليون ريال . وقد رأيت السيار الأولى تخرج من خط التجميع ، وزرت المصنع الجديد الذى ينتظر أن يضاعف أقصى قدر من الإنتاج بلغه قبل نشوب الحرب .

وقال أحد أعضاء مجلس الإدارة : « لن نعود إلى استقلال المديرين بإدارة

المصنع ، فليس يسعنا أن نقبل ذلك » .

وقد تحدثت عن لجان الإنتاج المشتركة مع ممثل وزارة التجارة في مانشستر ، وبعض عمله أن يحضر اجتماعات هذه اللجان ، فقال : « قــد تشهد عشرات من هذه الاجتماعات وتبقى في أحدها ساعة أو أكثر ، ثم لا تدرى مَـن مِن أعضائها الذى يمثل الإدارة ومن منهم الذى يمثل العمال » .

وقد زرت مصنعاً قرب مانشستر فرأيت رئيس العمال ومدير المصنع يتناوبان رئاسة اللجنة ، فأشار رئيس العمال إلى بعض الآلات وقال : « كان يقوم على كل آلة رجــل واحد ، ولو ظل النظام القديم قائماً ، لأصررنا نحن العمال على ملازمة هذا الأسلوب . ولـكن عمالنا ابتكروا لأنفسهم طرقاً لتيسير عمل العامل ، فترى أحدهم الآن قائماً على ثلاث آلات لا آلة واحدة كما كان فيما مضى » .

وقد شكا عمال هذا المصنع ثلاثة من المشرفين عليهم — وهم من أعضاء اتحاد العمال — وكانت حجتهم أنهم غير أكفاء ، وأنهم يعطلون الإنتاج ، فطردوا من عملهم .

وهذا مثل لما يحدث فالعمال البريطانيون مقتنعون أنه ينبغى للصناعة البريطانية أن تكفل أولا مقداراً أكبر من الأعمال ، حتى يظفر العمال بما يريدون من أجور أعلى من أجورهم ، وبيوت أفضــل ، وبقدر أعظم من متع الحياة . وهم لا يترددون فى الموافقة على أن زيادة عمل المصنع يقتضيهم أن يظلوا زمناً ما يبذلون أكثر مما ينالون .

والعمال لا يجدون اليوم غضاضة فى أن ينقل أحدهم من مكان إلى مكان ، أو من صناعة إلى صــناعة ، إذا ما قضت بذلك ضرورات إنعاش الاقتصـاد البريطانى ، أو الحاجة الملحة لزيادة الإنتاج . وقد اقترح مجلس مؤتمر اتحاد العمال ، لا مديرو المصانع ، أن كل عامل يأبى أن يعمل فى إحــدى الصناعات التى لا غنى عنها بالأجر المتفق عليه مع الاتحـاد ، ينبغى أن يحرم من المكافأة التى ينالها العاطلون .

يقول كاتب فى مجلة اتحاد المهندسين : « من المعقول أن نتوقع أن ينزل العمال عن بعض شروطهم وأساليبهم المتبعة ، التى تضعف كفاية المصانع فى إنتاجها » .

ومنذ عهد قريب ، وفق صمويل كورنولد أحد كبار رجال الصناعة البريطانية ، إلى وصف موجز للموقف فقال : « إن ما تتضافر عليه قوى العمال وأصحاب الأعمال فى بريطانيا اليوم ليس اشتراكية ، بل هو بحث عن طريق وسط ، وهو خليق أن يجدى أعظم جدوى » . فإذا تمّ ذلك كان فتحاً رائعاً لا يفوقه فتح آخر منــذ بدأ عصر الآلة ، والدلائل كلها مبشرة بالنجاح .

حقنة واحدة من البروستجمين ! وماهى إلا عشر دقائق حتى تفتحت الأجفان المرتخية ، وبعد دقائق أخرى استطاع المرضى أن يرفعوا أذرعهم الكايلة فوق رءوسهم ، وعادوا فتنفسوا بيسر بعد أن كانوا مهددين بالاختناق، وأحسوا بفيض من القوة يتدفق فى أبدانهم . وقال أحد الأطباء الذين شهدوا التجربة : كنت ترى المريض كأنما نقل من نار إلى جنة .

ولم يكن فى الأمر سوى أن البروستجمين زاد مقدار الأسيتيل كولين القليل فى الجسم . والمصاب بالسكر مضطر أن يداوم الحقن بالأنسولين، وكذلك المرضى بالكلال الخبيث فى العضل ينبغى أن يداوموا على البروستجمين مدى الحياة ، ولكن أخذه أسهل لأنه يؤخذ أقراصاً بالفم .

وهذا المرض قد يميت فى بضعة أشهر ، ولكن الدكتور هنرى فيتس أحد أطباء بوسطن ، ومن القادة الذين يكافحون هذه العلة ، يقول إنه أعطى البروستجمين ١٢٥ مصاباً فلم يمت منهم أكثر من ٢٧ فى ثمانى سنوات .

وسرعان ما أثبت البروستجمين نفعه فى مجال آخر . فهذا الحيضُ تسبقه غزارة فى مقدار الدم الوارد إلى الرحم ، والأسيتيل كولين هو الذى يسيطر على تمدد الأوعية التى تجلب الدم إلى الرحم . وكثيراً ما يؤدى الهمّ وإجهاد العقل إلى تعويق هذا النظام فينقطع الطّمْث ، فيأخذ القلق مأخذه من عدد لا يحصى من النساء فتتساءل إحداهن : « أترانى حاملا ؟ »

وفى قدرة البروستجمين الآن أن يجيب عن هذا السؤال جواباً سريعاً دقيقاً ، فإذا حقنت به امرأة ثلاثة أيام متوالية أسفر الحقن عن نتيجتين : إثبات وجود الحمل إذا كان ثمة حمل ، وعلاج انقطاع الطمث إن لم يكن ثمة حمل . فإذا كانت المرأة صحيحة الجسم، وغير حامل، عاد إليها الحيض فى ثلاثة أيام بعد الحقنة الأخيرة .

ويؤدى إخفاق الأسيتيل كولين كذلك إلى اضطراب حركات العضلات فى ضحايا شلل الأطفال الوبائى ، الذين يصابون بآفات مشوهة مؤلمة يحدثها توتر العضلات . وكثيراً ما يمكن التغلب ببطء على توتر العضل باستعمال الرِّفادات الساخنة، وتحريك عضلات المصاب وتمرينها . أفيمكن أن يعجل البروستجمين شفاء مثل هذه الحالات ؟ نعم ، فقد وصف الطبيبان هرمان كابات وملاند كتاب فى سنة ١٩٤٣ فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية ، أربعاً وعشرين

حالة من حالات شلل الأطفال الشديدة ، عولجت بالطرق الطبيعية المذكورة مضافاً إليها البروستجمين .

فمن ذلك امرأة فى الثلاثين أصيبت بشلل الأطفال ، فشلت أطرافها الأربعة وكثير من عضلاتها ، ورغم مبادرتها إلى العلاج بالطرق الطبيعية ومبالغتها فيه ، ظلت مقعدة ثلاثة أشهر ونصف ، ثم استعمل البروستجمين فسهل عليها أن تقعد بعد ثلاثة أسابيع ، ثم استطاعت أن تمشى بلا معين .

وقد عجل البروستجمين شفاء ٢٢ مريضاً من ٤٢ أجريت عليهم هذه التجارب . وقد بلغ التوتر فى يد أحد المرضى وأصابعه مبلغاً عظيماً حتى أصبحت كالمخالب ، فلم تكد تنقضى ساعة واحدة على حقنة البروستجمين الأولى حتى بدأت تلين وتسترخى .

وقد ثبتت صحة الأمل المعقود على البروستجمين فى أكثر من ٤٠ حالة من حالات شلل الأطفال ، وصفها الدكتور جورج . بوينز فقال : إن العقار قد يسر العلاج تيسيراً جعل علاج ثلاثة أرباع المصابين فى منازلهم أمراً ممكناً . وفى سنة ١٩٤٥ ذكرت طائفة من مكافحى شلل الأطفال فى مدينتى ميلووكى وسان فرنسسكو ، أن البروستجمين إذا صحبته الطرق الطبيعية للعلاج ، يبدأ فى إرخاء توتر العضل حتى فى الدور الحاد الأول من أدوار المرض .

ومن البديهى أن البروستجمين لا يستطيع أن يرد الخلايا العصبية الهالكة إلى الحياة . وضروب الأذى الناشئة فى النخاع الشوكى من شلل الأطفال ، تختلف اختلافاً بيّناً ، ولكن العقار يخفف فى المصابين جميعاً ذلك التوتر المؤلم الذى يقعدهم ، ويُرْجَى لمريض واحد على الأقل من كل أربعة مرضى أن يسترد قدرته على العمل النافع .

على أن المصابين بشلل الأطفال ، فئة قليلة وحسب من الذين يقعدهم توتر العضلات . إن العظام المصدوعة قد تلتئم ، وأذى المفاصل قد يبرأ ، والرثية قد تزول ، ولكن هذه العلل جميعاً قد تترك وراءها مئات الألوف من المقعدين قعاداً يكاد يكون دائماً ، منشؤه توتر العضلات الذى تجعله الطبيعة فى البدء جبيرة تقى من ألم الصدع ، ولكن كثيرا ما يصبح التوتر عادة فيدوم . ويصيب كثيرون من هؤلاء راحة كبيرة فى الحمامات والرياضة اللطيفة والأشعة ذات الأمواج القصيرة والحرارة ، ولكن ألوفاً غيرهم لا يصيبون من هذا العلاج نفعا ما . فأخذ الطبيبان كابات وجونز ٤٣٠ حالة من الحالات المستعصية وعالجاها بالبروستجمين وكان جميع مرضاهم تقريباً من الزَّمْنَى

وكان معظمهم عاجزاً عن العمل منذ سنين، ولم يُقبِلْ أحد منهم للتداوي في هذه التجربة المشهودة إلا حيث أخفقت الطرق الطبيعية والجراحة وغيرها في علاجه.

وواجه البروستجمين يومئذ أشق امتحان لقيه، فساعة شرع الطبيبان يحقنان المرضى به، كفّا عن علاجهم بالوسائل الأخرى.

وكان أحد المرضى رجلا كسرت ساقه تحت الركبة، وظل ١٤ شهراً يعانى آلام التوتر في كعبه حتى أعجزه الألم عن قيادة سيارته أو الصعود في السلم. وبعد انقضاء ثلاثة أسابيع على حقنه بالبروستجمين، زال ألمُه وعاد تام النشاط، ولم ينتكس. وقد عولج ٥١ من المصابين بكسر العظام، فتحسن ٣٩ منهم تحسنا ظاهراً.

وقد وجد كابات وجونز أن البروستجمين ليس دواء للرثية في أدوارها الحادة، ولكن أثره في توتر العضلات الذي يعقبها أثر عظيم. وثمة امرأة شفيت من رَثْية شبيهة بالروماتزم أصابتها منذ أعوام، ولكنها ظلت مقعدة مشوّهة الهيئة تعانى ألماً دائماً. فلما حقنت بالبروستجمين كل يوم مدة أسبوعين استطاعت أن تقف وتمشى للمرة الأولى منذ ست سنوات.

وقد عالج هذان الطبيبان ٤٢٠ مصابا فتحسنت حالة معظمهم تحسناً لا ريب فيه.

وبين الأحياء المحطمين الذين أنقذهم هذا العقار، أفراد كانوا ضحايا للفالج الناشىء من نزف المخ، وهو من أخطر أسباب الموت في العالم، وكل شخص يموت بهذه العلة يقابله ستة أو عشرة يصابون بها فيعيشون عجزة أو أشباه عجزة زمنا طويلا.

وعندما تهلك خلايا المخ في هذه النوائب، فلا أمل في إحيائها. ومع ذلك فإن الطبيعة تحتال فتنشىء للأعصاب سبلا جديدة تدور حول المنطقة التي هلك نسيجها، حتى لقد يتم بعض الشفاء دون علاج. أفيمكن أن يساعد البروستجمين على تمهيد هذه السبل الجديدة بطريقة أسرع وأتم؟

كان بين من وفدوا على الطبيبين كابات وجونز من ضحايا الفالج رجل فلج أيمن جسمه منذ ١٧ عاماً، وكان يبدو أن لا أمل في شفائه، وكانت ساقه اليمنى متقلصة تبعد عقبها عن الأرض خمسة سنتيمترات، وكان فَقاره ملتوياً، وذراعه اليمنى مشلولة، فاستطاع خلال ٢٤ ساعة أن يضع سيجارة في فمه بيده اليمنى. وبعد علاجه شهراً استطاع أن يقف منتصب القامة وعقباه كلتاها تمسّ الأرض، وأصبح فقاره أشد استواء، وتدفقت قوى عضله، وتحسنت مشيته تحسناً جلياً.

وليست ثمة خاتمة أنعس من خاتمة أولئك

المصابين بالمرض المعروف باسم « الشلل المتوتر » الذى يصيب آلافا من الأطفال أثناء الطفولة أو ساعة الميلاد ، فيعجزون عن السيطرة على عضلاتهم . فهؤلاء بشر تمتد أمامهم فسحة الحياة ، إلا أن أملهم فى الشفاء ضعيف. ولكن الدكتور هوارد شاوبل قد قام بتجربة تبشر بالخير فى مستشفى العظام بولاية كارولينا الشمالية، فقد ظل ثمانية أشهر يتعهد عشرة أطفال مصابين إصابة شديدة بالشلل المتوتر فى الذراعين والساقين، ولم تتحسن حالتهم إلا يسيراً برغم ما أجرى لهم من الجراحات ، وما دربوا عليه من رياضة العضلات . وكانوا جميعا يتناولون الطعام من يد معين .

ومع أنهم كانوا جميعا يستطيعون أن يغمغموا كلمات مبهمة ، فما كان أحد منهم يستطيع أن ينطق بكلام مفهوم ، ولم يكن ثلاثة منهم قد خطوا خطوة قط ، وكان سبعة لا يقوون على المشى إلا بمعونة قضبان ممدودة . وبعد أن تعاطوا البروستجمين بالفم شهرين ، ارتقى السبعة من المشى بمعونة القضبان إلى المشى متوكئين على عكاكيز . واستطاع الثلاثة الذين لم يمشوا البتة أن يفعلوا مستعينين بعجلات . وبعد ستة أشهر استغنى ستة عن العكاكيز ، وظل الأربعة الباقون يتوكأون عليها . وبعد ثمانية أشهر استطاع تسعة أن يتكلموا بطلاقة، وحتى الطفل العاشر استطاع أن يتحدث حديثاً بسيطاً .

وقبل أن يبدأ العلاج بالبروستجمين كانت حركات الأطفال العنيفة المضطربة تستلزم أن يقوم على إطعامهم مساعد ، ولكن بعد تعاطيه ثمانية أشهر (مع تمرين العضلات) ، استطاع تسعة من الأطفال أن يأكلوا ويشربوا دون معين، أما الطفل العاشر فلم يكن يحتاج إلى من يعينه إلا حين يشرب . تلك هى اليد التى أسداها البروستجمين إلى أولئك الأطفال الذين كان الرجاء فى شفائهم من التوتر مقطوعا . وكان نجاحه باهراً أيضا فى علاج الذين عاشوا سنوات يعانون أذى أصاب المخ منذ ولدوا .

وقد أخذت رحمة البروستجمين تمتد من الذين أقعدتهم الإصابة ، إلى الذين لم يبتلوا بآثارها بلاء شديداً ، فقد يستطيع العقار أن يعين فى حالات التواء المفاصل الشديد ، وفى الرضوض ، وتصلب العنق ، ووجع الظهر الحاد المزمن ، وحيثما كان توتر العضلات عاملا مهماً من عوامل الألم . وكثيراً ما يكون كذلك .

ولما كان البروستجمين موفوراً وفى متناول الأطباء ، فيُرجى أن يأخذ بأيدى عدد لا يحصى من العجزة، فينقذهم من هذا الشقاء الطويل ويردهم إلى الحياة النافعة .

طفلة كئيبة فى الثامنة ، شقت بدموعها
طريقها إلى قلوب ملايين من رواد السينما



مرجريت أوبريان — طفولة ونبوغ

لوسيل ف. بوش • مختصرة من مجلة "لايف"

هى اليوم فى الثامنة من عمرها ، وقد بدأت عملها فى السينما منذ كانت فى الرابعة ، فمثلت خلال تلك الفترة عشرة أفلام أو أكثر ، منها الأفلام المشهورة — رحلة لمرجريت ، الملاك المفقود ، قابلنى فى سانت لويس — التى أنزلتها بين الممثلات العشر الأول فى هوليوود ، اللواتى ظفرن بإقبال الناس على مشاهدتهن .

وتكسب مرجريت أوبريان خمسين ألف ريال فى السنة من التمثيل فى السينما ، ومثلها من حفلات الراديو التى تدعى إليها ، ومن تسجيل الأسطوانات والأشرطة وغيرها . وترى فى حجرتها تمثالا منحتها إياه الجمعية الغاليّة ، ووسامين نالتهما لنجاحها فى بيع سندات الحرب ، وخاتما من الماس أهداه إليها جيمى دورانتى ، وصورة الجنرال مارشال رئيس هيئة أركان الحزب الأمريكية سابقاً وقد وقع عليها باسمه . وهى مرشدة فى الكشافة ، وقد أنعمت عليها قبيلتان من الهنود الحمر بلقب أميرة ، وتتلقى كل يوم من رسائل المعجبين بها أكثر مما يتلقاه معظم الممثلين . وكل هذا يشهد بنجاحها ، ويدل على أنها أعظم الممثلين الصغار منذ عهد شيرلى تمبل ، ولا يزال الزمن متسعاً أمامها حتى تتفوّق على شيرلى .

تختلف مرجريت أوبريان عن سائر الكواكب من الصغار فى شيئين عظيمين : فهى ليست فتاة جميلة ولا تحسن فناً خاصاً كالغناء أو الرقص ، ولكن لها مزية ، لا تقوّم بمال ، فهى تجيد التمثيل وتحسن منه ما لا يكادون يحسنونه . ومرجريت ممثلة تجيد أدوار الهزل وتجيد الحوار ، وقد برعت فى استغلال سذاجة الطفولة التى تؤثر فى قلوب الناس .

ومما تمتحن به عواطف الممثلات حتى الكبيرات منهنّ ، هى قدرتهن على ذرف الدموع عند الطلب أو الحاجة . وقد ظهرت مرجريت أول ما ظهرت فى مشهد من فلم « رحلة مرجريت » فظلت أربع دقائق ونصف تنتحب وتعول دون أىّ تكلف . وقد بهرت مرجريت كبار الممثلين ، فعبر

ليونل باريمور عن شعورهم أحسن تعبير إذ قال « إذا استثنيت شقيقتي إثيل باريمور، فإن مرجريت هي الأنثى الوحيـدة التي اضطرتني إلى أن أكفكف دموعي بمنديلي منذ ثلاثين سنة » .

وأسلوبها في سائر أعمالها كحفظ دورها مثلا ، أشد تحييراً للعقل من براعتها في التمثيل، فمن النادر ان يزيد نسيانها ما تقوله في فلم كامل على أربع مرات أو خمس ، على أن الممثلين الكبار كثيراً ما يفعلون ذلك في مشهد واحـد وحسب . وقد ألقت في الربيع الماضي ثلاثاً وثلاثين مقطوعة في حفلة إذاعة ، دون أن ترجع مرة واحدة إلى نصّ مكتوب ، وقد اشترك معها في تلك الحفلة كبار قرأوا أدوارهم من أوراق محضرة ، فدهشوا لذاكرتها العجيبة .

ومرجريت تحفظ دورها بالاستماع إلى والدتها وهي تقرأه عليها مرات. وقد شعرت بالذلة يوماً حين ألفت نفسها عاجزة عن قراءة دور مكتوب ، فلما قيل لها إن القراءة ليست أمراً شاقاً ، توسلت إلى أمها أن يتاح لها الإكباب على دراسة القراءة في زمن وجيز ، فدرست في سبعة وستين يوماً ما يقضى فيه أترابها سنتين . ومرجريت اليوم تستطيع أن تقرأ أي كتاب يقع في يدها .

تعيش مرجريت وأمها — وقد مات أبوها قبيـل ولادتها — في منزل بسيط في إحدى ضواحي هوليوود ، وتذهب إلى الإستوديو في التاسعة من كل صباح ، وتقضي يومها فيه ، تمثـل أو تدرس أدوارها ، أو تحضر ثلاث ساعات في المدرسـة التي أعدت للممثلين الصغار . أما الساعات الخمس الباقية من يومها ، فساعة منها للراحة ، وأربع ساعات تقضيها على الأكثر في تعذيب نفسها ، وهو عمل تستمتع به استمتاعاً تاماً ، فلكي تستعد للمشاهد العاطفية ، تعمد إلى التفكير في شيء يحزنها إما بإشارة من المديرين وإما من تلقاء نفسها .

ويقضي قانون الولاية بتوفير نصف ما تكسبه ، فيثمر في « سندات النصر » ، وتشرف أمها على تدبير الباقي فتنفقه على شئون المعيشة . وأما مرجريت نفسها فلا تنال شيئاً مما تكسبه ، إلا دريهمات قليلة تكسبها في لعبة ورق ، أو ثلاثين قرشاً في الأسبوع تأخذها أجراً من أمها على ترتيب أدراج خزانتها .

وأم مرجريت تدعى جلاديس، وهي من أسرة أوبراين ، وقد قضت بضع سنوات ترقص في ملاهٍ طوافة أو في سرك ، حيث لقيت لاري أوبراين ، فتزوجا سنة ١٩٣٤ . وبعد أن ولدت ابنها مرجريت ، ظلت سنتين تطوف في الولايات المتحدة وكندا

وكوبا . وكانت تصحبها شقيقتها ماريسا ، وهى راقصة مثلها . وكانت جلاديس تكثر من الاختلاف إلى دور السنما ، ومعها طفلتها فى أكثر الأحيان ، وكانت الطفلة قد قضت معظم حياتها فى مهد أعد لها فى درج خزانة فى حجرة الفندق .

وكذلك رأت مرجريت العالم العظيم أول ما رأته فى بهو فسيح وعلى ستارة كبيرة ، وشجعها ما رأته فى أمها وخالتها ، فعزمت أن تصير ممثلة سنما يوم صارت قادرة على شيء من التفكير . وأتقنت قبل أن تبلغ الثالثة عدة أدوار ، منها دور سكارليت أوهارا فى فلم « ذهب مع الريح » ، ودور « ليدى هاملتون » ، وكانت تمثلهما إذا دعاها إلى ذلك أى إنسان . وبلغت الرابعة فى سنة ١٩٤١ ، فقررت أن الأوان قد آن لتذهب إلى هوليوود ، فسلمت مسز أوبراين بما أرادته ابنتها .

ومنذ ذلك الحين أصبحت سيرة مرجريت أوبراين انتصاراً متصلا على منافسة قوية وعقبات شداد . وإنك لترى فى كشف حساب أحد المديرين ، النبذة التالية مدرجة تحت رأس « نفقات المكتب » : « مشاهدة صغار من ذوى المواهب ٥٠٠ ريال . محادثتهم ٠٠٠ر٠٠ ريال » . وهذا يدلك على رأى معظم المخرجين فى هؤلاء الصغار .

ثم ترى المكاتب التى تسجل أسماء طلاب التمثيل فى هوليوود ، تدون كل سنة أسماء ٢٤٠٠ من الصغار ، وجميعهم تقريباً يفوقون مرجريت فيما يحسنونه من الغناء والرقص وركوب الخيل وغيرها .

من الطرق المتبعة فى هوليوود لفتح أبواب السنما للممثلين الصغار ، أن يصورهم مصور مشهور يدعى پول هس ، فذهبت بها أمها إليه . فلما شاهدت عدداً جماً من الصغار المتصفين بالجمال والبراعة ، فت ذلك فى عضدها ، وأرادت أن تعود أدراجها . أما مرجريت فأرادت أن تبقى ، فبقيت ساعة أخرى أو نحوها . ثم خرج هس إلى حجرة الانتظار وتلفت وقال مشيراً إلى مرجريت : « إنها ضالتى ... » .

فصورها هس ، ونشرت صورها على غلاف طائفة من المجلات ، وعهد إليها بدور صغير فى فلم « الأطفال على برودواى » . ولكنها لم تستهل حياتها ممثلة فى السنما إلا فى فلم « رحلة لمرجريت » ، فمثلت فيه دور البطلة ، وهى طفلة فقيرة فى لندن يتمتها الحرب . ولما كنت لا تكاد تجد فى هوليوود من الصغار إلا الغض البض الأنيق البشوش الوجه ، فقد ندر بينهم من يصلح لهذا الدور . أما مرجريت ، بوجهها النحيل المرهف الإحساس وضفائرها ودمامتها ، فكانت أوفق

ماتكون صغيرة لهذا الدور ، حتى ولو كانت لا تجيد التمثيل كما تجيده مرجريت . فلما صار مجال الاختيار محصوراً فى أربع فتيات من الصغيرات ، أدّت مرجريت جزءاً من الدور ، فصاح المخرج المدير هارى رابف : « أسكتوها ، فإنها تمزق أحشائى » فأسند الدور إليها ، ومنـذ ذلك الحين تقدمت تقدماً مطرداً .

ولو اتصف أى طفل بليد بالمزايا التى اجتمعت لمرجريت ، لحسب أنه صار شيئاً عظيماً . ومرجريت أبعد ما تكون عن البلادة ، وهى تدرك ذلك . ولما عاد كلارك جيبل من الحرب لقيها فى الإستوديو فسألها : « وأنت أيتها الصغيرة أتمثلين فى السنما ؟ » فقالت : « نعم ، أمثل » ثم التفتت إلى أمها وقالت : « يلوح لى أن هذا الرجل لا يعرف من أمور الدنيا شيئاً كثيراً » . وما تقوله مرجريت من هذا القبيل لا يدل على الغرور بل يشعر بعطفها على الكبار . ويوم لقيت جلوريا سـواسون قالت لها جلوريا : « لقد كنت من كبار نجوم السنما » ، فسألتها مرجريت : « حقاً ! ثم ماذا حدث ؟ »

ومرجريت تستغل قدرتها هـذه إلى أقصى حـد . فأحدث فلم مثلت فيه وهو « فى كرمتنا عنب غض » ، يبدأ بمشهد تظهر فيه مرجريت معذبة الضمير من أجل سنجاب قتلته غير متعمدة . وقد بسط لها المدير روى راولند أسرار المشهد ، وبين لها ما ينطوى عليه من فرص للتأثير فى شعور المشاهدين ، ثم سألها : « أثمة شىء تريدين أن تسألى عنه ؟ » فقالت : « نعم ، شىء واحـد ، أتريدها دموعاً ترقرق ههنا — ولمست أهداب جفونها — أم تريدها دموعاً تجرى على الخدّين ؟ » .

أوفوا على الغاية

● خاطبت إحدى سيدات مدينة هايوود مدير البوليس بالتلفون فقالت ، إن ابنها البالغ ثلاث سنوات من العمر ، يأبى أن ينام ، فليرسل إليها شرطياً لكى يخيفه !

● أرسلت صورة سيدة مشهورة إلى صحيفة للنشر ، وقد كتب على ظهر الصورة : نرجو أن تسوّدوا الشعر الأشقر فصاحبة الصورة هى الآن سمراء !

● دخل رجل مركز الشرطة وحدث الضابط مشيراً إلى امرأة تتبعه فقال : « أريد أن تحبسونى فترة ، فثرثرة زوجتى تنغص عيشى وتمنعنى من النوم » فأجيب إلى ما طلب !

تعهد جذوة الابتكار — ولا تتقيد كل التقيد بأقوال

تعهد هذا الخاطر

س . ج . سوتس

دكتور في العلوم ، ومدير البحث العلمي في شركة جنرال إلكتريك

مختصرة من
"ذي أميريكان مجازين"

في صدر كل امرئ منا خواطر **تجول** جمة ، ولكن أكثرنا لا يعرف كيف يتعهدها وينميها . وللأطفال نصيب مما للنوابغ ، وهو نصيب من قدرة العقل الرحب الذي لا يعوقه عائق . وكلما كبر أحدنا أخذت تتراكم على عقله غشاوة من الآراء الموروثة بالتقليد والمتابعة . والطفل في الأغلب الأعم يكشف ، وهو في السادسة من عمره ، عن مقدرة على الابتكار ، فلا تكاد تمضي عليه سنوات قلائل حتى يفقدها .

فأي شيء يطفئ جذوة هذا الابتكار ؟ ربما كان مرد ذلك إلى أن أسلوبنا الراهن في التعليم هو الذي يفسد أصالة الفطرة . والتعليم في حقيقته هو استنباط القوى المكنونة في العقل ، غير أن مدارسنا تصنع للأطفال كل شيء إلا هذا المأرب المطلوب . فلا ترى الطفل يُعلّم كيف يفكر بل يعلم كيف يردد كالببغاء أقوالا مأثورة عن ثقات أهل الرأي — وهي أقوال كثيراً ما يتضح فسادها وبطلانها . فإذا أراد الناس أن يكثر فيهم النوابغ — والعالم في حاجة إليهم ! — فعلى مدارسنا أن تقلل من اهتمامها بتمرين الذاكرة ، وأن تتولى تعليمنا قوة العارضة وإشراق البديهة — وهو شيء يمكن اكتسابه بالتعليم ، وقد ثبتت صحة هذا الرأي في المعامل بالتجربة .

وقد أعدت شركة « جنرال إلكتريك » ، قبل الحرب ، منهاجاً لتدريب طائفة مختارة من المتخرجين في الكليات وفي الهندسة ، وذلك لكي يتسنى لهم أن يعرفوا : هل يمكن أن يعلموا المخترع أن يخترع . وظل الطلاب العشرون الذين يدرسون على هذا المنهاج في كل سنة ، ينقلون من معمل إلى معمل ليحرك قوى عقولهم اتصالهم بأعظم العقول المبتكرة من رجالات الشركة . وخصصت ساعات معينة للاجتماع ، حيث يجد كل امرئ منهم ما يحرّضه على أن يبين عن خواطره ويجادل عنها، وعلى أن يتفحص ما عند سواه من الأفكار النيرة . وأساس الدراسة في هذا المنهاج هي عرض مشروعات تتحدى أصالة فطرتهم — وذلك كمثل : « كيف تحتال على اختراع آلة كاتبة لرموز ألحان الموسيقى ؟ » .

ومن هؤلاء فتى لم يخترع قط شيئاً ، فما كاد يقضى سنتين فى هذه الدراسة حتى وفق إلى ١٣ فكرة تستحق التسجيل . ولم يسقط أحد تقريباً من ٢٠٠ طالب أتموا دراسة هذا المهاج . ومن بينهم رجل يحق لنا أن نعزو إليه تحسيناً عظيما أدخل على مولد الكهرباء فى الطائرات ، وهذا ثانٍ قد حسّن أجهزة ضغط الهواء فى الطائرات تحسيناً عظيما ، وهذا ثالث لا يزال يكدّ دائباً على مشروع وكلته إليه وزارة الحربية فى الولايات المتحدة .

ويختار هؤلاء الرجال لأنفسهم موضوع أبحاثهم ، وميول أحدهم هى قائده إلى حيث تفضى به ، وهم يجدون فى ذلك ما يعجبهم ويأخذ بألبابهم . ومن أجل ذلك ، فيما أعتقد ، أتيح لهم قدرٌ وافرٌ من الآراء المثمرة المبتكرة .

كيف توجد المخترعات ؟ الأغلب أن يحيك فى صدر المخترع خاطرٌ يدفعه إلى مزاولة بحثه ، فيتلجلج فى نفسه شعور باطنٌ بأنّ حلّ تلك المشكلة خليقٌ أن يتمّ إذا سلك طريقاً معيناً ، أو فحص مجموعة معينة من الحقائق بين يديه .

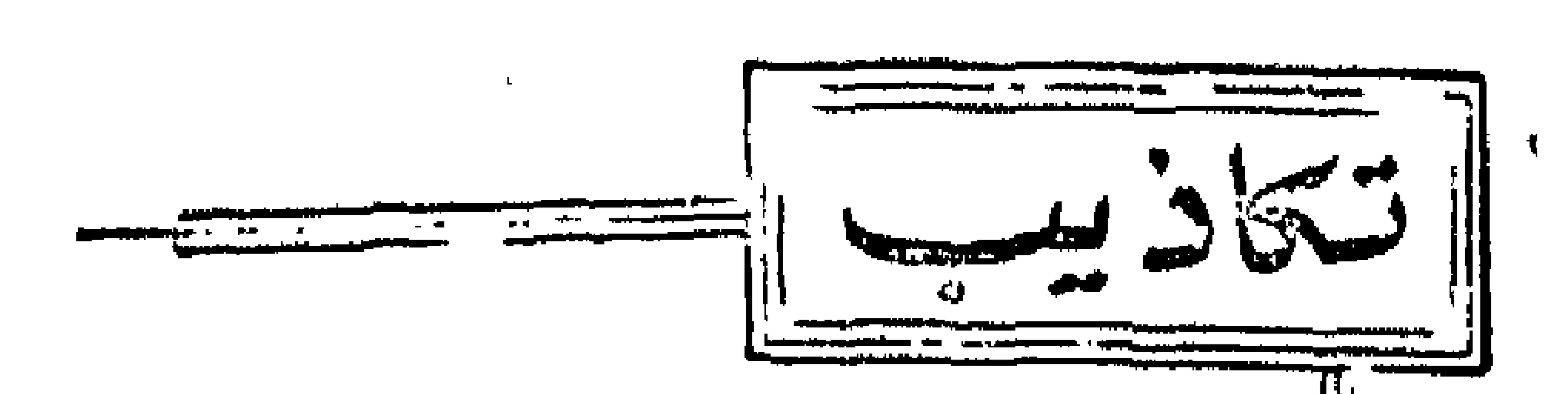
ويقول الدكتور «ويليس وتنى» رئيس علماء شركة جنرال إلكتريك ، وهو أيضاً مخترع كهربائى عظيم : « قد يظن أحدهم أنه اهتدى إلى حل مشكلة ما بهدْىٍ من المنطق البحت ، غير أن الواقع هو أنه وصل إلى الحل بهدْى خاطر حاكَ فى صدره ، ثم التمس له البرهان المنطقى بعد ذلك . كان من عادتى أن أهمل خواطرى ولا أكترث لها ، غير أنى تعلمت من السلحفاة صاحبتى أنّ على أحدنا أن يخرج رأسه من مأمنها حتى يعرف مذهبه وغايته ، وإلا بقى خاملاً حيث هو » .

نعم إن المرء لا يجيئه الإلهام حتى يقدم بين يديه الكدّ والدؤوب . وفى مثل ذلك ما قال باستير : « لا ينال قوة العارضة وإشراق البديهة إلا من صبر واستعدّ زماناً طويلا لتلقى أشعتها » .

وإشراق البديهة قد يرسل أشعته والمرء أنأى ما يكون عن توقعها . هذا أحد الباحثين ينال جائزة على فكرة نجمت فى نفسه وهو يزيل الثلج عن درج داره . وهذا آخر قد أخبرنى أنه وقع على اكتشاف وهو منهمك فى حلاقة ذقنه . وأنا نفسى كثيراً ما تأتينى الخواطر نائماً فى فراشى ، أو راكباً فى طائرة ، أو مطلاًّ من نافذة قطار . وقد جعلت من عادتى أن أضع على منضدة قريبة من فراشى ، مفكرة أقيد فيها ما عسى أن يخطر لى من الخواطر فى دُجَى

الليل ، أما النهار فله فى جيبى مفكرة أخرى أجعلها قيداً للخواطر التى تعرض لى فى ساعاته.

فاحرص على أن تكون أبداً يقظان لما يأتى الخواطر ، فإذا بصرت بأحدها يحوم على منافذ صدرك ، فافتح له أبوابها ورحب به وأكرمه . واحرص أبداً على أن تكون حاضر العقل واسعه ، ولا تعتمد على المنطق كل الاعتماد . وحاول أن تعرف أين كنز الفكر الدفينة وأين مخبؤه فى بعض مكامن عقلك النائية فإنه كنز لا ينفد .



بعد أن توفى قزم مشهور جلست أرملته فى بهو الاستقبال تتلقى تعزية المعزين . فتوافدوا عليها طول النهار ، وكانوا يذهبون إلى الحجرة التى سُجّى فيها الميت ، ثم يعودون إليها يواسونها . وعند الأصيل التفتت الأرملة إلى أحد الزوّار وسألته : « هل أوصدت باب حجرته ؟ » ، فقال : « لا . لم تسألين ؟ » . فأجابت الأرملة : « من الخير أن توصده ، فقد جرّته القطة ونزلت به إلينا ثلاث مرات فى الصباح » .

[ألكسندر كلارك فى « فانيتى فير »]

روى أحد البحارة الذين أدركوا مارك توين أن الكاتب المشهور قصّ عليه يوماً القصة التالية . قال : « اتفق لى مرة أن شهدت حادثاً تجلى فيه حضور بديهتى ، وقد كان ذلك يوم شبت نار آكلة ، فأطل رجل من نافذة فى الدور الرابع وجعل يستغيث ، فاشرأبت إليه أعناق الجمهور ولكنهم عجزوا جميعاً عن مدّ يد المعونة إليه . فقد كانت السلالم قصيرة لا تصل إلى نافذته . ولم يكن فى الجماعة رجل — سواى — حاضر البديهة ، فبادرت إلى إغاثته ، وناديت أن أحضروا حبلا ، فلما جاءوا به قذفت أحد طرفيه إليه وأمرته أن يعقده حول خصره ، ففعل ، فشددت الحبل فأنزلته إلى الأرض » .

[ألبرت بيجلو بين فى كتابه « ترجمة مارك توين »]

هذه هي طبائع البشر

نزل بلدتنا فلاح ظل سبعة أسابيع يعلن في صحيفتنا الأسبوعية عن جوادين كريمين يريد أن يبيعهما . ثم جاء في أحد الأيام إلى دار الصحيفة ليدفع أجر الإعلان. فلما استوفيتُ الأجر منه سألته : أبعتَ الجوادين ؟ فقال : كلا

فقلت : أتريد أن تجدد الإعلان عنهما؟

فقال : دع الإعلان يستمر، فقد أتيحت لي فرص كثيرة لأبيعهما ، ولكنني لا أنوى أن أفعل ، فأنا أحب الخيل ، وأحب الحديث عنها . وقد جئت هذه البلدة وأنا غريب عن أهلها . فنشرت الإعلان حتى يأتيني الذين يعنون بشئون الخيل ليروا الجوادين ، فنتبسط في الحديث . وقد كان هذا الإعلان الصغير وسيلة هدتني إلى عشرات من محبي الخيل . فدعه يستمر .

[نلسون د . براون]

منذ عهد قريب كنت أنتظر سيارة الركاب على مقربة من مقبرة سان أنطونيو في ولاية تكساس . فرأيت شاويشاً شاباً على حلته شارة المشاة الذين خاضوا الحرب ، يضع مسدساً من خشب على حجر مدفن جديد ، وتبين دهشتي مما فعل فقال :

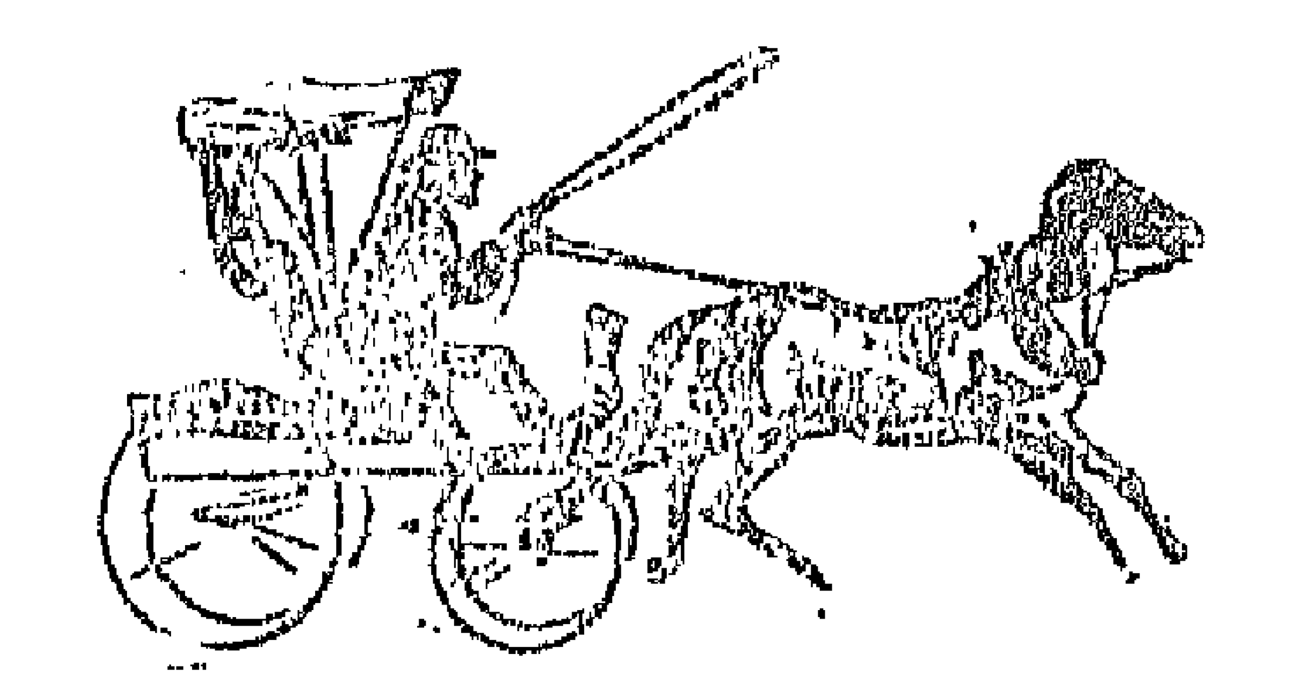
« هذا مدفن جدتي، وقد ماتت في الأسبوع الماضي ، أما أنا فلم أعد من أوربا إلا في الليلة الماضية ، وجدتي هذه أنقذت حياتي في فرنسا في الشتاء الماضي . ذلك بأننا لما كنا صغاراً ، كنا نلعب لعبة الطراد بين الرعاة والهنود الحمر ، وكنا نسلح ببنادق مصنوعة من خشب، وقد شدت إليها قُدَد من مطاط نقذف بها الحصى . فذات يوم رأت جدتي صبياً آخر يرميني بحصاته ويصيبني ، وكنت منهمكا في تسديد بندقيتي إليه .

« فنادتني وقالت : يابني ، كن دائماً سباقاً إلى إطلاق قذيفتك ، فإذا أخطأت المرمى اضطرب الصبي الآخر وأخطأ مرماه ، فتصيبه حين تطلق قذيفتك الثانية .

«وقد تذكرت إرشادها في الشتاء الماضي حين اشتد القتال في ساحة الآردين، وبغتني جندي ألماني فرفع ذراعه ليرميني . وكنت أحمل بندقية ، فلم أعن بتسديدها إليه ، بل أطلقتها أولا كيفما اتفق ، فأخطأته ، ولكنني أصبته في الطلقة الثانية وأرديته . فخطر لي أن أجيء بمسدس الخشب القديم أضعه على قبر جدتي وفاءً وشكراً » .

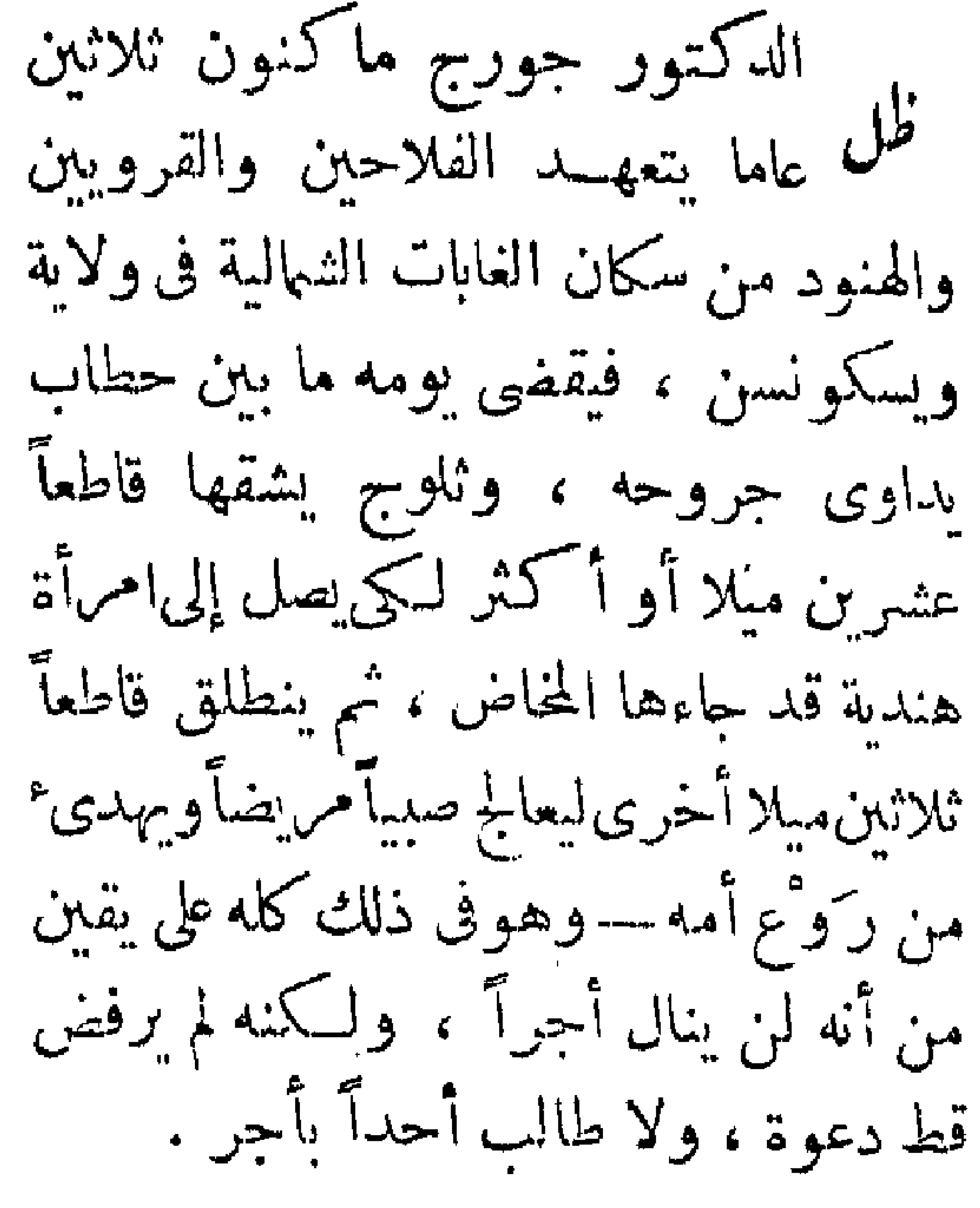
[الملازم هال بشام]

يوم الطبيب يوم مشهود



لويس فرنش

مختصرة من صحيفة "ميلووكي جورنال"



ظل الدكتور جورج ماكنون ثلاثين عاما يتعهد الفلاحين والقرويين والهنود من سكان الغابات الشمالية فى ولاية ويسكونسن ، فيقضى يومه ما بين حطاب يداوى جروحه ، وثلوج يشقها قاطعاً عشرين ميلا أو أكثر لكى يصل إلى امرأة هندية قد جاءها المخاض ، ثم ينطلق قاطعاً ثلاثين ميلا أخرى ليعالج صبياً مريضاً ويهدئ من رَوْع أمه — وهو فى ذلك كله على يقين من أنه لن ينال أجراً ، ولكنه لم يرفض قط دعوة ، ولا طالب أحداً بأجر .

وقد استقبل بيديه ٢٩٠٠ مولود — أما ما زاد فعلمه عند الله .

وفى مساء أحد أيام الأربعاء من شهر نوفمبر الماضى دعى من منزله لكى يولد امرأة فى حقل ناء يملكه جورج نولار ، فما بزغت شمس يوم الخميس حتى كان قد ولّد امرأة أخرى بمستشفى الولادة فى تلك القرية .

ولم يكن الطبيب يعلم بما يعدّه له أهل القرية ، ففى صباح ذلك اليوم كان فى عيادته كدأبه ، وفيها اثنا عشر مريضاً ينتظرونه فى غرفة تفوح منها رائحة العقاقير . فأخذ يضمد إصبع أحدهم ، ثم عالج دمّلا فى مريض آخر ، وبعد أن أتم أشياء أخرى هرع إلى حلاق ليحلق ذقنه ، ثم هرول منصرفاً عنه وقد نسى أن يدفع الأجر ، فرأى الحلاق أنه مما يجمل به أن يتغاضى عن ذلك لقاء ما أسدى الطبيب إلى الناس من معونة .

وما كاد يسير قليلا حتى جاء عمدة القرية ليو وايرز ومعه وكيله نيلسون ، فاستوقفا الطبيب وعلقا على صدره وساماً .

ثم أخذت سيارات مدرسة القرية تصل تباعاً وهى تقل التلاميذ والتلميذات ، وقد حمل كل منهم وعاء فيه طعامه ، فقد عطلت الدراسة فى ذلك اليوم — إنه يوم الدكتور ماكنون . كنت ترى الفتيات وقد لبسن قفازات بيضاً ومعاطف من صوف ، وعصائب ملونة على شعورهن . وأما الأولاد فكانوا فى أجمل ملابسهم . ونزل من السيارات عشرات بعد عشرات وعلى صدر كل منهم بطاقة تدل على أنه ولد على يد الدكتور ماكنون .

وكان الجو يومئـذ قارساً ، ومع ذلك طفق الأولاد يتواثبون مرحاً وهم يضعون الشارات على السيارات والعربات . وجاء الآباء والأمهات بأطفالهم مدثَّرين بما يردّ عنهم عادية البرد . وكان يخيل إليك يومئذ أن كل طفل لم يولد على يد الدكتور ما كون فهو من حثالة أهل الأرض .

ثم جاءت ساعة العرض، فأخذ الدكتور ما كنون يستعرضهم وهو واقف على منصة صغيرة . وكان معظم الأولاد العارفين فى طليعة الموكب ، ممن ولدوا على يديه .

وجاءت عربات مزينة يتبعها قطيع من الثيران وحصان عجوز يجرّ مركبة كان الطبيب يستعملها قديماً . وأروع ذلك كله مشهد الذين رأوا النور على يد الدكتور ، وعددهم خمسئة نفس — من صغار يهرولون ليماشوا الموكب ، وشبان أشداء فى ثياب الجند عادوا لساعتهم من ساحات القتال ، وجعلوا جميعاً يحيونه . ثم جاء فى أثرهم الأزواج الذين ولد لهم أولاد على يده ، ثم عشرات من الأحداث قد زينوا دراجاتهم بالشارات .

هناك وقف الدكتور ما كنون ، ومرت بخاطره ذكرى سبع سنوات من الدراسة الشاقة فى جامعة كوينز بكندا ، وذكرى أشهر الصيف التى كان يقضيها فى إحدى مدارس الريف يعلم ليجمع نفقة الدراسة ، ثم فترة التدريب فى مستشفى ميلووكى ، وتلك الممرضة التى شغف بها فتزوجها .

ومما قالته عن أيامها تلك : « لقد رغبت إليه أن يتناسى معيشة المدن وسأكون سعيدة معه أينما كان ، ولقد عشت سعيدة » .

تذكر مواضى أيامه ، وتذكر جواديه — جواد الصباح وجواد المساء والليـل ، ثم تذكر كيف كان يشق طريقه فى الثلج ثلاثة أميال ليزور بيتاً فى غابة بعيدة ، ثم تذكر وباء الأنفلونزا فى سنة ١٩١٨ ، وكيف كان يجول بين المرضى نهاراً وليـلا ، حتى إذا بلغ منه الجهد ، ربط حصانه فى حقل ونام فى العربة ، فهو يعلم أنه لا يكاد يبلغ داره حتى يستدعى إلى مريض آخر .

ثم تذكر أنه أنقـذ مرة طفلا مصاباً بالتهاب الرئة فى قرية هنـدية تبعد عشرين ميلا ، فما فتىء الهنود بعد ذلك يستدعونه ليعود مرضاهم ، فلا يرفض دعوة وإن كان لم ينل قط منهم أجراً — إلا أنهم جاءوا يوماً وأهدوا إلى ولديه مُهْراً .

ظل الدكتور فى موقفه ذاك ، وقد أخذت الطائرات تحلق وتلقى إليه أوراقاً فيها تحيات ، واستمر العرض ، ومسح الدكتور عينيه مرة أو مرتين — من برد أصابه فيما زعم .

ولما نزل عن المنصة لم يزد على أن قال :

« إنهم يذكرونني بما لقيت من ضنى وسهاد، ولكني أراهم فأرضى عما لقيت » .

وقد تلقى أصدقاؤه ، وهو لا يدرى ، رسالة فيها ذكر مآثر الدكتور ، فقد كان ما كنون طبيباً زاهداً لا يطلب من الناس أجراً ، مع أنهم كانوا يعدونه كفؤاً لأعظم طبيب في أعظم مدينة. وقد شوهد مرة يلقى فى النار رزمة من أوراق حساباته وهو يقول: « هذه خمسة آلاف ريال طعام النار » !

أما اليوم فقد حاول القوم أن يعربوا عن شعورهم ، فأرسل حطّاب من بلدة نائية رسالة فيها خمسة ريالات ، وقال إنه يتذكر كيف كان الدكتور يدعو إلى الطعام من لا مال عنده . وجاءت الهبات تترى من كل ولاية ، حتى تيسر للدكتور أن يشترى سيارة جديدة تحل محل مركبته القديمة ، وبقى له ١٣٠٠ ريال . وجمع تلاميذ المدرسة أيضاً ما تيسر لهم من مال قليل وأهدوا إليه ساعة ثمينة .

وتم الرأى على أن تقدم الهدايا بعد المأدبة التى تقام فى بهو القرية ، وبلغ عدد الجمع ١٠٠٠ نفس جلوس و ٢٠٠ وقوف وسار برنامج الحفلة كما ينبغى ، ووقف رئيس غرفة التجارة ليلقى خطبة الإهداء ، فما بلغ منتصفها حتى وصلت دعوة مستعجلة فلم يسع الطبيب إلا أن يلبيها .

ذلك أن سيدة قد جاءها المخاض فأسرع إليها ، واستقبل طفلها الثالث عشر ، فولدت فى الساعة العاشرة إلا الربع ، غير أن الدكتور لم يستطع أن يعود إلى القرية قبل الحادية عشرة ، فوجد القوم جلوساً ووقوفاً لا يزالون ينتظرونه ، فلما وصل واصلوا الحفلة وقدموا له هداياهم .

فهؤلاء الأطفال الذين ولدوا على يده تذكروا فضله لما كبروا ، فلا تظنن به اليوم فقراً ، بل هو من أغنى الأغنياء فى ولايته ..

٠OOOO٠٠OOOO٠

سحر النار

يعتقد كثير من سكان الغابات النائية أن كل لون أو ظل يقع على الشجرة فى حياتها يرتد ثانية فى وهج النار حين تحترق تلك الشجرة . فأنعم النظر فى النار المستعرة ترى الشجر بألوانه ما بين وردى وبنفسجى ، وتتجلى لك زرقة السماء ، ولألاء شمس الظهيرة ، والسواد القاتم المحتدم فى السحب المطبقة ، وحمرة الشفق عند مغيب الشمس ، وضياء القمر الفضى ، وأشعة النجوم الصافية المتلألئة .

[لارى فوستر]

الحضارة مدينة لهذا الرجل، جون إريكسون

أذاعت شهرته موقعة حربية — بعد سنوات من الشدائد ناضل فيها أهل التحفظ من معاصرته.

أوين جونسون* • مختصرة من "المجلة العامية الشهرية"

بم تقيس عمر المرء؟ أبالسنين التي تنقضي بين مهده ولحده، أم بما تحمل به تلك السنون من آيات الحياة؟ ومعظم الناس لا يكاد يبلغ الخمسين من عمره حتى ترى حياته ذاهبة في سياق الموت. ولكن ميخائيل أنجيلو، وليوناردو ده فنشي، وداروين وأضرابهم، استطاعوا أن يضاعفوا حياتهم الطويلة ضعفين أو ثلاثة أضعاف، بما فطروا عليه من قدرة على الابتكار والإبداع.

١٨٠٣ — ١٨٨٩

وجون إريكسون أحد هذه الزمرة، فقد ظل خلال السنوات الأربعين الأخيرة من عمره يعمل أربع عشرة ساعة في كل يوم من السنة، وكل همه العمل، وكل أيامه رضى وسعادة. وقد توفي في السادسة والثمانين، لم يلحقه ضعف أو وهن.

وقد عاش أيامه كلها كأنه يسابق الزمن، يأسى على كل ساعة تصرفه عن عمله. ولم يجد في وقته متسعاً لاستقبال كرام الضيوف الذين توسلوا عبثاً أن يحظوا بلقاء مخترع البارجة « مونيتور » والمحرك اللولبي، ولا وجد وقتاً لزوجته التي ظلت له صديقاً وبه معجبة، حتى نفضت يديها من هذا النضال المر، وعادت إلى إنجلترا مسقط رأسها.

وقال يومئذ كلمته المأثورة: « لقد غارت من آلة! »، بل كان يضن بربع ساعة يقابل فيها القلائل من أصدقائه المقربين.

وقد ألف أن يقول لزائره: « آن لك أن تنصرف ».

كانت حجرة الرسم هي قلعته الحصينة، ومنها كان خياله ينطلق ويحلق، ليرود

(*) أوين جونسون أديب اشتهر برواياته وأقاصيصه.

مستقبل العلم الحافل بالمجاهل . ما أقل ماتم حتى الآن ، وما أكثر ما ينبغى أن يتمّ ، وما أقصر الوقت! آه ، لو مدّ الله فى العمر خمسين سنة ، أو أكثر من خمسين ، أو عشرين ، أو حتى عشر سنوات ! بل كان يأبى أن يبرح صومعته حين تشتد حاجته إلى غفوة ، فكان يستلقى على مائدة الرسم متوسّداً كتاباً .

وقد أقام سنين كثيرة فى نيويورك ، فلم يرَ حديقتها العامة « سنترال بارك » . وقد احتال عليه أحد أصدقائه مرة ، فذهب به إلى جسر بروكلين ، وحاول آخر أن يستدرجه إلى زيارة شلالات نياجرا ، فقال متهكما : « ترى ماذا أصابها ؟ » فكأنه لا يرى شيئاً يصرفه عن عمله ، إلا أن يكون نكبةً فادحة .

وقدمات بعد أن طبقت شهرته الآفاق ، فكرّمته الأمة التى استوطنها ، فأعادت جثمانه تحيط به آيات التكريم إلى الأمة التى أنجبته ، وقد ظلت ربع قرن من الزمان تطالب بردّه لتستقبله استقبال بطل عظيم .

وُلِد إريكسون فى يوليو سنة ١٨٠٣ ، فى مستهل قرن رائع زادت فيه السرعة زيادة لم تبلغ ذروتها بعدُ . وكان الناس يومئذ يسيرون بسرعة ستة أميال فى الساعة ، وكان « فلتون » قد شرع يجرب تجاربه الأولى فى الزورق البخارى ، ولكن الريح ونزواتها لم تزل تسيطر على السفر فى البحر ، كما كانت منذ عهد الفينيقيين . فيوم توفى إريكسون سنة ١٨٨٩ كان البشر قد رادوا معظم سطح الأرض ، بفضل ما أسداه من جهود .

مضت على إريكسون أربعون سنة من الشدة والعناء ، ولم تتزعزع ثقته بنفسه ، ولا حرفه عن طريقه أو غايته إخفاق لقيه ، أو كفران الناس لأياديه ، أو سخرية أنداده من المخترعين . وأنت خليق أن تقف على سر أخلاقه فى قصة حداثته .

فقد أنعم الله عليه بثلاثة أسباب تحفز إلى العمل : الفقر وهو أعظمها ، واعتزال الجماهير التى تدفع الرجال فى عنانها إلى مسايرتها ، وما اضطر إليه من تعليم نفسه بنفسه . وقد ولد فى بلدة « لانجبانشيتلان » بالسويد ، وكان أهله قوماً كراماً يعيشون فى خصاصة وتقتير .

فلما بلغ السن التى يلهو فيها سائر الصغار باللعب ، كان هو مفتون القلب بالآلات . فما بلغ السابعة حتى لازم حجرة الرسم فى المكتب الذى يدير مشروع قناة جوتا ، حيث كان أبوه رئيساً لفريق من العمال . وكان لا يملك ما يشترى به أدوات الرسم ،

فصنع هذه الأدوات بيديه — بركاراً من عيدان الصنوبر وشوكه ، وقاماً من ملقط شعر ، وفرشاً من شعر استلّه من معطف فروٍ كان لأمه . ثم جعل يكبّ ساعات متوالية ، يضع رسوماً يراعى فيها نسبة العرض والطول .

فلما بلغ التاسعة ، عزم على أن يضع نموذجا لمصنع ينشر فيه الخشب ، مع أنه لم يرَ مصنعاً قط ، ولم يجد ما يسترشد به إلا أوصافاً سمعها من أبيه . ومع ذلك فقد صنع المهندس الفتى تصميمه ، وقدر لأجزائه الأبعاد تقديراً دقيقاً ، ولم يكن بين يديه سوى مثقب ومبراة ومبرد ، فصنع بها نموذجا تاماً للمصنع ، ووضع فيه منشاراً اتخذه من زنبرك ساعة ، فكان مصنعاً مصغراً تام العدّة من جميع نواحيه . والأغلب أن المخترع العظيم لم يشعر ، حتى وهو فى ذروة شهرته ، بمثل النشوة التى وجدها يوم كان فى التاسعة ، ووضع مصنعه المصغر فى جدول فرآه يعمل عملا لا يعتوره نقصان .

وفى السنة التالية صنع نموذجا أشد تعقيداً لمضخة ترفع الماء من منجم ، تديرها طاحونة يحركها الهواء . وفى هذه أيضاً لم يعتمد إلا على ما سمعه من أبيه .

ومضت سنوات ، ثم ، سئل إريكسون أن يصنع كشفاً بأهم مخترعاته الميكانيكية ، فجعل هذين النموذجين فى رأس ما اخترع ، ولم يخطىء فى تقدير خطرها . فقد علمه هذا الظفر الذى ناله فى حداثته ، أن يثق بنفسه كل الثقة .

وكذلك ذاع خبره وتناقله الناس ، فعنى فريق من كبار القوم بشأنه وتربيته . فلما بلغ الرابعة عشرة ، عين لإدارة آلات « الميزان » فى بناء قناة جوتا . حيث كان ستمئة جندى ، يعملون تحت إشراف صبىٍّ كان فى حاجة إلى الوقوف على كرسى لكى يستطيع أن يبلغ رأس « الميزان » .

وظل يومئذ دائباً يعلم نفسه بنفسه ، فلم يحضر مدرسة أو جامعة ، ولكنه كان يعبّ العلم عبّ الظامىء الصادى حيثما وجده . وقد تولى بعضهم تعليمهُ الجبر والكيمياء والهندسة واللغة الإنجليزية ، ولكنهُ كان يحمد الله ، فيما بعد ، على أنه لم يلتحق بالمدارس الفنية فى عصرهِ ، لما كان مأثوراً عنها من الغلوّ فى اتباع السنن المتوارثة ، فقد صحّ عزمه على أن يتجاهل ما عاش كل ما فعلهُ غيرهُ من الناس ، وأن يستقلّ فى تفكيرهِ عنهم .

وبعد أن تجلت آيات نبوغه فى صباه ، نزح إريكسون إلى إنجلترا ليقيم فيها . ولولا أنه مُنى بالإخفاق فى حادثين مشهورين ،

لما هجر إنجلترا إلى أمريكا . ففي سنة ١٨٢٩ كان إريكسون في السادسة والعشرين . وقد مضى عليه في إنجلترا ثلاث سنوات يخرج كل سنة أربعة مخترعات خطيرة أو خمسة ، ثم وقع في أول المآزق الشديدة التي لقيها في حياته .

لقد مضت ثلاثة أرباع قرن منذ جرب « وات » تجاربه في البخار ، ولم يصنع إلا بضع قاطرات غير متقنة ، وقد استعملت هذه القاطرات لقطر مركبات شحن مسافات قصيرة بسرعة ثلاثة أميال في الساعة أو أربعة . وكانت شركة ليفربول ومانشستر قد أعلنت أنها تمنح جائزة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يصنع قاطرة تبلغ سرعتها ١٠ أميال في الساعة ، ولا يزيد وزنها على ١٠ أطنان ، وتستطيع أن تقطر ما زنته ٢٠ طناً مسافة ٧٠ ميلا . وعلم إريكسون بخبر هذه المباراة ولم يبق على نهاية موعدها سوى سبعة أسابيع ، ولكن أنَّى له ولم يصنع قط قاطرة ؟ فإذا صنع واحدة اليوم ، لم يتسع له الزمن حتى يمتحنها . لم يثنه ذلك ، فأقدم على العمل من فوره .

كان الذين اشتركوا في المباراة خمسة ، ولكن المباراة انتهت إلى منافسة بين قاطرة جورج ستيفنسون ، « روكيت » ، وقاطرة إريكسون ، « نوفلتي » . وكان إريكسون عظيم الثقة ، لأنه زوّد قاطرته بجهاز يتيح لها سرعة عظيمة ، وأقامها على لوالب ، فتستطيع أن تمضي على القضبان فلا تميد يمنة أو يسرة . وزادت سرعتها على ٣٠ ميلا — فكانت أسرع آلة صنعها الناس حتى يومئذ . فلما جربت أول تجربة سبقت القاطرةُ « نوفلتي » ، القاطرةَ « روكيت » كأنها السهم المارق . فأحس المهندس الشاب ساعةً بروعة ظفر كان خليقاً أن يجعله أعظم رجل في عالم المخترعات الميكانيكية . فلما جربت مرة ثالثة ، انفجر المرجل لعيب فيه يسهل إصلاحهُ ، لو كان قد أتيح لإريكسون أن يمتحنه قبل المباراة .

ولكن حكم القضاة كان حاسماً ، فصار ستيفنسون ، لا إريكسون ، مخترع القاطرة. وقد أنعم إريكسون نظره في خيبته هذه ، فانتهى إلى أنها خير . فلو طبقت شهرتهُ الخافقين ، وهو في السادسة والعشرين ، لكان خليقاً أن يقنع بما تمّ. أما وقد مُني بالخيبة ، فقد اتجه وجهة جديدة .

نظر إريكسون فيما حولهُ ، فأدرك موطن الضعف في السفن التي تسير بتحريك عجلات كبيرة قائمة على جنبها ، وهي عرضة للخطر إذا ما خاضت قتالا . نعم إنها تستطيع أن تشق طريقها في مهبّ الريح ، وهو ما تعجز عنهُ السفينة ذات الشراع ، ولكن

إذا أردتها للنقل التجارى وجدتها ضخمة ثقيلة بطيئة .

فجعل يتدبر هذا الموضوع ، فتذكر كيف كان يعنى فى صباه بما يراه من طريقة ضرب الطير بجناحه والسمك بذيله ، فاتخذ حركتهما أساساً لتفكيره ، فصنع رويداً رويداً المحرك اللولبى وأتقنه . وقد اهتم غيره بمبدأ هذا المحرك ، ولكن إريكسون كان أول من أخرجه من حيز الفكر إلى مجال العمل .

وفى سنة ١٨٣٧ ، وهو فى الرابعة والثلاثين ، تأهب لكى يعرض محركه اللولبى ، وكان واثقاً كل الثقة أن سينجح ، فدعا قواد البحر إلى عرضه . وكان قد ركب محركين فى السفينة فرنسيس ب . أوجدن التى يبلغ طولها ٤٥ قدماً ، وكان بحارة نهر التاميز ، حين رأوا هذه السفينة تمر بهم فى النهر مرًّا سريعاً ، قد ركبتهم الحيرة حتى أطلقوا عليها اسم « الشيطان الطائر » . أما قواد البحر فقد جاءوا تساورهم الريب ، فإن رجال قسم المهندسين قد أفتوا بأن « هذا الاختراع السخيف أقيم على مبادئ خطأ ، وفيه عيوب كثيرة » .

وقد قطرت السفينة أوجدن زورقاً دهاباً وجيئة فى النهر ، ولكنها لم تزحزح القواد عن رأيهم . فنزلوا منها شاكرين ، وألسنتهم تقول : تجربة لا بأس بها . ولم يدر بخلد أحد منهم أنه شهد حدثاً تاريخياً . وقد تصنعوا الوقار والرزانة حين قالوا : « لو كانت القوة المحركة فى مؤخر السفينة لاستحال توجيهها » . لقد أشرف إريكسون مرة ثانية على الظفر بذيوع الصيت ، ولكن القدر تخطاه

فنزلت الفاقة بإريكسون ، وسجن فى سجن ذوى الديون فى « فليت ستريت » . فلما ضاق ذرعاً بما لقى ، هجر البلد الذى عجز عن تقديره مرتين ، وفى سنة ١٨٣٩ رحل إلى بلد يرحب بالجديد الطريف من الأفكار والآراء .

وقد وصل إريكسون إلى الولايات المتحدة ، تحرك قلبه آمال عظام . فقد أدرك الأمريكيون قيمة المحرك اللولبى ، وبين له فريق منهم عن الفرص العظيمة المتاحة له فى العالم الجديد . فظن يوم وصوله أن متاعبه قد انتهت ، ولكنها ظلت تلاحقه . ولم يلبث أن ظفر بشىء من الاستقلال فى شئون المال ، حين اخترع عربة مطافىء تسير بمحرك بخارى ، ومحركا آخر يسير بالهواء الساخن . ثم تجنس بالجنسية الأمريكية ، ولكنه لم يزل مشغوفاً بإتقان المحرك اللولبى للسفن الحربية ، فلم يلق إلا ما يثبط العزم ويخيب الأمل . فقد مضت خمس سنوات إلى أن رضى مجلس أمراء البحر بامتحان هذا

المحرك . وقد عقد الاتفاق معه على صنع « برنستون » وهى السفينة الحربية الأولى التى جهزت بمحرك لولبى ، فى أحوال نالت من كرامته ، فسخط وتألم . فقد انتقصت قيمة عمله ، ونازعته الحكومة على المال الذى يستحقه من أجل ما فعل ، ولم توفه له فى آخر الأمر . فلما جربت السفينة أول تجربة ، انفجر أحد مدافعها وقتل وزير الخارجية ووزير البحرية ونفراً آخر من كبار رجال الحكومة .

وقد ظلت الخيبة والبلايا وتثبيط الهمة تلاحق المخترع عشرين سنة أو نحوها . فلما حلت سنة ١٨٦٢ حاقت به المتاعب ممن ينازعه فخر اختراع المحرك اللولبى ، أو من الذين يقلدون أجهزته الميكانيكية أو يسرقونها جهرة . وقد اعترف قلائل بأنه عبقرية الهندسة فى عصره ، ولكن فريقاً كبيراً من العلماء حكموا عليه بأنه دجّال .

كان من المعروف فى أثناء الحرب الأهلية الأمريكية أن قوات الجنوب معنيّة بإنجاز دارعة تدعى « مريماك » ، وأما الدوائر البحرية التى ران عليها الجمود فى وشنطن فلم تفعل شيئاً لتواجه الخطر العظيم الذى يهدد سفنها الخشبية بالدمار . ومن حسن الحظ أن كان تصميم السفينة الحربية « مونيتور » قد تم منذ سنوات . ففى سنة ١٨٥٤ عرض إريكسون على نابليون الثالث نموذجاً تاماً من السفينة « مونيتور » ، وقد جعل هذا النموذج مثالا متقناً لما تصوره من سفينة حربية مدرعة بالحديد ، تحتوى فى جوفها الغائص تحت سطح الماء جميع أجزائها التى لا غنى عنها ، وجعل سطحها منبسطاً ، وأقام عليه برجاً تتركز فيه مدافعها ، والبرج يدور فتسدد المدافع إلى أية جهة تريد ، دون أن تغير وجهة السفينة — فكان ذلك انقلاباً خطيراً فى تصميم السفن الحربية .

كان إريكسون يحبُّ وطنهُ الجديد على الرغم من إساءة الحكومة إليه ، فكتب إلى لنكولن يعرض عليه خدمته ، وقال : « إنه لا يسعى إلى نفع خاص ولا يريد مكافأة ما » وقد أقام على رأيه هذا إلى النهاية .

وقد عرض النموذج أمام مجلس البحرية فى وشنطن ، فأعجب به لنكولن وأيده بنفوذه ، ولكن المعارضين لم يقتنعوا وظلت مقاومتهم شديدة . فرفض مقترحه فى أول الأمر ، ولكن إريكسون شهد بنفسه اجتماع المجلس ، وألقى بياناً بلغ من قوة الإقناع مبلغاً حمل المجلس على تغيير قراره . على أن رجال الأسطول أصروا على أن يضعوا مادة فى العقد تضمن ردّ المال كله

إلى الحكومة، إذا ثبت أن السفينة لا تصلح.

وقد تم صنع «المونيتور» فى مئة يوم، رغم تسويف الحكومة فى توفيـة أقساط المال الذى اتفق عليه، وبرغم النقد المتصل وتدخل السلطات البحرية . وقد نشبت المعركة مع مريماك التى عقد فيها لواء الظفر للسفينة مونيتور، قبل أن توفى الحكومة القسط الأخير .

أما إريكسون فقد أبى أن يتزحزح قيد أنملة ، وقد صنع رسوم السفينة بيديه ، وردّ على كلّ نقدٍ بنفسهِ ، ورفض كلّ تدخل ، وسلم السفينة فى الموعد المضروب. وقد كان فى السفينة أربعون جهازاً جديداً ابتكرتها عبقريتـه المتوهجة ، ووصلت «المونيتور» إلى مرفأ «هامتن رودز» فى الساعة الفاصلة، لتنجز المهمة التى ألقيت إليها.

وعلى الرغم من أن وشنطن كانت مترددة، وأصرت على أن تلتزم «المونيتور» خطة الدفاع ، وأبت أن تسمح لهـا بمطاردة «المريمـاك» المصابة ، وعلى الرغم من أن رجال البحر امتنعوا عن قذف كرة الحديد المصنوع التى قال إريكسون إنها خليقة بأن تخترق درع العدو ، وعلى الرغم من أن خطة المعركة خالفت ما أشار به إريكسون، ديرت رحاها على مسافة بعيدة من السفينة الأخرى — على الرغم من ذلك كله ، لم يكن ثمة شك فى أية السفينتين عقد لها لواء الظفر.

فالقذائف الأولى التى انطلقت من «المونيتور» أغرقت ، فى الواقع ، جميع أساطيل العالم المصنوعة من الخشب . وقد شهد قائد المريماك أمام محكمة حربية بأن المونيتور كانت تستطيع أن تغرق سفينته فى ربع ساعة ، ثم قال : «إن إريكسون عبقرى عظيم» .

ولولا ظهور السفينة «مونيتور» لدمرت الدوارعُ الجنوبية أسطولَ الشمال ، ولحطمت قيود الحصر البحرى ، ولكانت الولايات الجنوبية خليقة بأن تنال اعتراف دول أوربا بها . وقد كان كل هـذا رهناً بحياة رجل فرد ، وبما أصابه من إخفاق فى حادثين ، لولاهما لما هجر أوربا إلى أمريكا.

وقد مات إريكسون فى ٨ مارس ١٨٨٩ بمدينة نيويورك ، وفى السنة التالية طلبت حكومة السويد جثمانه ، فأرسل إلى استوكهلم ودفن فى فيليبستاد . والبرج الدائر القائم فى كل بارجة اليوم هو نصب قائم لذكرى إريكسون . ولا يزال مبدأ المحرك اللولبى الذى اكتشفه ، هو المبـدأ الذى يسيطر على الحركة فى البحر والجو . وقد خلدت المونيتور اسمه فى تاريخ أمريكا ، ولكن المحرك اللولبى جعله فى طليعة الرواد العظام الذين تركوا أثراً عظيما فى تاريخ الحضارة .

الحرارة السائلة — مصدر مستقل القوة تنفع فى الطبخ والتدفئة والتبريد وغيرها من شئون المنزل .

جهاز جديد فى البيوت

فردريك تيزدايل

فى بيوت أوساط الناس حرارة الغاز تحمّر اللحم، وحرارة الفحم تسخن الماء وتدفىء الغرف ، والكهرباء تسيّر الثلاجات وتنجز أشياء أخرى كثيرة.

وإذا سألت المهندس زجمر وقال : « إنها وسائل عتيقة لا تطابق مبادىء الاقتصاد ».

ثم يبين لك أن المنزل الأمثل ، إذا كان فيه مصدر واحد للحرارة ، يدفىء الغرف ويطبخ الطعام ، ويحرك معدات المنزل جميعاً ، قلّ القدر المبدّد من الحرارة ، الذى هو أيضاً مال مبدد . ثم هو يجعل إصلاح هذه المعدات يسيراً ، ويهون كثيراً من شئون المنازل .

ويقول المروّجون للحرارة السائلة ، وهى مادة كيميائية جديدة أخرجتها مصانع مؤسسة جون بيرس : إن هذه المادة تحقق ما تمناه المهندسون — مصدر واحد مستقل يولد الحرارة أو القوة المحركة لجميع معدات البيت .

والبيت لا ينتفع عادة بأكثر ، من ٥٥ فى المئة من حرارة الفحم الذى يلقى فى الموقد ، وهو تبذير ضاق به أوريون أوكس — أحد مهندسى شركة « أميركان راديتور » — فحمله على أن يصنع مادة سائلة تتحمل الحرارة العالية وتنقلها ، وتساعد على الاستفادة منها كاملة ، بحيث لا يكاد يذهب شىء منها سُدىً .

وأذكت فكرة أوكس خيال جون أوبراين، مدير «مؤسسة بيرس»، التى تسعى إلى تحسين أسباب المعيشة . فاشتركت هذه المؤسسة التى لا تعنى بالربح ، مع أوكس فى مباحثه ، فأسفرت جهودها عن تركيب مادة اهتدت إليها معامل « آرثر لتل » بمدينة كمبردج فى ولاية ماساشوستس . ولا يزال تركيب هذه المادة سراً ، وكل ما يعرف عنها أن عناصرها مأخوذة من النفط والرمل ، واسمها العلمى « سليكات تيترا كريسيل » .

ولا يخفى أن الماء يتحول بخاراً عند درجة ١٠٠ سنتجراد . على أن سليكات تيترا كريسيل لا تتبخر إلا عند درجة ٤٣٦ ، وهى تختلف عن البخار فى أنها تصلح لنقل

الحرارة العالية، فلا يخشى منها على الأنابيب من جراء الضغط العالى أو الانفجار، وهى تقلل ما يذهب من الحرارة سدًى إلى أدنى حـد . ويمكن أن توزع فى الأنابيب إلى أى جزء من أجهزة المنزل، ولكنها لا تضيع فى الفضاء كالبخار ، بل تعود إلى المرجل فتسخن وتستعمل ثانية .

وإذا كانت درجة الحرارة معتدلة، كانت هذه المادة كزيت المحركات مظهراً وأثراً ، ورائحتها تشبه رائحة الحمض الكربوليك — وهى مزية عظيمة، لأنه إذا رشح شىء منها انكشف أمره. ومما دل على أنها مأمونة العواقب ، أن قدراً منها صبّ على فحم متقد فلم تشتعل . أضف إلى هذا أنها غير سامة ولا تأكل المعادن . وإذا شاءت ربة البيت أن تولد من هذه المادة حرارة للطبخ أعلى كثيراً مما تولده مواقد الغاز أو الكهرباء، تم لها ذلك . وطبخ بعض الطعام بهذه الحرارة العالية ، يحفظ فيه قدراً أكبر من قيمته الغذائية ، ومن رائحته الطيبة .

وقد استعملتها مؤسسة « بيرس » بنيو جرسى منذ أشهر، لكى تخبز الفطائر وتسخن الماء وتصنع المثلجات وتقدمها لزوارها .

والجزء الأصيل فى الجهاز الذى يعرض على أعين الزوّار، هو موقد ومِرْجل، أما وقوده فهو فحم الأنتراسيت ، ولكن كل وقود يصلح له. وفى المرجل وأنابيب الجهاز نحو ستين جالوناً من سليكات تترا كريسل بدلا من الماء . وثمن الجالون من هذه المادة اليوم ريال ونصف ريال ، ولكن إذا ما صنعت منها مقادير وافرة للبيع ، هبط إلى نحو نصف ريال . وإذا استثنينا ما قد يذهب منه سدًى بالرشح، فإن الحاجة لا تدعو إلا إلى إضافة جالون واحد كل خمس سنين . وقد دلت التجارب الكثيرة على أن هذه المادة تصير أجود على طول الاستعمال .

وبعد أن تنتقل الحرارة السائلة من المرجل ، تسير فى أنبوب ملتف ، فلا تلبث أن تظفر بماء ساخن لا ينقطع، وبغير حاجة إلى خزان ، ثم ينعطف الماء فى الأنبوب إلى آلة للتبريد فيحرك جهازها .

والحرارة السائلة تسير إلى كل جزء فى مواقد الطبخ الحديثة، ويضبط سيرها صِمام كحنفية الماء ، يقطع الحرارة أو يطلقها حسبما تشاء . ويتم ضبطها بطريقة بسيطة كالطريقة المتبعة فى أفران الغاز والكهرباء.

وأحدث أجهزة الحرارة السائلة ، هو جهاز للإشعاع (راديتور)، طوله ١٣ بوصة وعرضه عشر بوصات ، وله مروحة تدفع الهواء الدافىء فى غرف البيت فيدفئها . وفى الوسع أن تصل أنبوباً تنساب فيه الحرارة

السائلة، بالأدوات الميكانيكية لغسل الصحون، وأجهزة غسل الملابس وعصرها وتجفيفها، وآلات تبريد الهواء وغيرها من المعدات التى توفر بعض التعب .

وسوف تقول : «كل هذا حسن ونافع ، ولكن كم يكلفنا ؟ » . أما الجهاز نفسه فثمنه كثمن الأجهزة الشائعة اليوم ، وأما التوفير الكبير ففى ثمن الوقود . ويؤكد أوكس أنه سيكون نصف ثمن الوقود الذى يستعمل للطبخ والتدفئة وغيرهما من الشئون.

وهو يعترف بأن الحرارة السائلة لا تخلو من العيوب ، فهى لا تصلح للمكاوى الكهربائية والقِرَب الساخنة وأشباهها ، إذ لا بد من إحاطة أنبوب الحرارة السائلة بمادة عازلة حتى لا تتسرب منه، وذلك يجعل استعمالها للتسخين المكواة والقربة أمراً شاقاً .

وعند المخترع خطط تجعل المنزل مستقلا عن شركات الضوء والغاز ، وتتيح للبيوت فى البرارى النائية وسائل الراحة ، إذا توفر الوقود . وهذه الخطط تقتضى إقامة تربين بخارى قوته ٧½ حصان، قليل الضغط ، موصول بمولد كهربائى قوته ٥٠٠٠ وات ، والثمن نحو ألف ريال . والحرارة السائلة تولد بخاراً للتربين والمولد الكهربائى . ويقول أوكس إن مثل هذا الجهاز ينتج تياراً يكفى لإنجاز شئون المنزل والحقل جميعاً . وهو واثق بأن جهازه يستطيع أن يمد المنازل بتيار كهربائى ، فلا يزيد ثمن « الكيلوات فى الساعة » على مليمين ونصف مليم .

ومن الواضح أن الحرارة السائلة تنفع فى المخابز والمغاسل والمطاعم ومصانع العجائن وغيرها ، حيث تمس الحاجة إلى مصدر دائم لحرارة رخيصة الثمن .

أعظم مطالب المرء فى الحياة ثلاثة : الطعام ، والجمال ، والصداقة . وسوف ينتهى البشر إلى مجتمع يتيح هذه الثلاثة لكل من يسدى إليه عملا صالحاً .
[إدوين ماركهام]

ليس الزواج هو الذى يبوء بالخيبة ، وما يبوء بالخيبة سوى الأزواج ، والزواج هو الذى يكشف عن سوءاتهم . [هارى إمرسون فزديك]

العزلة تشحذ المواهب ، ولا يشحذ الأخلاق إلا تيار الحياة . [جوته]

الأساس القانونى لمحاكمات نورمبرج

مرى كت . بيرنيز

مختصرة من مجلة « سرفاى جرافيك »

١

فى البناء الجديد لوزارة الحربية الأمريكية فى وشنطن نبتت فكرة محاكمة مجرمى الحرب، التى اجتمع قضاتها فى مدينة نورمبرج العتيقة ، موطن النازية .

ففى سبتمبر ١٩٤٤ ، أشار أحد أقسام هيئة أركان الحرب الأمريكية بوجوب محاكمة الزعماء الألمان ، من مدنيين وعسكريين ، ومحاكمة بعض الهيئات ، مثل جنود الصدام والجستابو ، أمام محكمة دولية بتهمة التآمر على الجرائم الشنيعة التى ارتكبتها ، فيقدم للمحاكمة الأولى كل من يظن فيه أنه يحمل أكبر قسط من الوزر ، فرداً كان أو ممثلا لجماعة متهمة . فإذا تبين أن إحدى هذه الجماعات قد اشتركت فى المؤامرة ، قدم جميع أعضائها للمحاكمة ، ليعاقب كل منهم على ما كان له من نصيب فى هذه الجرائم .

ولما بلغ هذا الرأى تمامه ، كانت فيه مزيتان ظاهرتان ، الأولى : تطبيق القاعدة القانونية الخاصة بالاتفاق الجنائى حتى تشمل المحاكمة ذلك العدد الكبير من المتهمين . والثانية : تقرير المبدأ القائل بأن حرب العدوان جريمة فى نظر القانون الدولى ، يعاقب عليها من تثبت عليه تهمتها .

وقد وافق على الاقتراح وكيل وزارة الحرب ووزيرها ووزير الخارجية ومستشاره القانونى . وفى مايو الماضى أقره الرئيس ترومان . وعين القاضى روبرت جاكسون أحد قضاة المحكمة العليا ، نائباً عاما ممثلا للولايات المتحدة . وفى ٨ أغسطس عقد فى لندن اتفاق بين أمريكا وبريطانيا وروسيا وفرنسا ، على إنشاء محكمة عسكرية دولية لمحاكمة المتهمين ، ثم انضمت إليها ١٤ أمة من الأمم المتحدة .

وقد وجهت إلى المتهمين أربع تهم ، الأولى : التواطؤ على ارتكاب جرائم ضد السلم ، بأن دبروا وأعدوا واقترحوا وشنوا حروب عدوان ، كانت انتهاكا للمعاهدات الدولية والاتفاقات والضمانات . والثانية :

التواطؤ والاشتراك فى تنفيذ هذه الأعمال . أما الثالثة والرابعة فهما : انتهاك أصول الحرب ، واقتراف «جرائم ضد الإنسانية» .

٢

وقدتولى رجال وزارة الحربية والخارجية تمحيص جميع الشكوك والمسائل التى أثيرت حول هذا الاتهام فى الصحف أو غيرها ، قبل أن يتم إقرار المشروع .

ويستطيع كاتب هذا المقال* أن يشهد على ذلك، لأنه هو الذى اقترح المشروع وتتبعه خطوة خطوة . وقد تساءل فريق من الناس عن الضرورة التى تقضى بالمحاكمة ، وعن الحكمة فى إجرائها ، واقترحوا أن توقع العقوبة بمرسوم . وقال آخرون بفساد الأسس التى قام عليها المشروع كله ، كالقول بأن حرب العدوان جريمة . ومن مزايا الديمقراطية أن الحكومة لم تقرّ هذا المشروع حتى اطمأنت كل الاطمئنان إلى أن العدالة ستكون مكفولة ، حتى فى محاكمة عدو كالألمان قسوة واستفزازاً .

أترانا نريد حقاً من هذه المحاكمات تحقيق العدالة ؟ سؤال ينبغى أن نتحرى الصدق فى الجواب عليه .

٣

هناك أصول قانونية لا يرقى إليها الشك ولا يعتورها غموض . وأولها أن الاعتداء والقتل جريمتان فى الحرب وفى السلم . وإنها لجريمة « أن تقتل أو تجرح عدواً قد استسلم بعد إلقائه السلاح ، أو استسلم لفقده وسائل الدفاع » كما تقرر اللوائح الملحقة بأحد اتفاقات لاهاى المعقودة سنة ١٩٠٧ ، ولكن لم يرد فى هذه الاتفاقات ولا فى ملحقاتها ذكر للفظ « الجريمة » أو « المجرمين » . وهذه نقطة هامة سأعود إليها ، وحسبى الآن أن أبين أنه ينبغى على كل قائد من قواد الجيوش المتقاتلة أن يوجه تهمة القتل إلى كل جندى يقتل أسير حرب ، وأن يحاكمه . وهذا عرف له سلطان القانون ، فهو قانون وإن لم تسمه اتفاقات لاهاى بهذا الاسم

هذه هى القاعدة فى زمن الحرب ، فما هى القاعدة فى زمن الاحتلال ؟ إن اللوائح المذكورة تنص على ما يأتى :

* كان مرى بيرنيز إلى عهد قريب ضابطاً فى الجيش الأمريكى برتبة كولونيل ، ورئيس مكتب للمشروعات الخاصة فى هيئة أركان الحرب الأمريكية . ثم عين مستشاراً عسكرياً للقاضى جاكسون ، وصحبه إلى لندن للاشتراك فى التمهيد لمحاكمة نورمبرج . وقد تخرج من جامعة هارفرد سنة ١٩١٥ واشترك فى الحرب العالمية الأولى ثم صار محامياً فى نيويورك .

« من الواجب (على سلطة الاحتلال) أن تحترم شرف الأسرة وحقوقها ، وحياة الأفراد ، والملكية الخاصة، والمعتقدات الدينية والعبادات . ومصادرة الأملاك الخاصة محظورة ، والنهب محرم كل التحريم » .

وهنا أيضاً لا نجد في اتفاقات لاهاى ولا فى لوائحها ما يصف هذه الأعمال المحرمة بأنها جريمة ، ومع ذلك فهى جرائم فى حكم قانون العرف والتقاليد .

وتطبيق هذا على الجندى الفرد شىء لا يختلف فيه أحد من الناس ، فمن الممكن نقل هذه القاعدة إلى محيط أوسع دون أن يثير تطبيقها أى خلاف ، فإن ما يصدق على الجندى الفرد يصدق أيضاً — باتفاق جميع الآراء — على قائد السرية أو قائد الكتيبة أو قائد الفرقة أو قائد الفيلق أو قائد الجيش. فهؤلاء القادة تجوز محاكمتهم عن هذه الأفعال إذا ارتكبوها بأنفسهم ، بل تجوز محاكمتهم عنها إذا أمروا بارتكابها، أو رضوا عنها. وقد أدين القائد الألمانى أنطون دوستلر وأعدم لأنه أمر بقتل رجال المظلات الأمريكيين.

وقد قام دوستلر بعمله تنفيذاً لأمر سرى عال أصدره هتلر يوجب قتل الفدائيين عن آخرهم إذا وقعوا فى الأسر ، دون اكتراث لما يرتدون من زى عسكرى ، ولا لما يتولون من مهمة حربية تخولهم التمتع بحصانة أسرى الحرب . وكبار قواد هتلر لم يكونوا يتصرفون من تلقاء أنفسهم حين أعملوا القتل بالجملة فى الأقاليم المحتلة ، وارتكبوا النهب والسلب وترحيل السكان ، وقد ثبت فى محاكمة نورمبرج أن هتلر قد أمر رجاله أن يقتلوا البولنديين .

أفمن عدل القانون أن يحاكم بتهمة القتل ذلك الجندى الذى أطلق الرصاص وقائده الذى أمره بإطلاقه ، ثم يظل رئيس الدولة الذى أمرهما، بمنجاة من المحاكمة؟ حاشا للقانون أن يبلغ هذا المبلغ من العجز والقصور . فكتاب أصول الحرب البرية الذى وضعته حكومة الولايات المتحدة لا يتضمن أية تفرقة فى هذا الصدد ، فقد نص على أن « يعاقب كل فرد أو هيئة انتهكت قوانين الحرب المقررة وأصولها العرفية ، ويعاقب أيضاً من أمر بذلك » .

ويقرر القانون الألمانى العسكرى هذه القاعدة عينها فيقول : « إذا كان تنفيذ أمر عسكرى يقتضى استباحة قانون العقوبات ، فإن الضابط الكبير الذى أصدر ذلك الأمر يتحمل تبعة أمره » .

ولهذا كان القاضى جاكسون محقاً حين قال فى تقريره التاريخى الصادر فى ٧ يونية سنة ١٩٤٥ والمقدم للرئيس ترومان : « إننا لن نرضى عن تناقض يجعل أقوى الناس سلطاناً هو أقلهم تبعة » .

فسواء أكانت حرب العدوان جريمة فى ذاتها أم لم تكن ، فمن العدل أن يقدم المتهمون إلى المحاكمة من أجل الجرائم التى دبروها ونفذوها ، منتهكين حرمة أصول الحرب . ولو نظرت لرأيت كثيراً جداً من جرائمهم يدخل فى حيز الفقرتين الثالثة والرابعة من قرار الاتهام . فمن ذلك : قتل المدنيين واستئصالهم واسترقاقهم ونفيهم ، وقتل أسرى الحرب وإساءة معاملتهم ، وقتل الرهائن ، وتخريب المدن والقرى . وهذه الأعمال كلها جرائم فى حكم القانون الدولى.

ومما يستحق التنويه أن تهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية ، وهى الفقرة الرابعة من الاتهام ، تقيم على المتهمين دعوى ارتكاب أعمال تعد « انتهاكا لقانون العقوبات الألمانى » . فإذا صحت هذه الدعوى كانت أساساً متيناً آخر لمحاكمتهم ، لأن اتفاق التسليم المطلق الذى وقعته ألمانيا ، قد خول الدول المحتلة أن تمارس السلطة القضائية فى البلاد المحتلة ، ولما كانت المحاكم الألمانية مغلقة ولا تنعقد إلا لنظر القضايا التى تأذن بنظرها سلطة الاحتلال ، فمحاكم الحلفاء العسكرية مختصة كل الاختصاص بالمحاكمة عن الجرائم التى ارتكبت مخالفة للقوانين الألمانية ، كما أن لها الحق فى أن تحاكم الألمان الذين انتهكوا هذه القوانين ، فقتلوا أو جرحوا ألماناً آخرين فى أى وقت مضى.

وهذا أمر مهم ، لأن أعمال القتل والتعذيب التى ارتكبها جنود الصدام أو الجستابو تعد أعمالا يحرمها القانون ، حتى فى ظلال الحكم النازى ذاته . وكل ما حدث هو أن مقترفى تلك الجرائم فى ألمانيا كانوا يمنحون شهادات إدارية تكفل حصانتهم من المحاكمة عن تلك الأعمال ، وهذه الحصانة لا تمنع قوات الاحتلال ومحاكمه من أن تطبق عليهم القانون ، لأنها حصانة لا يرضى عنها عقل ولا ضمير .

٤

وقد سئلت : « ولكن أترى الألمان يحاكمون محاكمة فيها عدل وإنصاف ؟ ألست ترى القضاء ورجال النيابة قد اختيروا من الشعوب المنتصرة ومن المجنى عليهم ؟ ألا يشبه هذا أن تحاكم قاتلا أمام محلفين هم أهل القتيل ؟ ولم لم يقعد على منصة نورمبرج قضاة محايدون ؟ »

هذه أسئلة فى الصميم ، ولكنى أظن أن لها جواباً مقنعاً .

ففى أية محاكمة جنائية فى أى بلد متحضر ، قد يكون المحلفون « غير متحيزين » ، ولكن من المستحيل أن يكونوا « محايدين » . إنهم « غير محايدين » بمعنى أنهم يكرهون الجريمة ، وأنهم مصممون على إدانة الإجرام ،

وأنهم يستطيعون أن يعملوا بغير خوف من الانتقام . فهل نستطيع حقاً أن ننتظر من أي عضو من أعضاء الأسرة الدولية أن يكون « غير متحيز » حين ينظر في جريمة دولية ارتكبتها دولة كبيرة ؟ أليست جميع البلدان المحبة للسلام — سواء أكانت محايدة في عرف القانون أم لم تكن — هي أعضاء في الأسرة الدولية التي وقع عليها الاعتداء ، أو هي قريبة الصلة بالدول التي وقع عليها الاعتداء ؟ فمثل هذه المحاكمة لن يوجد لها قضاة « غير متحيزين » بالمعنى الدقيق ، إلا في قبائل الإسكيمو أو الهوتنتوت .

ولو ضم بعض المحايدين إلى أعضاء محكمة نورمبرج لما جاز لنا أن نتوقع من المحايدين المجاورين لألمانيا ، أن يحاكموها بغير أن يخامرهم خوف من أن تستفحل قوتها مرة أخرى فتوقع العقاب السياسي أو الاقتصادي على جيرانها الضعاف الذين اجترأوا على محاكمتها .

٥

هل حوكم المتهمون في نورمبرج عن جريمة حرب العدوان طبقاً لقاعدة أملتها الجيوش المنتصرة ، وجعلتها تنسحب على الماضي ؟ أم تراهم حوكموا طبقاً لقانون كان قائماً ومعترفا به ؟

إن بعض الحقائق المتعلقة بحرب العدوان لا يرتاب في صحتها أحد . فأولا : أن الذين استولوا على زمام الحكومة الألمانية سنة ١٩٣٣ ، قد صمموا على أن يخضعوا القارة الأوربية على الأقل ، وأن يخضعوها بأية وسيلة كانت . وكانوا يعلمون أن برنامجهم يقتضيهم اللجوء إلى حرب العدوان فأعدّوا لها عدتها ، وهم اليوم لا ينكرون هذه التهمة وإنما يدفعونها بأن القانون لا يعاقب عليها .

ولا ريبة أيضاً في أن هذه الحروب كانت حروب عدوان حقاً ، كما ثبت من وثائقهم التي عثر عليها . فإن هتلر قد أكد لشركائه بأسلوبه الحاسم المشرب بالرقة :

« أنا لا أخشى إلا شيئاً واحداً ، هو أن يأتيني تشمبرلن أو أي خنزير قذر آخر يقترح على أن أغير رأيي . فإن حدث هذا فسوف يطرد طرداً ، ولو اقتضى الأمر أن أركله بقدمي أمام المصورين جميعاً . إن غزو بولندة واستئصال شأفتها سيبدآن صباح يوم السبت ، ويجب أن تتقدم شرذم قليلة ترتدي الزي العسكري البولندي فتهاجم سيلزيا العليا أو المنطقة المحمية ، وسواء أصدق العالم هذه الحيلة أم لم يصدقها فالناس لا يؤمنون إلا بالنجاح » . وقد سجل في المحضر الرسمي لهذا الاجتماع : « أن رجال هتلر قد أنصتوا لهذه الخطبة وهللوا لها ، وأن جورنج قد قفز إلى المائدة وأخذ يرقص » .

ولا نزاع أيضاً في أن هتلر كان يعد العدة منذ ١٩٤٠ لمحاربة أمريكا ، وأنه كان يتآمر سنة ١٩٤١ هو واليابان في هذا الشأن .

ومن المسلم به أن غزو بولندة والنرويج والدنمرك وبلجيكا وهولندة واليونان ويوغسلافيا وروسيا ، وأن الهجوم على الولايات المتحدة كانت كلها عدواناً ، وكان فى أكثرها ضرب من الغدر ، لأنها ارتكبت برغم معاهدات الصداقة والتحكيم وعدم الاعتداء ، وبرغم المواثيق التى أعطوها وكرروها قبيل ذلك ، بأن شيئاً من هذا العدوان لن يكون . وكفى بالغدر وحده أن يكون سبباً لعدّ هذه الحروب حروباً غير مشروعة بمقتضى القانون الدولى .

والحرب التى تبدأ بالغدر لا تعدّ فى حكم القانون الدولى حرباً بأية حال ، وإنما تعد ضرباً من السطو لا أكثر ولا أقل . وليس من شأن إعلان الحرب بعد ذلك أن يقلب العمل غير المشروع فيجعله عملا مشروعاً ، وكل من اشترك فى تدبير هذه الأعمال وما اتصل بها من جرائم ، ليس إلا مجرماً كسائر المجرمين .

فما الرأى إذن فى العدوان المتمثل فى الهجوم على تلك الأمم ؟ فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٨ وقع فى باريس ميثاق تحريم الحرب ، « ميثاق كيلوج — بريان » ، وقد أمضاه ممثلو ستين أمة ، بينها جميع الدول الكبرى ومنها ألمانيا التى لم تلغ توقيعها عليها مطلقاً ، فظلت مقيدة بما تضمنه الميثاق من أن الدول الموقعة عليه « تصرح باسم شعوبها أنها تحرم اتخاذ الحرب وسيلة لفض المنازعات الدولية ، وتحرم اتخاذها أداة من أدوات السياسة القومية فى علاقات الدول » .

فإن صح لنا أن هناك إجماعا على شىء فى هذا الصدد ، فذلك هو أن ميثاق كيلوج — بريان قد جعل حرب العدوان حرباً غير مشروعة . وليس يخرج على هذا الإجماع أحد ، حتى أولئك الذين يذهبون إلى القول بأن المتهمين فى نورمبرج يحاكمون على أساس قانون جديد لاحق ، صدر بعد إقرار المحاكمة . وكل ما يقوله هؤلاء هو أن ذلك الاتفاق قد جعل حرب العدوان « غير مشروعة » ، ولكنه لم يجعلها « جريمة » .

وبهذا ينحصر البحث فى هذا الحيز الضيق ، فإن هؤلاء الذين ينفون عن حرب العدوان صبغة الجريمة برغم نقضها ميثاق كيلوج — بريان ، يرون أن هذا النقض من قبيل فسخ العقود ، لا من قبيل اقتراف الجرائم .

٦

إن ميثاق كيلوج — بريان لا يفهم على وجهه حتى ينعم المرء نظره فى الألفاظ التى تضمنها ، والموضوع الذى عالجه ، والأصول التى قام عليها .

أما ألفاظه : فمنها أن الدول المتعاهدة « تحرم اتخاذ الحرب وسيلة » ورجال

القانون يعلمون أن فعل «حرّم» يتضمن معنى الإجرام فيمن يخالف.

وأما الموضوع: فقد عبّر عنه القاضي جاكسون فى كلمة واحدة فقال: «لا نزاع فى أن أهل الفضل والرأى جميعاً لايجدون جريمة ينطوى فيها كل ما هو دونها من الجرائم كجريمة شنّ حرب لا مسوّغ لها». ورجال السياسة ورجالُ القانون الدولى الذين يرشدونهم، يتحرون الدقة فى ألفاظهم. وقد استعملت الدول التى وقعت الميثاق فعلا يتضمن معنى الإجرام، لأنها كانت تريد أن تندد بما يعده كل عاقل جريمة — فهى قتل منظم واسع النطاق وتشويه وتخريب.

وأما الأصول: فإن دول الميثاق حين قالت إنها «تحرم اتخاذ الحرب وسيلة»، كان زعماؤها — ومنهم زعماء ألمانيا وإنجلترا وأمريكا — قد قيدوا أنفسهم جهرة برأى يعد حرب العدوان جريمة فى عرف القانون الدولى.

وقد كان هذا الرأى لباب بروتوكول جنيف الذى صدق عليه فى ٢ أكتوبر ١٩٢٤، ممثلو ٤٨ دولة فى دور الانعقاد الخامس للجمعية العمومية لعصبة الأمم. وقد انضمت ألمانيا إلى العصبة فى عام ١٩٢٧، وكانت واحدة من ٤٨ دولة أكد ممثلوها بالإجماع مرة أخرى فى الاجتماع الثامن: أن حرب العدوان «جريمة دولية».

وفى السنة التالية أيدت القارتان الأمريكيتان هذا الإعلان، ففى مؤتمر الجامعة الأمريكية السادس فى هافانا، أجمع ممثلو إحدى وعشرين جمهورية على أن «حرب العدوان جريمة دولية ضد الجنس البشرى». فمن الواضح أن ممثلى الأمم الستين حين وقعوا ميثاق كيلوج — بريان، كانوا يعلمون حق العلم أنهم قد قرروا من قبل علانية أن حرب العدوان جريمة.

ولكن الذين ينتقدون إجراء نورمبرج يجادلون قائلين: «حقاً إن ميثاق كيلوج — بريان قد جعل الحرب عملا غير مشروع، وحقاً إن لكم أن تحاسبوا الدولة التى تشن حروبا غير مشروعة، ولكم أن تعاقبوها فتحتلوها وتفرضوا عليها التعويضات، وأن تبقوها تحت النير إلى أجل غير مسمى، ولكن ليس لكم أن تمسوا بسوء رجل الدولة أو القائد اللذين قادا الدولة إلى الجريمة. لماذا؟ لأن الميثاق قد حرم الحرب ولكنه لم يفرض عقوبات جنائية على الذين يشنونها».

ولو سلمنا بصحة هذا الدليل لألغينا فى لحظة واحدة قوانين الحرب المقررة، ولرجعنا القهقرى إلى عصور البربرية. إن اتفاق لاهاى الرابع لم يفرض جزاءً جنائياً على ذبح المدنيين أو القتل أو التشويه أو

الاغتصاب أو الظلم أو الاسترقاق ، لأن الاتفاق اكتفى بتعداد المحرمات ، ولكن حين يكون العمل المحرم مما تعارفت الشعوب المتحضرة على عده جريمة ، فإن هذا العمل يكون فى حكم قوانين الحرب جريمة ، ويعاقب مرتكبه طبقاً لها .

ولم يقرر اتفاق جنيف الخاص بأسرى الحرب عقوبات جنائية على قتل الأسرى أو تعذيبهم أو تجويعهم أو حرمانهم من العلاج ، ومع ذلك فإن خبراء القانون فى وزارة الحرب الألمانية ، لم ينكروا خلال الحرب أن هذه الأمور تعد جرائم . وقال القاضى جاكسون عند افتتاح المحاكمة :

« إن المتهمين كانوا يعرفون حق المعرفة ما تنطوى عليه هذه الأعمال من جريمة ، ولهذا أجهدوا أنفسهم فى إخفائها . وسيتبين أن المتهمين ، كيتل وجودل ، قد نبههما مستشارون قانونيون رسميون إلى أن الأمر بوسم الأسرى الروسيين بالنار ، وتكبيل الأسرى البريطانيين بالأغلال ، وإعدام أسرى الفدائيين ، كان انتهاكا ظاهراً للقانون الدولى » .

كلا . إن هذا دليل لن يتماسك . نعم ، إن ماحدث فى نورمبرج يعد انقلابا ، ولكن يجب أن نتبين نوع هذا الانقلاب . إنه ليس انقلابا فى القانون ، ولكنه انقلاب فى الوسائل التى تتبع لتنفيذ القانون . ولهذا قال القاضى جاكسون فى افتتاح المحاكمة :

« ليس مما يضيرنى أو يزعجنى أن لا أجد سوابق قضائية لهذا التحقيق الذى سنشرع فيه » .

إن أمم العالم قد ارتضت أن تعقد اتفاقات فيما بينها ، تقضى بعقاب القادة الذين يتآمرون على شن الحرب ، ولكن هذا القانون الدولى ظل معطلا .

وقد بُتَّ الرأى فى نورمبرج بأن هذا التعطيل لن يستمر منذ الآن . ولا يسعنا أن ننتظر أكثر مما انتظرنا بعد أن أطلق البشر طاقة الشمس من أغلالها ، ولسوف تحطمنا مكتشفاتنا إن لم نخضعها لسلطاننا .

فإن شئنا تحقيق هذا السلطان ، فلا بد من أن يكون للتبعة الأدبية التى يقررها القانون الدولى ما يشد أزرها من أسباب العدالة . ولكن التبعة الأدبية تتعلق بالفرد ذاته ، وكيان القانون الأهلى يقوم على أن الفرد هو وحده الذى تناله يد العدالة ، وإذن فسيظل القانون الدولى عاجزاً ضعيفاً إلى أن يتمكن من أن يخضع الأفراد لسلطانه. وإذا لم يتم هذا فالأجيال التى سوف تعيش تحت تهديد الطاقة الذرية ومكتشفاتها ، لن تظفر بالأمن والسلام .

فبهذا كانت محاكمة نورمبرج انقلابا فى تطبيق القانون ، يفتح باب الأمل للشجعان وللصالحين الأخيار من الناس فى كل مكان.

رفيق الصيّاد

ركس بتش

مؤلف "الذهب السائل" و "مغامرات ألاسكا" وغيرهما



كان بيتر دبلى فنى صياداً يعيش وحيداً فى البرارى النائية .

نعم كان وحيداً لولا صحبة كلبه الضخم، وهو حيوان فيه من دم الذئاب أكثر مما فيه من دم الكلاب .

وكان من دأب بيتر، إذا جاء الخريف، أن ينطلق خارجاً من الغابة هو ورفيقه الصامت الصابر ذو الفرو الرمادى يلتمسان زادهما للشتاء، ثم يغيبان عن الأنظار ثانية، فإذا جاء الربيع طلعا مرة أخرى بما يحملان من الفراء .

كان هذا الكلب رفيقاً صابراً حقاً، فقد قاسم مولاه كل شقاء لقيه وكل بلاء أصابه . ولم يكن هذا الكلب المتحدّر من صُلب الذئاب يعبأ شيئاً ما دام مولاه قريباً منه، فسواء عليه أناما معاً فى العراء تحت نجوم السماء، أم استكنا معاً فى مثواهما المريح . ولو رأيته لرأيت فى عيونه الصفر وهجاً صافياً يتلألأ وجْدًا وهياماً، ولا يزال يسطع كأنه قنديل راهب فى صومعته . ولا يزال كذلك ساكناً وديعاً، حتى إذا أظلّ مولاه خطر يتهدّده، خلع الذئب الذى فى دمه ثوب الكلب، فتوحّش وانتفش وانتفخت أوداجه وكشر عن أنيابه، وتضرمت نار الفتك والضراوة فى عينيه .

وبعض الكلاب لا تكاد تضمّ جوانحها على حُبٍ تكنه لأكثر من شخص واحد، إلا أن قلب هذا الكلب كان رحباً واسعاً كسعة إهابه — سعة أتاحت فيه لمرجريت مكاناً يوم تزوجها بيتر . فلما جاء الربيع ووضعت مرجريت ولدها بيتر الصغير، وصار لزاماً على الكلب الوفى أن يتعهد بحراسة ثلاثة أنفس بعد نفسين، أقبل على عمله راضياً، ونال نصيبه من السعادة التى مدّت ظلالها على البيت .

غير أن المقادير الجائرة تنمَّرت لهذه السعادة الممدودة، فأبت على مرجريت أن تتماثل وتسترد عافيتها، وجاء الخريف فألقى شآبيب ثلوجه على ربوة حديثة العهد تحت ظلال الصنوبر، حيث ترى العين رجلا ساهماً محزوناً وكلباً ضخماً رمادى الإهاب، وقفا صامتين خاشعين لرهبة الموت .

واستطاع بيتر أن يحتال على رفيقه حتى

أفهمه أنه لن يخرج معه بعد اليوم ، ولن يقاسمه مباهج الغاب أو روعته ، وأنه لا مندوحة لأحد الرفيقين من أن يلازم البيت ليتعهد الطفل ويرعاه ، على حين يخرج الآخر يطوف ليأتيهم بشيء يطعمونه .

فمن يومئذ صار من دأب الكلب أن يقف عند النافذة يشيع بيتر بنظراته حتى تضمره الغابة ، ثم يرسل زفرة من أعماق قلبه ويتخذ مكانه باسطاً ذراعيه إلى جوار فراش الصغير . فإذا استيقظ أو بكى لم يلبث حتى يجد فروا ناعماً يستكن فى نعومته ، ولساناً دافئاً يمسحه ويسكن من روعه .

وذات يوم خرج بيتر وهبت ريح عاصف ، وإذا الغابة قد تلفعت فى لمح البصر بضباب أبيض ، فأخرج بوصلته واهتدى بها ميمما شطر البيت . كان مشيه وئيداً ، فأطبق الليل وهو لا يزال يسير . فقال بيتر لنفسه : لا بأس ، فما أشك أن صديقي الكلب سيتعهد الصغير ويكفل له مضجعاً دافئاً .

فلما بزغ الفجر سكنت العاصفة ، وما لبث بيتر أن أفضى إلى الأرض الفضاء وهو يترنح ثم أخذ يصفر ، وكان عهده بالكلب إذا سمع صفيره أن يسرع إلى النافذة فيأتى بحركات غريبة ترحيباً بمقدمه ، ولكنه لم يجد فى هذه المرة للكلب حساً ولا حركة .

انقبض صدره ، وجعل يصيح وهو يعدو نحو البيت وألقى بنفسه على الباب فإذا هو مردود لا مغلق كما ظن .

رأى المهد خالياً ، وعلى الملاءة دم أحمر ، وعلى الأرض بقع من الدم . ثم زحف الكلب من تحت الفراش وقد وقف الأب المفجوع ذاهلا قد شله هول ما رأى . وها هو يرى الكلب أحمر الفم أيضاً وفروة عنقه مضرجة بالدم . لم يرفع الكلب بصره إليه ، ولم يحاول أن يدنو منه ، بل جثم حيث هو ناكس الرأس صامتاً خاشع الطرف .

وفى مثل ومضة البرق أدرك بيتر ما كان . العرق دساس ، وابن الذئب هو الذئب . لقد أضرم الجوع فيه ضراوة أسلافه الأول . وصرخ الرجل ورفع فأسه وهوى بها بكل قوته ، حتى غيب نصلها فى ذلك الرأس الضخم — رأس الكلب .

فما هو إلا أن سمع بكاء طفل ، فجثا الأب المسكين على ركبتيه ومد يداً ترتعش ، وأخرج الطفل من تحت الفراش . رأى ثياب الصغير ممزقة وعليها بقع من دم ، ولكنه كان سليما لم يمسسه سوء . وخرج الأب ، وهو كالمغشى عليه وطاف بالبيت فوقع بصره على جثة دب ضار أضر به الجوع ، ملقاة فى ركن مظلم وقد مزق نحره ، ولا تزال بين أنيابه قطعة مضرجة بالدم من فروة الكلب — فروة رفيقه وصديقه .

اختصرنا كتاب إمرى ريفز «قضية السلام» فى عددى يناير وفبراير ١٩٤٦ من المختار. ومنذ نشر هذا الكتاب فى يونيو ١٩٤٥، تعاظمت العناية به، فذكره أحسن ذكر، العالم أينشتين فى مقاله عن القنبلة الذرية، ونشر فريق من كبار المفكرين وأقطاب الدين والسياسة والقضاء والصناعة والعمال، كتاباً مفتوحاً فى الصحف يحض الناس على مطالعة الكتاب.

وخلال ذلك سارت أحداث العالم سيراً سريعاً. فطلب محررو «ريدرز دايجست» إلى المستر ريفز أن يكتب لمجلتهم موجزاً مما خطر له وتفكر فيه منذ نشر الكتاب، وأن يعقب فيه على الأقوال التى أسفرت عنها مناقشة آرائه فى طول البلاد وعرضها، فكتب المقال التالى، وعنى فيه على وجه خاص بأخطر المسائل، وهى: ماذا ينبغى أن يفعله الناس لتحقيق الأصول التى بنيت عليها آراؤه.

الحكومة العالمية هى الخطوة الأولى

إمرى ريفز ٥ مؤلف كتاب "قضية السلام"

من الناس من أقنعه منطق التاريخ أو مغزى الأحداث المتعاقبة، بأن قيام حكومة عالمية ضرورة لازمة، حتى هؤلاء النفر ربما هزّ أحدهم رأسه وقال:

« نعم، إن الحكومة العالمية هى الغاية، ولكننا لا نستطيع أن نظفر بها على الفور، فينبغى أن نمضى إليها خطوة خطوة ».

هذا الرأى يغفل الضرورة الملحة التى أسفر عنها استعمال التفجر الذرى فى الحرب. فليس ثمة خطوة أولى إلى قيام الحكومة العالمية، بل الحكومة العالمية هى الخطوة الأولى — الخطوة التى ينبغى أن نخطوها قبل أن تتاح لنا أية فرصة لمواجهة مشكلاتنا الأخرى من اقتصادية واجتماعية. وستظل هذه المشكلات قائمة، ولكن الاعتماد على القانون، دون المعاهدات فى صلات الأمم، أمر لا غنى عنه، إذا ما أردنا أن يكون لنا نظام يمكننا من علاج هذه المشكلات.

وإننا لنسمع من كل حدب صوتاً آتياً يقترح أن « نلغى » القنبلة الذرية، أو أن « نحرّمها » أو أن « نسيطر عليها » أو « أن نحتفظ بها سراً مكتوماً ». وقد أسفر البحث المشهود، بين رجال العلم والسياسة والصناعة والإذاعة والصحافة، عن اتفاق على الحقائق التالية:

أن طائفة من الأمم ستصنع القنبلة الذريه

قبل أن تنقضى سنوات قليلة ، وأنه لا يحتمل أن تكشف وسيلة يعتمد عليها تصلح لدفع خطرها ، وأن السيطرة الدولية على البحث الذرّى أو صنع القنابل الذرية ، لا تجدى جدواها للسبب الآتى : لا تتمُّ السيطرة الدولية إلا إذا منحت الأمم بعضها بعضاً حق التجسس الصناعى والحربى ، (وهذا بعيد) وما دام خطر الحرب قائماً بين الدول القومية ، فسوف تتوسل بعض الحكومات إلى منع الهيئات الدولية من تفتيش معامل أبحاثها ومصانعها ، أو الإشراف عليها .

وليس ثمة سوى ضرب واحد من الأمان يوقّينا دمار القنبلة الذرية ، هو الأمن الذى تتيحه لنا سيادة القانون العام . وكل ضرب آخر من الأمن وهمٌ من الأوهام .

وليست القنبلة الذرية ولا أى سلاح تتفتق عنه عبقرية الإنسان ، شيئاً خطيراً فى حد ذاته . والأسلحة إنما تصير خطرة متى وقعت فى أيدى دول ذات سيادة غير الدولة التى تنتمى أنت إليها . فمن الواضح ان رأس الخطر ليس القنبلة الذرية ، بل الدولة القومية .

وإن فى خمسة آلاف سنة مضت لدليلا على أن الحروب تنشب كلما تلاقت جماعات من الناس فى منزلة واحدة من السيادة . ولم يستتب السلام بين طائفة من البشر ، إلا حين وجد قانون واحد ينظم علاقة بعضهم ببعض .

ففى يوم الناس هذا نرى أن جماعات الناس التى تتلاقى ويحتكُّ بعضها ببعض احتكاكا دائماً ، إنما هى الدول القومية . وإذن فقد وضحت معالم المشكلة : كيف نستطيع أن نمنع الحرب بين الدول القومية ؟

والرأى الغالب هو أنه ينبغى أن ننشىء « هيئة دولية ما » لكى تمنع الحروب . وقد جرّب الناس منذ قرون ضروباً مختلفة من الهيئات الدولية ، ومع ذلك لم نزل نصرُّ على أننا نستطيع أن نقيم نظاماً دولياً صالحاً على « دستور الحقوق » دون « دستور الواجبات » . ودستور سان فرنسسكو لم يبين سبب الكارثة العالمية ، ولا وضح معالم الطريق إلى الحرية الصادقة ، بل يغرى البشر مرة أخرى بأن يسيروا وراء سراب السلام بين الدول ذات السيادة ، عن طريق عقد المعاهدات .

السلام عن طريق القانون
لا عن طريق هيئة الأمم المتحدة

لن تجد فى مجتمع لا يخضع لسلطة القانون رجلا فرداً يأتمن قاضياً أو محكمة أو هيئة من المحكمين ، حتى ولو كانوا من خيار الناس ومن أحناهم على الناس . وأعضاء المجتمع البشرى لا يرضون أن يخضعوا إلا لشىء واحد : هو القانون . وليس

للقــانون وجود بين الدول ، ولا قامت له قائمة فيما مضى ، وقد أبعد عن عصبة الأمم ثم عن هيئة الأمم المتحدة جميعاً .

أما أن نقيم صرح « السلام » على إجماع عدد من الحكومات القومية ذات السيادة — هى الآن الدول الخمس الكبرى — فضرب من الاستغراق فى الوهم . والتاريخ يقيم الدليل القاطع ، على أن الخطر الحقيقى على السلام إنما يأتى من قبل إحدى الدول الحربية الكبرى . ومن الواضح أن أية دولة كبيرة لن تقترع ضد مصالحها فى أى مجلس دولى . وإذن فمن المحال أن تظفر بإجماع الدول الخمس فى مجلس الأمن إذا نجمت أزمة دولية كبيرة . ومتى نشب نزاع خطير من هذا القبيل ، لم يبق أمام الدول القومية الأخرى إلا أحد طريقين : فإما أن تغمض عيونها فتدع حوادث منشوريا والحبشة والنمسا وأسبانيا وتشيكوسلوفاكيا ، تتكرر مرة أخرى ، وإما أن تخوض غمار الحرب .

فأمُّ المشكلات الدولية ، وهى مشكلة تنظيم علاقات بين الدول الكبيرة ليس فيها خطر دائم يهدِّد نشوب حروب كبيرة ، لا يمكن أن تحَلّ ما دامت الدول القومية تتمتع بسلطان السيادة المطلقة . وإذا لم تندمج مجالسها ذات السيادة فى مجالس عالمية تعرب عن سيادة الشعوب جميعاً ، فالنزاع بين الوحدات القومية أمر لا مفر منه .

وفى جميع الخطط التى وضعت لتنظيم العالم ، ترى أن الحكومات القومية لم يزل فى يدها السلطان كله ، ولها الرأى كله ، ولها حق التنفيذ بأسره ، ومنها وحدها التشريع كله . ولن تستطيع هيئة تضمُّ هذه الدول ذات السيادة على أساس من المساواة أو المفاضلة ، أن تمنع نشوب حرب أخرى .

ولا فرق بين أن يجتمع وزراء خارجية أمريكا وروسيا وبريطانيا حول مائدة فى مجلس الأمن ، أو خارجه فى مؤتمر لوزراء الخارجية . فإنك تراهم فى الحالين ممثلين أقسموا يمين الولاء لثلاث دول قومية ذات سيادة ، والقرارات فى الحالين ، مرجعها إلى وشنطن وموسكو ولندن . ولا يسع هؤلاء الوزراء إلا أن ينتهوا إلى عقد اتفاقات أو معاهدات ، وليس لهم سلطة سنّ قانون يطبق على جميع الناس فى دولهم القومية .

فليكن همنا تدبر الهدف

لا خوف المشقات

فطر الناس على أن يحجموا عن قبول مبدأ جديد لم تتح لهم فرصة امتحانه ، كمبدأ الحكومة العالمية المتحدة . ونحن نعمل الفكر فى المشاق التى تحول دونه ، لا فى الهدف الذى نرمى إليه فيستدرجنا ذلك إلى جدال

فى التفصيل لا جدوى منه ، ويحول دون تدبر الأصل، ويكف بصرنا عن أن التفاصيل ينبغى أن يدبر أمرها بعد أن تقتنع الشعوب وتتفق على الهدف الأعظم .

فثمة من يجيئنا بإحصاءات السكان يخيفنا بها ، ويصرفنا عن المراد ، فيقول : كيف تستطيع أمة صغيرة أو أمة وسط أن تسمح للصينيين أو الهنود بأن يسيطروا على مجلس التشريع العالمى ؟

والحقيقة هى أن أحداً من الصينيين أو الهنود لم يطلب أن يمثلوا وفقاً لتعداد الشعبين . وسيكون التمثيل فى كل حكومة عالمية وفقاً لما تحمله الأمم من التبعة ، وتبعاً لقوتها وقدرتها الصناعية ومستوى التعليم فيها . وثمة وسائل مجربة تصلح لحل هذه المسألة الفنية .

ولكن الناس يريدون أن يعلموا كيف نأمن أمماً أخرى ، على تعيين الميادين التى يرسل إليها أبناؤهم ليقاتلوا ؟

وهذا السؤال خارج عن صميم الموضوع ، ففى جيل واحد دفع بأبناء الناس مرتين إلى القتال ، بناء على قرار اتخذته ألمانيا واليابان . وليس يسع أحداً أن يقول إن أمريكا وبريطانيا وفرنسا كانت حرة فى أن تقرر أيذهب أبناؤها إلى القتال أم لا يذهبون . والحقيقة أن الأمم اليوم إنما هى كالدمى لا حول لها ولا قوة ، تساق إلى ما تفعله سوقاً بما تفعله أمم أخرى . فعملنا هو أن ننظم العالم وندع السلطان فيه للقانون، حتى ينعم الناس بالسلم والأمن . وإنشاء قوة دولية من الشرطة أمر لازم ولا ريب ، لأن تنفيذ القانون هو الذى يجعل للقانون سلطاناً غالباً . أما أن ننشىء قوة دولية من الشرطة، بغير أن ننشىء قبلها جمعية تشريعية عالمية ، فذلك رأى فاسد .

ألا تقضى الحكومة العالمية على كيان الأمم ؟

إن الأمر على نقيض ذلك ، ولا يقضى على الأمم فى عصرنا هذا إلا قيام الدول القومية. وليس ثمة وسيلة لصون الأمم وثقافاتها الخاصة ، إلا قيام نظام دولى دعامته القانون. فهذا النظام ليس مما يهدد الفروق القومية والثقافية بين الأمم ، بل صار الشرط الأول لصون هذه الفروق ونمائها .

ولولا الاتحاد لأباد الأسكتلنديون الإنجليز أو أباد الإنجليز الأسكتلنديين، كما أباد الرومان قرطجنة ، وكما أباد غزاة الهون روما. وإنك ترى اليوم أن الأسكتلنديين فى نطاق المملكة المتحدة ، أشد تمسكا بنزعتهم الأسكتلندية وتقاليدهم ، والإنجليز كذلك أشد تمسكا بنزعتهم وتقاليدهم، مما كانوا جميعاً قبل الاتحاد.

وأبعث الاعـتراضات على الغيظ هو اعتراض بعض الأقطاب الذين يؤكدون « أن الأمم لم تتهيأ بعد لاتحاد عالمى » .

ترى كيف علموا ذلك ؟ أدعوا إلى اتحاد عالمى ؟ أيؤمنون به ؟ أحاولوا أن يشرحوا للناس أسباب الحرب ووسائل السلام ؟ وهل أبى الناس هذا الحل بعد أن تبينوا الحقيقة ، ثم قرّروا أنهم يؤثرون الحرب بين الدول القومية على السلام القائم على القانون ؟ وإلى أن يتمّ كل هذا وتظهر النتيجة ، يحق لنا أن نرتاب فيما يدعيه هؤلاء الأقطاب .

أنشرك روسيا ؟

إن رغبة الدولة القومية فى أن تأمن على نفسها وعلى كيانها ، هو أكبر باعث على التوسع الاستعمارى . ولم يكن فى روما أحد يريد إمبراطورية أو حرباً ، وإنما كانوا يحبون كل الحب أن يصونوا ما ألفوا من أساليب الحياة ، ولـكن القبائل على حدودهم لم تدعهم وشأنهم ، فدفعتهم رغبتهم فى تأمين ملكهم أن يوسعوا آفاق دولتهم حتى فتحوا كل العالم المعروف فى زمنهم .

وهذه القوة نفسها هى القـوة المحركة فى سياسة السوفيت وسياسة أمريكا اليوم ، فكلتا الدولتين مقتنعة بتفوق حضارتهـا ، ولـكل منهما بلاد فسيحة فلا تحتاج إلى أن تتوسع ، وكلتاهما ترغب رغبة صادقة فى أن تترك وشأنها ، وأن تعيش فى سلام ، وأن تمضى فى الحياة التى ارتضتها وآثرتها .

ولـكن كرة الأرض قد أخذت تتقلص ، وصارت الفلوات الواسعة والمحيطات لا تعد حدوداً مأمونة ، فترى كلتا الدولتين تشعر أنه لا بد لهما من إنشاء دولة مسلحة كبيرة ، ولا بد لها من قهر أعدائها وغزوهم لـكى تظفر بالأمن المنشود . وكذلك نرى الأمريكيين يضمون جزائر تبعد ألوف الأميال عن أمريكا لضمان السلامة ، ونرى الروس يوسعون حدودهم لأغراض الدفاع أيضاً .

ومن العبث أن تتهم إحـدى الدولتين بالنزوع إلى الاستعمار ، فكلتاهما موقنـة أن ما تفعله إنما هو لضمان سلامتها ، كيقينها أن القوة المسلحة المتفوقة فى يد أية أمة أخرى إنما هى خطر على السلام ، فإذا صارت فى يدها هى كانت ضماناً للسلام .

ويقول بعض الساسة إنه من الإجرام أن يذكر أحد من الناس إمكان نشوب حرب بين الفئة الروسـية والفئة الإنجليزية الأمريكية ، أما أنا فأعتقد أنه من الإجرام أن نغفل عن ذكر ذلك . فينبغى أن تتبين شعوب الأرض خبر القوى التى تدفعهم إلى تصادم متوقع . وليس لذلك صلة ما بالشيوعية أو الرأسمالية ، أو الفردية أو الاشتراكية ،

وما هو إلا تصادم لا مفرّ منه بين سيادات متلاصقة ولكنها غير مندمجة .

فإلى أى حدّ نستطيع أن نرجو قيام حكومة عالمية قبل أن تنشب الحرب المقبلة ؟ إنه رجاء ضعيف . ولنفرض أننا بسطنا المشكلة بسطاً وافياً للشعوب الديمقراطية ، أفمن المحتمل أن ترضى روسيا السوفيتية عن الاقتراح ، وأن تشترك معنا فى هيئة حكومية عامة ؟ أعتقد أن الجواب هو : لا . أفهو ممكن ؟ ربما . ولكن إذا لم يتمّ هذا كانت العاقبة حرباً تدمر جميع حريات الفرد وتقيم الحكم الجامع — إما حكمنا وإما حكم روسيا — وهذا أمر لا يدع مجالا للتردد فى عمل ما ينبغى أن يعمل .

ماذا نستطيع أن نفعل اليوم ؟

كيف يكون السعى إلى إقامة السلام على أساس القانون ؟

ليس ثمة ما هو أعقم من الاهتمام بوضع خطط مفصلة لدستور الحكومة العالمية ، فإذا فعلنا عاقنا ذلك عن التقدم . ولو انصرف الاهتمام ، يوم كانت الديمقراطية فى مهدها ، إلى كتابة دستور ديمقراطى مفصل يمثل جوهر الديمقراطية ، ثم عرض على الناس لكى يوافقوا عليه ، لما قامت دولة ديمقراطية ما فى أى ناحية من هذه الأرض .

إن التاريخ لا يسير على هذا النمط . وقد كان مؤسسو الديمقراطية أحكم وأرشد ، فقد وضعوا أولا طائفة قليلة من المبادىء ، فأثرت فى نفوس الناس واستفزت حماستهم ، فلم يلبثوا أن أيدوا هذه المبادىء وحرضوا ممثليهم على أن يحولوا هذه المبادىء أمراً واقعاً ، وأن ينشئوا الأداة اللازمة لنظام يكون شريعة دائمة . أما الدساتير فقد تمت المناقشة فيها بعد قبول المبادىء العامة وتفويض الممثلين ، لا قبل ذلك . وكذلك نرى اليوم أن النظم الديمقراطية تختلف فى تفاصيلها اختلافاً كبيراً ، ولكنها متحدرة جميعاً من مبادىء متماثلة .

والديمقراطية فى الولايات المتحدة تختلف عن الديمقراطية البريطانية . والديمقراطية الفرنسية تختلف عن الديمقراطية الهولندية . وللديمقراطية السويسرية منشآت تتباين تبايناً عظيما عن منشآت الديمقراطية السويدية ، وعلى الرغم من اختلافها فى التفاصيل ، تراها جميعاً نظماً تصلح للحكم الديمقراطى ، يتمثل فيها المبدأ الاجتماعى الديمقراطى الأصيل : مبدأ سيادة الشعب كما كان مفهوماً منذ قرن ونصف قرن .

أما فيما يخص إنشاء نظام ديمقراطى عالمى دعامته القانون ، فإننا لم ندرك بعد المرحلة التى ترسم فيها الفكرة ، ولا صغنا المبادىء

العامة . فأمامنا خمس مراحل فى الطريق المفضى بالناس من الفرض الذى نتمناه إلى التحقيق ، وهى :

١ — تصوير الفكرة وإعلان المبادىء .

٢ — نشر المذهب كما نشر المذهب الديمقراطى وغيره من المذاهب التى ذاعت بين الناس .

٣ — انتخاب ممثلين وتفويضهم أن يضعوا المبادىء الجديدة موضع التنفيذ .

٤ — يتعين على هؤلاء أن يتناقشوا فى البرامج ، ويتجادلوا فى التفاصيل ، وأن يقروا ما ينبغى لتنظيم حكومة عالمية تمنع الحروب بين الدول القومية .

٥ — فإذا ما تم هذا العمل الدستورى وجدنا حلولا كثيرة صالحة ، على تفاوتها وتباينها .

وهذا هو نمط التاريخ فى سيره ، وعلى هذا النحو تم وضع الدساتير الديمقراطية فى القرن الثامن عشر .

ولا ينبغى أن يفتّ ذلك فى عضد الناس ، ففى عهد الناس هذا ، نجد الصحف والأفلام والإذاعات فى متناول جميع سكان الأرض المتحضرين . وإذن فعشر سنوات ينبغى أن تكون كافية لنجاح الجماعة التى تدعو إلى مبادىء السلام والقانون العام .

والحركة التى لا بد منها لإنشاء حكومة عالمية ، ينبغى أن تستمد قوتها من جميع بلاد الناس . فليس لنا غنى عن أن نجد فى أكثر من بلد واحد ، قوماً يتوقون إلى النهوض بهذا العمل . وثمة دليل على وجودهم ، ففى ٢٣ نوفمبر ١٩٤٥ ألقى إرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا خطبة تاريخية ، أعرب فيها عما يساوره من قلق عن « خيبة أمل الناس مرة أخرى » فيما أنجزه مؤتمر سان فرنسسكو فقال :

« أرى قوة لا تقهر تدفعنا فى هذا الطريق ، فنحن فى حاجة إلى دراسة جديدة من أجل إنشاء جمعية عالمية تنتخب أعضاءها جميعاً شعوبُ الأرض ، وتكون حكومات الأمم المتحدة مسئولة أمامها . فتسن القوانين العالمية التى تقبلها شعوب العالم ، وتشعر فى دخائل نفوسها أنها مقيَّدة بتنفيذها . وأنا مستعد أن أجلس مع أى امرىء من الناس ، من أى حزب ، ومن أية أمة ، لنحاول أن نضع دستوراً لجمعية عالمية لها غرض محدود — هو صون السلام » .

وليس ثمة طريق مختصرة إلى هذا الغرض فينبغى أن يدرك الناس دقائق المشكلة ، وأن يقرروا : أيريدون السلم أم الحرب ، وأن يفرضوا إرادتهم على ممثليهم .

ولو هبط على أرضنا سكان سيّار آخر وهدّدونا بالفتح ، لاتحدت أمم عالمنا هذا

الصغير ، ولنسينا وجوه النزاع الدولى السخيف ، ولقبلنا بملء إرادتنا سلطان قانون واحد لكى نذب عن كياننا . أفيدور فى خلد أحد أن يكون الدمار الذى يحيق بنا فى حرب عالمية ذرّية ، أيسر من ذلك خطراً على الحضارة والبشر جميعاً !

وليس أمامنا سوى زمن قصير حتى نتخذ ما يلزم لمنع الحرب التالية ، فينبغى لكل من يؤمن بسلطان القانون فى صلات الدول بعضها ببعض ، أن يقنع عشرة غيره بما يؤمن ، وأن يحثهم على أن يقنع كل منهم عشرة آخرين — دون إبطاء . فعلماء نواة الذرّة قد بينوا لنا أن الطاقة الذرية تنطلق بما أطلقوا عليه وصف «التفاعل المتسلسل» فهذه ذرة واحدة تنشطر ، فتنقذف منها دقائق تشطر ذرات أخرى، وهكذا دواليك. وقوة الرأى تتفجر وتنتشر على النمط نفسه .

فينبغى أن نقنع أكبر عدد ممكن من الصحف بأن تأخذ بمبدأ الاتحاد العالمى فى السياسة التى تصدر عنها فى مقالاتها الافتتاحية . وينبغى أن يذاع هذا المبدأ فى الراديو والسينما إذاعة لا تنقطع ، وأن يناقش الموضوع فى جماعات تعقد للبحث ، وفى الاجتماعات العامة وعلى ظهور المنابر ، وينبغى أن تدوى فى بيوت الله أصداء هذا المذهب العالمى، والحاجة الملحة إلى قانون عالمى عام ، وأن تدرّس تفاصيل هذا الرأى العالمى فى شئون السياسة والاجتماع فى المدارس جميعاً . ويجب أن لا ينتخب أحد لمنصب عام إلا إذا قطع عهداً على نفسه بأن يبذل غاية جهده لمنع الحرب المقبلة ، بإنشاء سلام قائم على القانون وحكومة عالمية .

وينبغى أن يرتفع على الفور فى كل بلد ، صوت مدوّ يعبر عما يجول فى نفوس الناس من رغبة ملحة لا تقاوم. ومتى أعرب الناس فى بلدين أو أكثر إعراباً واضحاً عن إرادتهم ، وجب أن يبدأ العمل من أجل الوحدة فى أقرب فرصة مستطاعة . وحسبنا أن يتم الاتحاد بين بلدين وحسب ، فليس ثمة حجة أدنى إلى إقناع الناس من الحجة القاهرة — حجة الواقع . وليس ثمة ريب فى أنه إذا ما بدأ عمل التوحيد الدولى، فلن يلبث أن يبلغ من شدة الإغراء مبلغاً يدفع الأمم دفعاً مطرداً إلى الانضواء تحت لوائه ، حتى يجىء يوم يضطر الأمم ، أمة بعد أمة ، إلى حكومة عالمية متحدة .

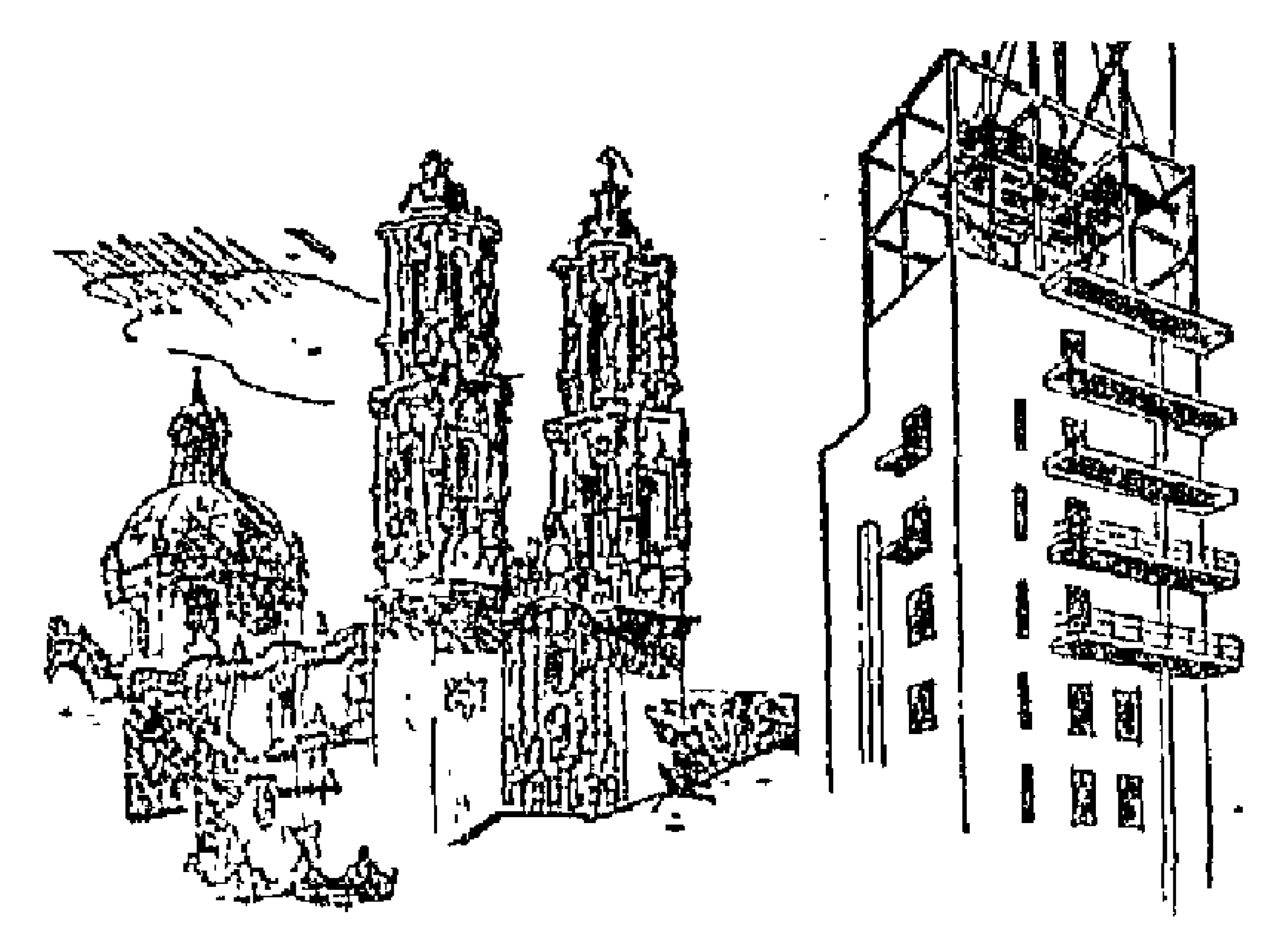


نهضة صناعية تغير معالم بلاد قديمة

حياة جديدة في المكسيك القديمة

ميشيل سكالى

مختصرة من مجلة " ذى پان أمريكان"



إذا دخل السائح اليوم عاصمة المكسيك وهو يتوقع أن يرى المدينة القديمة الفاتنة الهادئة كما تصوّرها له إعلانات السياحة ، كان خليقاً أن يجد في رحلته مفاجآت شتى . فهو لا يزال يرى مواضع تتمثل فيها سكينة الحياة في القرن الثامن عشر، من كنيسة تُضاء بالقناديل، وميدان وارف الظلال ، وأبهاء ذات أعمدة عليها سقوف معقودة ، غير أنه تحيط بها جميعاً مدينة صاخبة مزدحمة بالسيارات ، تكثر في جنباتها هيا كل من صلب لمبان أوشكت أن تتم ، ويرى عمالا يشقون طرقاً جديدة في أحياء متلاحقة . هذه أقدم مدينة في أمريكا الشمالية قفزت فجأة إلى مصاف مدنها الكبرى وقد كان تعدادها في سنة ١٩٣٠ مليون نسمة وهو اليوم يبلغ مليونين على الأرجح .

ويرى السائح بعض المكسيكيين يشترى قميصاً بسبعة ريالات أو قبعة بعشرين ريالا أو يدفع ٥٠ ريالا ثمناً لحلة غير نفيسة، ويجد إخواناً لهم يسكنون أكواخاً رثة ، عجزاً عن كراء مأوى نظيف وإن حقر . وسيقرأ أيضاً عن إضراب المستأجرين ، وعن نشاط السوق السوداء، وعن كثرة الجرائم التافهة. ثم يسمع أيضاً عن قلة الأيدى العاملة، وعن نهضة صحية عظيمة ، وعن مشروع لتوزيع المياه العذبة أوشك أن يتم وبلغت تكاليفه ملايين الريالات ، وعن رواج المسرح وأندية الليل وحلبات السباق .

وتفسير هذه الظاهرة المحيرة يسير ، فالمكسيك التى تكتسحها اليوم ثورة صناعية تأخرت عن حينها أمداً طويلا ، قد أتيح لأهلها ما لم يتح لكثير من الأمم ، وذلك أنهم يتداولون اليوم بينهم عملة كثيرة رخيصة السعر . وهذه الظاهرة تتجلى في بعض مدنها الكبيرة ، ولكن عاصمة البلاد هى مركز هذه الظاهرة ومجلاها ، فقد احتشد فيها ٧٠ في المئة من صناعات جديدة عددها ٤٠٠ صناعة :

والأثر المباشر لهذا الانقلاب هو التضخم الذى يجلب الربح الوافر لقليل من الناس، ويحمل البؤس إلى أكثرهم ، غير أن المكسيك إذ عالجت مشاكلها بالأسلوب الذى

آثرته ، فستكون العاقبة أن ينشأ فيها شعب قوى، يمهد الطريق لسائر أمريكا اللاتينية .

إن نهضة المكسيك اليوم نهضة عنيفة ، لأنها كبحت طويلا ثم أطلقت من أغلالها إطلاقا مفاجئاً . وكانت النهضة الصناعية قد بدأت أو كادت يوم حالت دونها ثورة ١٩١٠ فأخرتها عشر سنوات ، ثم جاءت الأزمة العالمية فى ١٩٣٠ فعوّقت مسيرها ، ولم تستأنف نهضتها الحقيقية إلا بعد ١٩٣٥ .

ومن التناقض البين أن يكون الرئيس لازارو كارديناس ، أكثر زعماء المكسيك خصوما وأنصاراً ، هو الذى دفع المدن والمصانع فى سبيل النهضة ، وأن يكون هو أيضاً الذى وضع العقبات التى تعوق فى هذه الأيام تقدمها فى طريقها الممهد .

زعزع كارديناس أسس الاقتصاد القومى بأن نزع الملكيات الواسعة جملة واحدة من أيدى أصحابها ، لينشىء مزارع مشتركة للفلاحين . ولم تزل ثروة المكسيك مستمدة أبداً من ثرى تربتها ، ولم يزل من دأب الملاك أن يحتكروا كل مورد آخر يدرّ المال، إلا أنهم بعد أن انتزعت منهم أرضهم جهدوا حتى استنقذوا ما استطاعوا من أموالهم ، واستثمروها فى بناء العمارات فى المدن ، وفى التجارة والصناعة . وهذا هو سر الظاهرة التى جعلت تتفشى فى عاصمة المكسيك.

وقد جعل كارديناس السكك الحديدية وآبار الزيت وسائر الصناعات ملكا للأمة ، فأنشأ من أجل ذلك طبقة عظيمة من الموظفين ليتولوا إدارتها . فصار فى العاصمة آلاف من الموظفين تشتد حاجتهم إلى المساكن والغذاء والمدارس والملابس وغيرها .

وأعقب ذلك أمراً لم يكن منتظراً ، فقد ظفر عمال المدن الذين تعضدهم الحكومة، بقدر عظيم من زيادة فى الأجور وتحسن فى أحوال العمل . غير أن المشروع الضخم الذى أريد به بذل المعونة للفلاح مُنى بالخيبة ، فبدأ الفلاح التعس ينزح إلى المدن، فكثرت الأيدى العاملة واشتدت البطالة .

ولكن من نعمة الله على المكسيك أنها لا تكاد تكبو حتى تقف على قدميها ، فقد حملت إليها الحرب الإسبانية واضطهاد هتلر جمهرة كبيرة من اللاجئين ، وكان كثير منهم مزوداً بالمال والمهارة الفنية ، فأنشأوا أعمالا جديدة استنفدت فيض العمال العاطلين. وما وافت سنة ١٩٣٩ حتى صار السياح الأمريكيون ينفقون فيها ٥٣ مليون ريال كل سنة ، فدفعوها إلى التوسع فى إنشاء الفنادق وتمهيد الطرق ، فانتشرت وازدهرت صناعة الفضة وسائر الصناعات اليدوية الأخرى .

ثم شبت الحرب العالمية الثانية فاضطرت

المكسيك إلى أن تصنع أشياء كثيرة كانت تستوردها فيما مضى ، ولجأت حكومة الرئيس أفيلا كاماكو فى مستهل عام ١٩٤١ إلى إعفاء أصحاب المصانع الجديدة من دفع الضرائب ورسوم الاستيراد خمس سنوات ، وذلك بغية إنعاش الصناعة .

وقد كان لهذا الاتجاه أثر عظيم فى رخاء المكسيك ، فغمرتها رؤوس الأموال التى كانت تفرّ من أمريكا تخلصاً من الضرائب ، وعادت أيضاً إلى السوق تلك الأموال التى اختفت فى حكم كارديناس ، وظهرت ملايين الأموال فى ميادين الاستثمار من جراء إقبال أمريكا على شراء مواد الحرب .

وبدأت المصانع تنتشر أبنيتها فى المراعى المحيطة بالعاصمة ، وأمدّت الحكومة مثل هذه المؤسسات بالمال الوفير ، فأنفقت ١٠ ملايين ريال فى بناء مصنع للصلب ، ومبالغ أخرى على إنشاء مصنع لتكرير الزيت ومشروعات لتوليد الكهرباء . وقد بلغت الأموال الخاصة المستثمرة فى الصناعات ٣٢ مليون ريال فى ١٩٤٤ ، فصارت فى ١٩٤٥ إلى ما يقرب من ٦٠ مليون ريال . وقد أقدمت المكسيك فى سبتمبر الماضى على أعظم مغامرة صناعية ، إذ تضافرت شركة وستنجهاوس للكهرباء وأصحاب المصارف فى أمريكا والمكسيك ، على تأسيس شركة رأس مالها ١٥ مليون ريال لإنشاء مصنع كبير ، فاشترت ١٦٠ فداناً على مقربة من مدينة المكسيك . ومن المنتظر أن يخرج المصنع الجديد ، قبل نهاية ١٩٤٦ ، مصنوعات من الراديو والثلاجات الكهربائية والمكاوى وآلات غسل الملابس وضروب مختلفة من سائر الأدوات . ونسبة المساهمين فى هذه الشركة هى ٥١ فى المئة من أهل المكسيك ، و ٤٩ فى المئة من أهل أمريكا .

وهذه الصناعات الكبيرة التى تدل على ثقة الأجانب فى مستقبل المكسيك ، ليست أكبر دلالة على نهضتها من ذلك النمو العجيب فى الصناعات المحلية . فقد كان جل إنتاج صناعة السينما لا يعدو فلمين اثنين غير متقنين فى سنة ١٩٣١ ، ولكنها أنتجت فى ١٩٤٤ ثلاثة وثمانين فلماً ، وبلغ دخل البلاد من هذه الصناعة ٧٦ مليون ريال ، وهى اليوم ثالث مصدر من مصادر الدخل القومى . وبلغت صناعة الأوانى الفضية والمنسوجات حداً لم يكن يحلم به أحد منذ عشر سنوات وحسب .

ولكن نهضة الصناعة والعمران لم تستنفد الأموال الجديدة التى تتدفق على المكسيك ، وذلك لصعوبة الحصول على بعض المواد والآلات . ولا يزال السياح الأمريكيون ينفقون كل أسبوع فى المكسيك مليونى

ريال ، وقد أرسل عمال الحرب من أهل المكسيك المقيمون فى أمريكا ، إلى بلادهم ٥٥ مليون ريال . وقد تضخمت حسابات البنوك المحلية من جراء إقبال أمريكا على شراء مواد الحرب، وفى مصارف المكسيك اليوم ودائع معطلة تبلغ ٣٥٠ مليون ريال .

وقد أصبح تضخم النقد أمراً محتوما من جراء تكدس الأموال وقلة ما يشترى، بالرغم من الجهود التى تبذلها الحكومة فى دفع التضخم ، وقد صارت قيمة العقارات عشرة أضعاف ما كانت عليه فى ١٩٣٥ ، كما ارتفعت أسعار أسباب الترف ارتفاعاً هائلا. وإذا تجاوزنا ذلك الترف الذى ترفل فيه طبقة المحدثين من أهل اليسار والمضاربين وتجار السوق السوداء ، رأينا معيشة سائر الأهلين قد زادت بؤساً على بؤس ، فالمرتبات والأجور لم تزد بما يناسب تكاليف الحياة التى زادت ٤٠٠ فى المئة فى بحر عشرة أعوام . فى العاصمة مثلا ترى سعر غذاء الجمهور ، كالحبوب واللحم الرخيص ، قد ارتفع حتى صار يزيد ضعفين ونصف ضعف عما كان عليه فى ١٩٤٠ .

فالمكسيك اليوم فى فزع مقيم بيّن . دع عنك أمر الأسعار ، وانظر إلى طعام لو التمسته لم تجده . فهذه المزارع لا تسد حاجة المدن . حتى صار لزاما عليهم أن يستوردوا الذرة وهى رأس غذائهم ، كما يستوردون القمح والسكر واللحم وسائر ما يحتاجون إليه.

ويرد النقاد هذه الحالة إلى الهزة الزراعية العنيفة التى أحدثها كارديناس . وقليل منهم من يخالفه فيما رمى إليه — أن تكون الأرض للفلاح ، غير أن رجال الحكومة والفلاحين لم يكونوا منذ ست سنوات على استعداد لتقبل هذا الانقلاب ، يوم أنزل كارديناس ٥ ملايين فلاح فى المزارع المشتركة . فلم تستطع الحكومة يومئذ أن تزود المزارع بالمال أو تعزز المشروع بالمعاونين المختصين أو رجال الإدارة الأمناء. ولم يدرك الفلاح الأمىّ المغبون مرامى هذا المشروع المعقد ، فقل ما يبذله من معونة على تحقيق أغراضه . وقد نجحت بعض المزارع التى أديرت إدارة حسنة ، غير أن العاقبة كانت فوضى ضربت أطنابها فيها .

ومما زاد الطين بلة سياسة كارديناس التى أحالت السكك الحديدية ملكا للأمة. فقد نشب النزاع من جرّائها بين الساسة وزعماء العمال . فاختل نظام القطارات . ولكن مساعدة أمريكا للمكسيك سدت شيئاً من هذا النقص، غير أن المعدات اللازمة للنهضة الصناعية لا تزال عزيزة المنال .

ولكن هناك بعض الأسباب التى تحى

الأمل فى المستقبل ، فقد ظفرت البلاد لأول مرة فى تاريخها بالمال الذى يحقق لها آمالها فى النهوض والتجديد. والحكومة اليوم ترحب بالأموال الأجنبية التى تستثمر فيما ينفع البلاد، وقد وعدت أن تحرص على انتهاج هـذه السياسة فى المستقبل . وقد بدأت الحكومة منـذ عام ١٩٤٠ تضع أساساً ثابتاً لزراعة حديثة تكفل تعزيز الصناعة ، فقد زاد عدد الفلاحين الذين صاروا ملاكا مستقلين بعد أن كانوا عالة على الحكومة ، وتحسنت المعدات وأساليب التدريب الزراعى ، وبدأ تنفيذ مشروعات للرى يرجى أن تضاعف مساحة الأرض التى تصلح للزراعة .

وهنـاك مشروع آخر يجب أن يساير تطور الصناعة وهو مشروع توليد الكهرباء. ففى المكسيك مناجم فحم قليلة ، أما البترول فكثير، ولكن جبال المكسيك تجعل توزيعه بالأنابيب أمراً غير يسير . وإذن فلا بد للصناعة من أن تعتمد على الكهرباء المولدة من مساقط المياه لكى تظفر بالقوة المحركة . ومن أهم ما أعان عاصمة المكسيك على أن تصير مدينة صناعية ، هو إنشاء ثلاثة مصانع لتوليد الكهرباء ، فزادت القوة الكهربائية المتاحة ٥٠ فى المئة . وهذا الذى تم قليل من كثير يُرجى أن يتم . فالآن وقد أصبحت الأدوات قريبة المنال ، تراهم أعـدّوا مشروعا لتوليد الكهرباء من ستة أنهر .

والمكسيك تعلم حق العلم أن نهضتها فى المستقبل تتوقف على زيادة الطرق الممهدة والسكك الحديدية، وقد شرعوا فى مد خط حديدى يصل ولاية يوكاتان الغنيـة بسائر البلاد، وسيمتد خط آخر من الشمال الغربى إلى المحيط الهادى . وقـد مهدت منذ عهد قريب طرق أخرى يبلغ طولها ٦٠٠ ميل .

وقد خففت وطأة القوانين الشديدة التى كانت تحول دون الانتفاع بالخبراء الأجانب ، بغية الإسراع فى تحويل المكسيك إلى دولة صناعية ، فترى اليوم خبراء من الأجانب يتولون توجيه كثير من المصانع الجديدة ، ويقومون أيضاً بتدريب شبان البـلاد على مثل هذه الأعمـال . وقد أرسلت طائفة كبيرة من رؤساء العمال إلى مصانع الولايات المتحدة لينالوا حظاً كاملا من التدريب ، وأخذت المكسيك تخرج مهندسيها وعلماءها وخـــبراءها الفنيين . وكثر الإقبال على الدراسات العلمية والهنـدسية فى الجامعة الأهلية ، وقد أنشئ أخيراً فى العاصمة معهد لدراسة الهندسة وفنونها المختلفة .

وهذه النهضة الصناعية العظيمة خليقة أن تجعل هذه البلاد القديمة بلاداً جديدة تكفل الرخاء لأهلها ، وتبادل جيرانها المنافع ، وتعمل على استتباب السلام بينها وبينهم .

يدير تلاميذ هذه المدرسة شركة تأمين خاصة بهم، ومصرفاً ومتجراً، ويدفعون ضرائب، ويرى رجال التربيــة فى ذلك مايدهشهم.

الصغار يحبون هذه التربية

لورنس ن. جالتون

مختصرة من مجـلة "ستردای ايفننج بوست"

منذ عهد قريب زادت حوادث الدراجات فى بلدة وينتكا فى ولاية إلينوى، فلما لم يعن أحد من كبارها بالأمر، هبت جماعة من الصغار فى مدرسة سكوكى فتولت الأمر بنفسها، فأجرت بحثاً دقيقـاً تبينت منه أن ٧٥ فى المئة من الدراجات التى يركبها التلاميذ إلى المدرسة، ليست مزودة بالمعدات التى تكفل سلامة ركابها، وأن معظم الركاب قليلو المبالاة، ويجهلون قانون مجلس البلدة، وأن البلدة ليس فيها قانون واحد ينظم أمر استعمال الدراجات، وأن القوانين العـامة الخاصة بالمركبات والسيارات عزيزة المنال، وأن عبارتها إن وجدت مما يشق فهمه على الصغار.

وعرض الصغار ماتبينوه على كبار البلدة، فقال لهم رئيس لجنة الأمن العام فى مجلسها: «سيروا على بركة الله، وضعوا لنا نص قانون جديد».

فزاروا أقسام الشرطة فى المدن والقرى المجاورة، ودرسوا مخاطر المرور التى يتعرض لها الناس، وعقدوا اجتماعات لأخذ الرأى، ثم وضعوا نص القانون، وقدموه إلى مجلس القرية، فوافق عليه وأصدره. وترى الصغار اليوم ساهرين على تنفيذه، ولا يحدث فى بلدة وينتكا من مصادمات الدراجات سوى عدد قليل.

وهذا الذى حدث فى أمر الدراجات، هو مثل واحد وحسب، حمل أهل وينتكا ورجال التربية فى البلاد كلها على الدهشة والاهتمام. وتجـد وراءه، تطوراً رائعاً فى التربية، يعرف باسم مشروع مدرسـة سكوكى.

ليست هذه المدرسة مدرسة وحسب، بل هى مجتمع مصـغر، فتلاميذها الذين تتفاوت أعمارهم بين ١١ سنة و ١٤ سنة، لا يحضرون فصولا للدرس بالمعنى المألوف، بل تراهم منهمكين فى شئون التجـارة والإدارة.. والمشروعات التى يشرفون عليها كالمصانع وتربية الماشية، ومخزن التعاون وشركة التأمين والمصرف، إنما هى مثال لما تراه فى كل جماعة فى العالم.

وقد بدأ كل ذلك منـذ ست سنوات،

فى اجتماع عقده ٥٥ من رؤساء الطلاب ، فروى لهم يومئذ رئيس لجنة المطعم ، كيف وقعت الصحون من أيدى فاتين وقت النداء وتكسرت فأعولتا واضطرتا أن توفيا ثمنها. ومثل هذا يحدث كل يوم، فإذا صوت يرتفع من أحد الحاضرين : « نريد تأميناً » . فأنشئت لجنة لتنظر فى الأمر ، وعين أحد المدرسين مشرفاً عليها ، وجعل والد أحد التلاميذ مستشاراً لها. فقد كان وكيلا لشركة تأمين ، وما هى إلا أسابيع من التدبير والتنظيم، حتى أنشئت « شركة تأمين تعاونى » .

وقد حددت الأقساط على أساس ما كان معروفاً فى المدرسة من عدد الصحون التى تتكسر ، وفرض على كل مشترك أن يوفى ٢٠ فى المئة من ثمن ما يكسره منها ، وتتولى الشركة تسديد الباقى . ثم تقدمت الشركة بخطة لمنع الحوادث التى تقع فيها الصحون وتتكسر ، فإذا معدل ما يكسر منها قد نقص نقصاً كبيراً، فخفض قسط التأمين إلى النصف . وترى اليوم نصف التلاميذ مشتركين فيها ، والشركة نفسها تسدد كل ثمن الصحون التى تكسر، وتوزع على أعضائها شيئاً من الربح أيضاً .

وقد تفرع على هذا العمل النافع أعمال أخرى نافعة ، ففى فصول الدراسات الاجتماعية، كان الطلبة لا يعبأون شيئاً بأصول التأمين وتنظيمه ، فإذا هم يطالبون بالتعمق فى دراستها ، وإذا معرفتهم بقواعد اللغة كلاماً وكتابة قد تحسنت تحسناً كبيراً . ذلك بأن كتابة دستور لشركة تأمين يقتضى دقة وإحكاماً فى اختيار الألفاظ ووضعها فى مواضعها .

وتبين مجلس المدرسة ومدير التعليم فى المنطقة مغزى ما حدث وخطره ، فتركوا الصغار وشأنهم ، فظلت مقاليد الأمور فى أيديهم حتى فى المعضلات .

فقد أنشئت شركة غرضها أن تصنع الحبر وتبيعه للتلاميذ ، فاعترضتها صعاب يشق تذليلها على الصغار الأغرار ، وقد كان خليقاً بالمدرسين أن يتدخلوا ليعينوهم ، ولكنهم لم يفعلوا .

ويقول الفتى جون كاوتلى : « انتخبت أميناً للصندوق ، ولم يعن أحد بأن يبين لى ما ننفقه من المال على شراء المواد ، ولا ما يدخل الصندوق من بيع الحبر ، فظلت دفاتر حسابنا مضطربة ، ولم أظفر بضبطها وموازنتها إلا بشق النفس » .

وقد لقى صغار آخرون متاعب فى استنباط صيغة لتركيب الحبر ، أو ابتكار أساليب نافعة لإنتاجه ، ولكنك ترى هذه الشركة اليوم تصنع نوع الحبر الذى انفردت بصنعه، وتصنع أيضاً غراء ، ومادة مطرية للوجه ،

وعطراً وأشياء أخرى . وكل ما تصنعه يقبل عليه الطلاب وآباؤهم والمدرسون وعملاء المخزن التعاونى ، أعظم إقبال .

ومن أعمال سكوكى ، شركة للمواشى يديرها الصغار ويعاونهم فى إدارتها أحد المدرسين ، تربى الفراخ والأرانب والأرانب الهندية وتبيعها ، وتصنع الأقفاص وتبيعها أو تؤجرها ، وتعد العلف الصالح للحيوانات الأليفة وتبيعه ، وتدرس أساليب علف المواشى وتربيتها والعناية بها وتذبيعها ، ولها فرعان فى مدرستين أوليتين .

ثم هناك مكتب حكومى يديره مجلس طلبة المدرسة ، يحض الناس على دراسة النبات والحيوان ، وتربية النحل وتحضير العسل ، ومكتب آخر لاستنبات الشجر ، وغرضه أن يزود المدرسة والأهلين بالفسائل التى يحتاجون إليها .

وطلاب مدرسة سكوكى ومدرسوهم يريدون أن يظلوا على صلة بتطور الأعمال ، فيزورون ٣٠٠ محلة فى منطقة شيكاغو ، يذهبون إليها فى سيارة كبيرة للمدرسة ، وقد ركب فيها مكبر للصوت ، فيتخذون داخلها حجرة للمناقشة فيما يهمهم فى ذهابهم وإيابهم .

وهؤلاء الصغار مواطنون فى عالم لم يمنعه صغره من أن يكون عالماً حقيقياً . وقد فرضوا على سكانه ضرائب كما تفرضها هيئات الحكومة . فقد لاحظوا أن هناك من يعبث بالدراجات المرابطة فى فناء المدرسة ، فتم الاتفاق على تعيين حارس من التلاميذ وأن يدفع له أجر . فاقترحت لجنة الدراجات أن تفرض ضريبة قيمتها قرشان على كل من يستعمل دراجة ، فوافق مجلس الطلبة .

وتودع هيئات الطلبة جميعاً ما لها فى مصرف المدرسة ، وتستعمل الشيكات فى جميع صفقاتها . وقد أنشىء فى المدرسة اتحاد لعقد القروض ، ومنذ عهد قريب كتب رئيسه ، وهو طالب فى الحادية عشرة مقالا عنه فى مجلة تصدر فى ولاية مينسوتا . فقال : إن الطالب يعطى سنداً لقاء كل أربعة قروش يودعها فى الاتحاد ، وله أن يقترض نصف ريال بغير ضامن ، وثلاثة أرباع ريال إذا ضمنه ضامن . ولا يطالب أحد برهن ، فأخلاق الطالب هى الرهن . وقد عقد ٥٧١ قرضاً فى السنة الماضية فسددت جميعاً ، وبلغت فوائدها أحد عشر ريالا ونصف ريال . وبلغت الضرائب التى دفعها الاتحاد إلى مجلس الطلبة ثلاثة ريالات وثلاثة أرباع ريال . وقد اعترض رئيس الاتحاد فى مقاله على الفائدة ومقدارها .

ويغلب أن ينظر فى المسألة هذه السنة . ففى كل سنة يعاد فحص الدستور ، وقد يفسر

تفسيراً جديداً أو يعدل أحياناً .

ويرى توماس إليوت الأستاذ فى جامعة نورث وسترن : « أن دستور سكوكى يجمع بين المثل الاجتماعية العالية ، وقواعد العمل النافع . فالطلبة يتعلمون أن يعدوا أنفسهم للنهوض بالتبعة فى مدينتهم أو ولايتهم ، وقانونهم يحتوى مختصرات من كل قانون محلى ينبغى أن يعرفه كل إنسان ويطيعه . وقد تعلمت أنا نفسى شيئاً كثيراً منه » .

وما يتم فى سكوكى اليوم ، لا يتم كله بغير مشقة ، فبعض المتحفظين من الآباء اعترضوا قائلين : « إن مدرسة سكوكى اليوم ليست تلك المدرسة العظيمة التى عهدناها » . ولكن مفتش المعارف فى المنطقة يقول : « إن نفع المدرسة آت من أن ماتؤديه أوسع نطاقاً من المقرر الدراسى المعهود فى المدارس . والصغار يحبون هذا الضرب من التربية » . وتقول أحد الصغار : « إن الفصل فى مدرسة سكوكى ليس سجناً والمدرّس ليس بعبعاً ، بل الفصل عندنا مسلاة محببة » .



سر العافية فى الزواج

ذهب شيخ فى الخامسة والسبعين إلى طبيبه وطلب منه أن يفحصه فحصاً عاماً دقيقاً ، ففعل ثم التفت إليه وهو يبتسم وقال : إن صحته على ما يرام . ثم سأله : أسرت على نظام خاص فى المعيشة يفسّر ماتتمتع به فى هذه السن من صحة وعافية .

فقال الشيخ : لما تزوّجت منذ خمسين سنة اتفقت أنا وزوجتى على أن تلتزم الصمت إذا احتملنى الغضب فجعلت ألومها وأعنفها . واتفقنا أيضاً على أن أغادر البيت حين تصير هى كذلك . وقد مرّت خمسون سنة تمتعت فى خلالها بقسط وافر من العيش خارج البيت ، وهذا ، ولا ريب ، سرّ ما أتمتع به من صحة وعافية .

[مسز باتريك هنرى أدامز]

وهت عزماتك عند المشيب ... وما كان من حقّها أن تهى
وأنكرت نفسك لما كبرت ... فلا هى أنت ولا أنت هى
إذا ذُكرت شهواتُ النفوس ... فما تشتهى غير أن تشتهى



قومٌ لا غالبَ لهم

مختصر كتاب يصدر قريباً

اللواء ت . بور - كوموروفسكى

القائد العام للقوات البولندية المسلحة التى قامت بالثورة فى وارسو فى أغسطس - سبتمبر ١٩٤٤

إن القتال الذى خاضه الجيش البولندى الداخلى من أجل وارسو يوم كانت القوات الأمريكية تتدفق مجتازة فرنسا فى سنة ١٩٤٤ ، كان من أهول معارك الحرب . وإليك أول وصف لتفاصيل هذا الصراع الذى لا رجاء فيه برغم ما تجلى فيه من بطولة وروعة ، يكتبه قائد الجيش نفسه .

وقد عبأ الجيش البولندى الداخلى وسلح ٣٠٠٫٠٠٠ من الجنود العاملين بين سمع الألمان وبصرهم . ولما بدأ الجيش الأحمر الظافر يطوى بولندة ، ألقى الجيش البولندى الداخلى بهذه القوات ضد الألمانيين، لتقوم بالأعمال المدبرة من قبل ، والتى كان يرمز لها بلفظ « العاصفة » . وكان حجر الزاوية فى هذه الأعمال هو الاستيلاء على وارسو . ففى أول أغسطس بدأ جنود الجيش الداخلى فى وارسو ثورتهم ، وكانوا ٤٠٫٠٠٠ ، وقد دامت هذه الثورة ٦٣ يوماً فهلك ٢٥٠٫٠٠٠ من المدنيين والجنود فى قتال مرير دار فيها من بيت إلى بيت . وهذه هى قصة مأساة الأيام الثلاثة والستين ، كما يرويها القائد العام للجيش الداخلى — الجنرال بور .

قوم لا غالب لهم

العاصفة تثور

« أيها البولنديون، لقد دنا يوم التحرير! إلى السلاح أيها البولنديون! اجعلوا من كل بيت حصناً في القتال مع الغزاة! ليس هناك وقت يضيع! »

وقد أذاع السوفيت حوالى آخر يوليه سنة ١٩٤٤ هذا النداء إلى القتال، وعليه توقيع مولوتوف، وتوقيع أوزبكا — موراوسكى الذى عينته موسكو رئيساً للجنة التحرير الوطنية. ولا شك أن هذا النداء كان مؤدّاه أن هجوم الجيش الأحمر على وارسو قريب، وإلا لما كان ثمة فائدة من إثارة الشعب إلى عمل إذا لم يتلق تأييداً، فإنه يؤدى إلى مذبحة دون أن يستفيد الروس شيئاً.

فى ٣٠ يوليه التقى أحد رجال مخابراتنا فى رادوسك على مسافة عشرة أميال من وارسو بدبابات سوفيتية كان من الواضح أنها دورية قوية. فحادث الضباط الروسيين فألفاهم يتوقعون أن يصلوا إلى وارسو فى أى وقت. ومن ضفافَىْ براجا — ضاحية وارسو على شاطىء فستولا الشرقى — بعثت مراكز استخباراتنا سلسلة من الأنباء عن التقائها بالروس على أطراف المدينة.

وفى إحدى الضواحى ترك الجنود الألمان معسكراتهم وهم فى فزع.

وفى ٣١ يوليه أعلن بلاغ سوفيتى أن الروس أسروا قائد الفرقة الألمانية ٧٣، التى كانت تتولى الدفاع عن براجا. وعلمنا فى نفس ذلك اليوم من الراديو أن ميكولايجك رئيس وزارتنا بلندن، قد غادرها إلى موسكو. وكانت الحكومة السوفيتية قد قطعت العلاقات السياسية مع الحكومة البولندية فى إبريل ١٩٤٣. فلم نستطع منذ ذلك الوقت أن نصل ما انقطع من هذه العلاقات، أو أن ننسق أعمالنا العسكرية مع حركات الجيش الأحمر. فالآن يستطيع ولا شك رئيس الوزارة فى موسكو، أن يوجد لنا التنسيق العسكرى بين الجيش الأحمر وجيشنا الداخلى، وفى الوقت نفسه تساعده أعمالنا العسكرية فى وارسو على إعادة العلاقات السياسية بين الحكومتين.

وفى عصر ذلك اليوم علمنا أن الجيش الأحمر يطوّق لوارسو من الشمال، وفى الشمال الشرقى كان يقاتل الجيش الألمانى الثانى الذى يتلقى المدد عن طريق وارسو، وفى براجا لم يكن يقاوم سوى الفرقة الألمانية ٧٣. وكانت فرقه جورنج فى طريقها

لنجدتها ، ولكن الجانب الرئيسى من هذه الفرقة كان عليه أن يمر بوارسو . فدعوت على الفور مندوب الحكومة يانكوفسكى نائب رئيس الوزارة ، وبسطت له الموقف فى إيجاز .

وكان عمل الجيش الداخلى عندئذ خليقاً أن يحول هزيمة الألمان كارثة تامة ، لأنه يمنعهم من نجدة الفرقة ٧٣ ، ويقطع خطوط مواصلاتهم مع جنودهم على الجبهة كلها أمام وارسو ، ويكفل نجاحاً سهلا لحركة التطويق الروسية التى بدأت فى الشرق والشمال الشرقى والشمال .

وكان كل هذا يوحى بأن نشرع الآن فى العمل ، ولكن بينما كانت الدعاية السوفيتية تدل بلا أدنى شك على أن موسكو تريد القيام بعمل حربى داخل وارسو على الفور ، لم يتسن لنا أن ننسق حركتنا مع خطة القيادة الروسية ، ولم يتصل بنا شىء عن مهمة ميكولايتشك ونتيجتها فى موسكو .

وإذا فرضنا أن هجومنا الأول سينجح فى انتزاع السيطرة على المدينة من أيدى الألمان ، فإنه لم يكن عندنا من السلاح والطعام ما يلزم للاحتفاظ بها أكثر من أربعة أيام أو خمسة ، أو سبعة على أكثر تقدير . ولا شك أن حلفاءنا سيرسلون إلينا المؤن والذخائر بالطائرات ، ولكنا لم نكن نستطيع أن نتكهن بمقاديرها . وكان نجاحنا ، على قدر ما استطعنا أن نتبين ، رهناً بأن نجتنب الضرب قبل الأوان ، إذ يجب أن يدخل الجيش الأحمر وارسو فى خلال أسبوع بعد أن نضرب الضربة الأولى .

وقد أصغى إلى يانكوفسكى ، ثم ألقى أسئلة على عدة رجال من أركان الحرب . وبعد أن أتم تصوير الموقف ، التفت إلى وقال : « حسن جداً ، إذن ابدأ بالعمل » .

فالتفت إلى الكولونل مونتر قائد الجيش الداخلى فى وارسو وقلت : « غداً فى الخامسة تماماً ، يبدأ الهجوم فى وارسو » .

وفى اليوم التالى وأنا فى طريقى إلى اجتماع سرى لهيئة أركان الحرب ، اجتزت شوارع غاصة بآلاف من الشبان والفتيات يسرعون إلى المراكز المعينة لهم ، وكان كل واحد تقريباً يحمل حقيبة ، كبيرة أو صغيرة ، أو لفافة ضخمة . وكانت جيوب المعاطف منتفخة بما فيها من القنابل اليدوية ، ولا تكاد تحجب عن عينى بندقية أو مدفعاً من مدافع تومى . ومع أنى كنت أعرف أنه لا يمكن أن يفطن إلى هذه الأشياء إلا من يعلم السر ، إلا أنى لم أستطع أن أمنع ما ساورنى من قلق لامسوغ له . وكنت أمر بدوريات الألمان ، وأرى السيارات المصفحة تقطع الشوارع بلا انقطاع

وكانت مراكز الجيش الداخلي قد اختيرت بعناية، وكان أكثرها مساكن على زوايا الطرق، لتسيطر على المهم من مفارقها، ومحطات السكة الحديدية، والثكنات الألمانية ومراكز التموين، والمنشئات العامة، أي على جميع النقط التي يجب الاستيلاء عليها في أول هجوم.

وكان التدبير أن يقرع الجندي جرس الشقة، ثم يسلم للسكان أمراً بالاستيلاء، موقعاً من الضابط المختص. وقد أبدى الأهالي اهتماماً، ولكنهم لم يبدوا أدنى اعتراض. وكانوا في كل حال متلهفين على المعاونة بكل وسيلة، وكان الجنود يتخذون مراكزهم عند النوافذ، وفي الغرف العليا وفوق السطوح. ووضع في الفناء حارس لايسمح لأحد بالخروج، حتى لاتفضى قلة التحرز إلى كشف الاستعدادات للعدو.

ووضع الجنود أشرطة الجيش وهي بيضاء وحمراء، وتلك كانت أول علامة علنية لجيش بولندي على أرض بولندية مذ بدأ الاحتلال. وقد لبثوا خمسة أعوام ينتظرون هذه اللحظة، فالآن عليهم أن ينتظروا انقضاء اللحظات القليلة الأخيرة. ففي الساعة الخامسة يكفّون عن أن يكونوا رجال حركة سرية للمقاومة، ويعودون مرة أخرى جنوداً في جيش نظامي يقاتل جهرة.

اللواء بور
قائد الجيش
الداخلي البولندي

وفي الخامسـ
تماماً فتحت آلاف
النوافذ، وصب
الرصاص من كل
ناحية على مراكز
الألمان والجنود
السائرة في الطرق،
واختفى المدنيون
من الشوارع،
وتدفق الجيش الداخلي خارجاً من مراكزه ليقوم بالهجوم. وما هي إلا ١٥ دقيقة حتى كانت المدينة التي يسكنها مليون نسمة ساحةً للقتال، ووقفت كل حركة، ولم يعد لوارسو وجود باعتبارها مركزاً حيوياً للمواصلات مع الجبهة الألمانية. فقد بدأت المعركة من أجل وارسو.

على أنه حدث في ضاحية فولا، حيث كانت هيئة أركان حربنا في مصنع كاملر، أن بدأ القتال عفواً قبل موعده بثلاثة أرباع ساعة. وكانت هذه الضاحية التي تكثر فيها المصانع والمساكن والدكاكين الصغيرة، من أهم مراكز أعمالنا، لأنها تسيطر على الطريق الغربي وعلى الطرق الحديدية من وارسو وإليها.

وكنت قد وصلت إلى فولا قبل الرابعة بقليل، ولم أرَ شيئاً غير عادي وأنا أشق طريقي إلى مصنع كاملر، وكانت سيارات

النقل الألمانية تسير على الطرق المبلطة ، والنساء يستبضعن من الدكاكين ، وكانت مراكز المراقبة الألمانية والمدافع الرشاشة والأسلاك الشائكة كثيرة ، والدوريات لاتنقطع ،كما هو الحال فى كل مكان فى المدينة.

وأدخلنى فى المصنع حارس مسلح، فأبلغنى الضابط كامار، صاحب المصنع ، أن ٣٣ من سرية الحرس موجودون الآن فى المبنى، وأن ٩٥ آخرين سيصلون ، وكان هؤلاء جميعاً عمالا فى المصنع ، فصاروا اليوم جنوداً ، وكان سلاحنا ١٥ بندقية و٤٠ قنبلة يدوية ، وست قنابل يدوية قوية الانفجار ، وهى من إنتاج مصانعنا السرية .

وما كدت أصعد إلى الطبقة الثانية حيث أركان حربى ، حتى سمعت انطلاق بنادق ، وتلتها طلقات مدفع رشاش من مركز مراقبة قريب . فأسرعت هابطاً ، وأخبرنى كامار أن الألمان كانوا قد نقلوا من المصنع حمولة من الثياب الألمانية ، ثم عادت السيارة لحمولة أخرى،فوجدت الحارس،فلما رأى الحارس الألمانى الجالس إلى جانب السائق بولندياً مسلحاً ، أطلق النار عليه، ولكن الحارس البولندى كان أسرع منه .

ولكن أمرنا انكشف ، فلم يبق إلا أن نقيم المتاريس فى المصنع ونداقع عن أنفسنا ما استطعنا حتى يبدأ القتال العام .

وقد تنبه البوليس الألمان على أصوات النيران ، فهاجمنا بالمدافع الرشاشة والبنادق والقنابل اليدوية ، وسلطوا على جانبى المصنع ناراً حامية ، وراح مدفع رشاش يطلق النار على نوافذنا من مسافة ١٥ ياردة من بناء مواجه ، فأسكته أحد جنودنا بقنبلة يدوية ، بل لقد حاول الألمان أن يصلوا إلينا عن طريق السطح ، فصددنا هذا الهجوم بمشقة .

وفى الخامسة أبلغنى كامار أن قوة ألمانية كبيرة تطبق علينا من وراء خرائب حى اليهود. ولما كان عدونا قويًّا وسلاحنا يسيراً ، فقد كان صدّ هذا الهجوم فوق طاقتنا ، ولكن أصوات النيران فى المدينة مالبثت أن صاخت سمعنا ، فعلمنا أن المعركة بدأت فى وارسو كلها ، وقد كف الألمان عن محاولة الاستيلاء على مصنعنا ، وعسى أن يكون قد أقلقهم صوت القتال العام .

وحوالى الثامنة سمعت صيحات سرور عالية من فوق السطح، وهبط جندى وسألنى بصوت شديد التأثر أن أصعد إلى رأس المدخنة ، وهناك حيانى المراقب بصيحة :

« الراية يا سيدى ! الراية البولندية ! » . وأشار إلى قلب المدينة .

هذا علم أبيض وأحمر يخفق مرة أخرى بعد خمس سنوات فوق مدينتنا .

وخطر لى أن الروس الزاحفين سيرون ولا بد ذلك الوهج والدخان الصاعد من الأبنية المحترقة فى المدينة ، بل لعلهم يرون أيضاً هذا العلم الخفاق . وقد كنا نسمع بوضوح طلقات مدفعياتهم المتواصلة، تجاوبها أصوات المدفعية الألمانية الثقيلة على هذا الجانب من نهر الفستولا . فهبطت لأكتب رسالتين إلى لندن . وكانت الأولى : «بدأنا القتال من أجل وارسو فى الخامسة من صباح أول أغسطس . دبروا فوراً أسلحة وذخائر لإلقائها إلينا فى الميادين الآتية (وسردتها)»

وكان نص الثانية : « لما كان القتال من أجل وارسو قد بدأ ، فإنا نرجو أن يقدم لنا السوفيت معونتهم بالهجوم على الفور من الخارج » .

ثم كتبت أول رسالة إلى جنود الجيش الداخلى الذى يقاتل جهرة فى العاصمة وهذا نصها :

« يا جنود وارسو :

« اليوم أصدرت الأمر الذى طال انتظاره بالقتال جهرة ضد عدو بولندة القديم — الألمان الغزاة . فبعد خمسة أعوام تقريباً ، من قتال مُرّ مستمر تحت الأرض ، تقفون اليوم علانية ، وسلاحكم فى يدكم لتستردوا الحرية لبلادكم .

بور — قائد الجيش البولندى الداخلى »

وفى اليوم التالى بدأت التقارير ترد ، ويستفاد منها أننا على العموم قد أخذنا الألمان على غرة ، وربحنا بأعمالنا المنسقة ربع ساعة ، فأكسبنا هذا مزية الهجوم . وصارت المسألة هى : هل تستطيع وحداتنا أن تحتفظ بهذه المزية فى معارك هذا اليوم الثانى؟

وقد وجدنا بعد معاركنا الأولى مع الدبابات الألمانية أنها ليست من البأس بحيث كنا نظن ، وقد كان القلق الشديد يساورنا من قبلها ، إذ ليس عندنا سلاح ضد الدبابات . وكان للألمان فصائل كبيرة من دبابات النمر متأهبة للقتال . وكان من الجلى أنهم يعتقدون أنهم قادرون على سحق أى ثورة عامة فى ساعات قليلة . وقد تحركت هذه الفصائل بعد ١٥ دقيقة من ابتداء الهجوم .

وفى الساعة ١٥ : ٥ تماماً شاهد الضابط الموكل بميدان يونيا لوبليسكا ١٨ دبابة من دبابات النمر الضخمة تتقدم إلى قلب المعركة ومدافعها الرشاشة تطلق نارها . غير أن رجاله أطاعوا الأوامر الصادرة إليهم فى غير جزع ، وانتظروا وراء الأبواب أو غيرها إلى آخر لحظة ممكنة ، ثم حطموا سيور الدبابات بالقنابل اليدوية أما المدنيون فكانوا يقذفونها بزجاجات البترول الملتهب ، فما هى إلا دقائق حتى صارت هذه الدبابات عاجزة عن العمل .

وقد دلت التقارير الأولى على أنه فى خلال ٢٠ دقيقة أدرك أهل المدينة كلهم أن الجيش الداخلى قد برز للقتال. فخرج الناس فى كل مكان يقدمون معونتهم، وكانت قوة الهجوم فى فاتحته أعظم من أن يقاس بها هجوم جيش منظم، فقد امتاز باندفاع ثورة عامة عنيفة تعمل فى الوقت نفسه على نظام عسكرى. وكان من الجلى أن النجاح الذى أحرزناه فى الساعات الأولى يعود أكثر فضله إلى هجوم المدنيين العارم على العدو، غير أن هذا الاندفاع كانت له مساوئه أيضاً.

ففى أثناء المعارك كان قوادنا لا يكادون يميزون بين الجنود والمدنيين، فلم تكن لجنودنا ثياب عسكرية، ولم تكن ثم وسيلة تمنع المدنيين من وضع الشارة البيضاء والحمراء على أذرعهم، ولهذا كانوا يستولون كالجنود على أسلحة الألمان، فيتعذر الاقتصاد فى الذخيرة، لأن المدنيين يبددون فى ضرب ألمانى واحد سيلا من الرصاص والقنابل. وقد دل كل تقرير ورد على الإسراف العظيم فى الذخيرة.

وكان معظم التقارير الأولى من قطاع المدينة الأوسط، فقد احتل جنودنا مبنى البريد ومصنع الغاز ومبانى المياه ومحطة السكة الحديدية. واستمر القتال فى مصنع الكهرباء.

وكانت هذه المعركة على أعظم جانب من خطر الشأن، لأن مصنع الكهرباء كان مصدر النور والقوة فى وارسو، وعليه يتوقف اتصالنا اللاسلكى بالعالم، كما يتوقف عليه العمل فى مصانعنا الصغيرة للذخائر. وكنا قد ألفنا وحدة من العمال والفنيين والمهندسين البولنديين المستخدمين فى هذا المصنع، وكلفناهم الاستيلاء عليه.

وكان المصنع يبدو منذ شهور كأنه موقع دفاعى فى ميدان. وقد أحاطه الألمان بمراكز مراقبة، وأقاموا متاريس من الأسلاك الشائكة حوله وفيه أيضاً. وفى المدة الأخيرة حسنوا وسائل الدفاع عنه وضاعفوا حاميته، وسلحوها تسليحاً تاماً. فكنا نعرف أن المصنع سيكون بندقة عسيرة الكسر.

على أنه ما وافى ظهر ذلك اليوم الأول حتى كان رجالنا قد استولوا على مصنع الكهرباء كله، بعد قتال دام ١٩ ساعة. ففى الخامسة تماماً أعطوا إشارة القتال. وقد قاتل الألمان الذين هوجموا بعنف لا يكاد يصدق، وقسمت وحدتنا مهماتها: فعمل بعض رجالها على استمرار العمل فى المصنع، وظل الباقون يحاربون. ولم يستسلم ألمانى واحد، فكان لا بد من قتل كل ألمانى أو جرحه أو نزع سلاحه.

وقد ظلت السماء تمطر مدراراً طول

ذلك اليوم . وفى الصباح تمّ احتلالنا لمنطقة فولا . وفى تلك الليلة وردت الأنباء الأولى بنجاح هنا وهناك ، ثم تلتها تقارير باحتلالنا مناطق برمتها . فلما كان صباح ٣ من أغسطس بدأ الموقف ينجلى .

لقد أدركنا أهدافنا بعد أربعين ساعة من القتال ، فاستولينا على ثلثى وارسو . أما فى المدينة ذاتها فما كان فى أيدى الألمان سوى أوكار للمقاومة ، وكان جيشنا قابضاً على زمام الهجوم .

وبينما كنت أقوم بجولة تفتيش فى منطقة فولا ، وجدت الجنود والمدنيين جميعاً فى حالة نفسية حسنة ، وكانوا يمرحون تحت المطر ، فقد استطاعوا أخيراً بعد خمسة أعوام أن يستنشقوا نسيم الحرية . وقد اختلطت أصوات الرصاص بأصوات الغناء ، وأقام المدنيون من تلقاء أنفسهم متاريس حول ميدان كيرسيليجو ، وجعلوا يقذفون من نوافذهم بالمناضد والخزانات والأرائك وغيرها ، وكسروا حجارة الأرض وكوموها ، وخفقت الأعلام من كل نافذة .

ووجدت فى مقر قيادتى تقارير كثيرة عن أعمال الألمان . فعند جسر بونياتوسكى هاجم الألمان متاريسنا وأكرهوا المدنيين على السير أمامهم . وكانت دباباتهم قد فقدت ثقتها بدروعها ، فراحت تستتر نفسها بجموع من المدنيين ، فكانوا يربطون النساء إلى الدبابات . لقد كانت حرباً جامعة على الطريقة الألمانية ، من طراز وارسو ١٩٤٤

وكنا لا نزال نسمع صوت المدافع من الجانب الروسى من الفستولا ، وقد صارت على مسافة أميال منا . ولم يكن يخامرنا شك فى أن الجيش الأحمر سيدخل وارسو فى الأيام القليلة المقبلة ، قبل أن تنفد مؤننا وذخائرنا .

ولم تكن الطائرات الروسية قد ظهرت فوق وارسو منذ ليلة أول أغسطس ، ولكننا قلنا إن المطر عاقها على الأرجح ، فقد كفت الطائرات الألمانية أيضاً عن التحليق . غير أن الصمت التام الذى التزمه الراديو السوفيتى فى موضوع وارسو كان تعليله أصعب ، فقد كان القتال دائراً فى وارسو تحت أعين الروس ، ولا بد أن الحرائق فى العاصمة والأعلام البولندية فوقها ، كانت ظاهرية لطلائعهم ، وكانت محطة الإذاعة البريطانية والمحطات المحايدة تذيع الأنباء أيضاً ، ولكن كلمة واحدة لم تسمع من موسكو .

وبعد منتصف ليلة ٣ أغسطس رقدت بضع ساعات أستريح ، فنمت نوما عميقا ، ثم استيقظت منزعجاً ، ولم يكن حولى ما يسوغ هذا الإحساس ، فلم أستطع تعليله ، ولم تكن تقلقنى ضجات القتال المتواصلة ، فقد

اعتدتها وألفت أصوات المدافع . وإذا بى أتبين فجأة علة جزعى . ذلك أن المدافع كفت عن الضرب ، فأرهفت سمعى بضع دقائق ، وكانت المعركة لا تزال حامية فى وارسو ، ولكنى لم أسمع أى صوت من المدافع الألمانية أو الروسية على الناحية الأخرى من النهر ، وقد استمر هذا الصمت إلى الفجر ، فصار أهم من أى صوت .

والآن بدأ كل امرئ تقلقه مدة القتال ، فما أذيع شىء عن محادثات رئيس الوزارة البولندية مع مولوتوف وستالين . فجعلنا ننتظر أنباء من موسكو بصبر نافد وقلق شديد .

وقد فطن الألمان إلى قلقنا وحاولوا استغلاله . ففى ليلة ٣ أغسطس ألقت الطائرات الألمانية نشرات على المدينة موقعة باسم « بور — قائد الجيش الداخلى » . وهكذا استخدموا اسمى فى إبلاغ أبناء بولندة المخلصين أن محادثات ميكولايجك فى موسكو قد أخفقت ، وأن الروس اتخذوا حياله موقف تهديد ، وأنى من أجل هذا أدعوهم أن يكفوا عن القتال وأن يعودوا إلى بيوتهم .

ولم يكن لهذه ولا لغيرها مما تلاها من مساعى الدعاية الألمانية أى أثر ، فقد كان تزوير الألمان سخيفاً ومن السهل فضحه . مثال ذلك أنه بعد بضعة أيام أعلنت نشرة أخرى باسمى أن هيئة أركان حربى والقيادة الألمانية ، تبحثان اقتراحاً بعمل مشترك ضد روسيا — وهى سخافة تسلينا بها جميعاً .

وفى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم الثالث من أغسطس حلقت ٤٢ طائرة ألمانية وألقت قنابل متفجرة وقنابل محرقة على ضاحية فولا وعلى قلب المدينة ، فكانت هذه أول غارة جوية ألمانية على وارسو منذ سنة ١٩٣٩ . وفى الساعة الرابعة تكررت الغارة .

وكان كل رأس يدور فيه سؤال واحد : أين الطائرات السوفيتية ؟ فإن للروس مطارات على مسافة عشرين دقيقة بالطائرة . وكانت طائراتهم منذ ٢٤ يوليه تغير على وارسو كل ليلة تقريباً ، ولكنه لم تظهر طائرة واحدة منذ بدأنا نقاتل .

وفى اليوم الثالث من أيام القتال ، ٤ أغسطس ، اضطررت أن أتخذ قراراً كان غاية فى الصعوبة عن إنفاق الذخيرة .

وكانت المبادأة لا تزال فى أيدينا ، وكنا نوسع قبضتنا على المدينة ساعة بعد ساعة ، ولكن ما استولينا عليه من المؤن والذخائر لم يكن يعادل ما استهلكنا من الذخيرة . وكان كل تقرير يرد يؤكد هذه الحقيقة .

وكانت مصانعنا تعمل ليلا ونهاراً ، بل كان العمال يوسعونها بما يبتكرون من المواد والأجهزة ، غير أن إنتاجها كان يسيراً جداً ، فإذا استمر القتال بحدته فإن ذخائرنا تنفد

فى أربعة أيام أو خمسة ، ولم أكن واثقاً أن الجيش الأحمر فى خلال هذه المدة سيدخل وارسو ، أو أن القوات الجوية ستجلب لنا معونة كافية . فكانت الحكمة تقضى بأن نضيق نطاق القتال ونقتصد فى الذخيرة .

فوقعت على كره أمراً يوجب على كل قائد أن يحتم الاقتصاد فى الذخيرة ، وأن لا هجومَ إلا فى حالات الضرورة ، وكررت بإلحاح ما سبق أن طالبتُ به لندن ، من إرسال ذخائر وأسلحة ضد الدبابات .

وكان السلاح الجوى البريطانى يمون الجيش الداخلى منذ ثلاث سنوات ، من قواعد فى أول الأمر فى المملكة المتحدة ، ثم من إيطاليا الجنوبية ، فكانت الطائرات تغادر هذه القواعد كلما سمح الجو بذلك ، وتلقى المؤن والذخائر فى بولندة فى مواضع يعينها أركان حربنا وتحرسها وحدات من جيشنا .

وقد سار هذا العمل فى يسر وَفْق نظام محكم ، وكانت محطة الإذاعة بلندن تعلن بانتظام خبر هذه الرحلات فى برنامجها البولندى بأن تعزف ألحاناً خاصة ، فلحن معناه «لا رحلة الليلة» ، ولحن آخر معناه « الأسلحة ستلقى الليلة » ، وعلى أثر ذلك تعزف الإذاعة اللحن الذى يعين الموضع ، وكان لكل موضع لحنه الخاص . وكان رجال منا يديرون أنوار الإشارة ، ويجمعون ما يلقى ، ويرسلونه إلى حيث ينبغى إرساله .

واليوم ، ٤ أغسطس ، سمعنا من الراديو لحن « الأسلحة ستلقى الليلة » وذكر اللحن التالى موضعاً بعيداً فى الريف لا فى وارسو ، فأورثنا هذا قلقاً أليما ، وأغرانا بتكهن لا خير فيه . على أنه بعد منتصف الليل بقليل ظهرت طائرتان وألقتا ١٢ ربطة ، ليس لها غناء ، إذا قيست إلى حاجات ٤٠٫٠٠٠ من المقاتلين ، ولكن وصولها كان له أثر منعش فى كل نفس .

ومن حسن الحظ أن الطعام لم يكن ينقصنا ، فقد كنا ملأنا مخازن كبيرة سرية تكفى جنودنا عشرة أيام ، ثم استولينا بعد ذلك على مستودعات ألمانية كبيرة . غير أن الحاجة إلى الذخائر لم تبرح بالنا قط ، فكانت تورثنا قلقاً ملحاً ، وتتطلب جهداً متواصلا .

وقد أفضى الأمر بالاقتصاد فى الذخيرة إلى تخفيف الاندفاع فى هجومنا ، فبذل الألمان أول جهد لانتزاع المبادأة منا ، وكان من الجلى أنهم سيحاولون شق طريق إلى النهر وسط مراكزنا ليفتحوا طريقاً للمرور فى المدينة .

وكنا لم نستول بعد على الجسور ، ولكن شاطىء النهر كان فى أيدينا ، وكذلك كل طريق إلى الجسور ، وكانت المدينة نفسها فى أيدينا ما عدا نقط قوية منعزلة .

وقد لغمنا مفارق الطرق المهمة ، فأحبط

هذا العمل الجهود الأولى لانتزاع الهجوم منا . غير أنه كان ينقصنا العدد الكافى من الألغام ، فرسم الجنود علامات على الشارع ورفعوا لوحات على عصى كتب عليها بالبولندية : «حاذر ! ألغام !» فكانت هذه العلامات ترد الدبابات ، فتتقهقر د تماً وتذهب تلتمس طريقا آخر .

وأحرز غلام فى الثانية عشرة قصب السبق إذ رأى دبابة ضخمة من طراز النمر تزحف على متراس ، وكل مدافعها الرشاشة تطلق نيرانها . فتمهل وظهره إلى الحائط ، حتى لاحت اللحظة المناسبة وقذفها بزجاجة من البترول من مسافة ثلاث ياردات ، فاندلعت النار فيها وقفز منها رجالها واستسلموا ، فأطلقت الجماهير الهاتفة على الغلام اسم « النمر » وحملته على الأكتاف ، ولكنه لم يكن يريد تصفيقاً ، فقد كان له رأى فى نوع الجزاء ، ذلك إنه يريد خوذة جندى . وكانت أزمةً لأنه لم يكن عندنا خوذات ، ومن حسن الحظ أن بعضهم كانت عنده خوذة قديمة من الحرب الماضية ، فقدمت إليه فارتداها . ودمر فيما بعد دبابتين أخريين ، وأخيراً صار جاويشاً !

على أن مركزنا فى فولا أخذ يزداد حرجاً ، فإن الطائرات الألمانية كانت تغير عليه منذ الصباح الباكر ، وفى هذه المرة أقبلت بغير حراسة من المقاتلات ، وألقت قنابلها من ارتفاع منخفض لا يتجاوز أحياناً مئة قدم . فغطى الدخان الكثيف الحى كله ، وخرج الناس أفواجاً من الأبنية المحترقة يحاولون كل ما يستطيعون حمله من متاعهم ، وتفرقت جموعهم تنشد السلامة .

ولم يكن ثم ذكر لوارسو فى أى إذاعة روسية ، ولا صوت قتال يأتى من وراء نهر الفستولا ، ولا طائرات روسية فى السماء . وكان اختفاء الطائرات أعسر فهماً فإن بضع مقاتلات روسية كان يسعها أن تحصد القاذفات الألمانية التى لا يحرسها شىء .

وفى ٥ أغسطس حدث ما بدا كأنه أول ابتداء للاتصال بالجيش الأحمر ، فقد وجد جنودنا رجلا أجنبياً قبل يومين فى القطاع الأوسط ، واستجوبه رجال الاستخبارات فقال إنه الكبتن كالوجين ، وأنه ضابط روسى تحت قيادة المارشال روكوسوفسكى ، ولم يكن معه أوراق سوى بطاقة شخصية تدل على أنه ضابط روسى متصل بجماعة زارنى ، وهى وحدة من العصابات السوفيتية تعمل فى مؤخرة الخطوط الألمانية .

وقد قال إنه هو وزميل له هبطا بالمظلات فى جنوب شرق وارسو فى ١٥ يوليه ، وكانت مهمتهما أن يتصلا بقائد الثورة فى وارسو . وقد بلغا وارسو فى أول أغسطس

فافترقا وفقد كل منهما الآخر أثناء حركات الجيش الداخلى . ولما كان جهاز الإرسال اللاسلكى والشفرة مع زميله ، فإنه لم يجد وسيلة للاتصال برؤسائه ، واستأذننا فى استعمال جهازنا اللاسلكى ليتصل بديوان المارشال روكوسوفسكى ، وقال بلهجة التأكيد إن للجيوش الروسية التفوق الساحق فى العدد، وأنها ستكون فى وارسو بعد أيام قليلة ، وطلب أن نطلعه على الحالة فى وارسو، واقترح أن يسمح له الكولونل مونتر بتوجيه رسالة إلى ستالين مباشرة .

ومع أنه لم يكن يخالجنى شك فى أن رئيس الوزارة ميكولايجك يطلع ستالين اطلاعا وافياً على سير القتال فى وارسو ، إلا أنه لم تغب عنى قيمة التأييد من ضابط سوفيتى يشاهد الحالة بنفسه ، فأمرت مونتر أن يقدم له كل المعلومات عن مراكز الألمان ومراكزنا ، وأن يبعث برسائله .

وقد طلبت رسالة كالوجين إلى ستالين أن ترسل الأسلحة من لندن وتلقى فى مواضع معينة، وأن تضرب الطائرات بالمدافع الرشاشة نقط احتشاد الألمان فى وارسو، وأن تضرب بالقنابل مطارات معينة، وأضافت إلى ذلك: « أن أهل وارسو البواسل يعتقدون أنكم سترسلون إليهم أقوى معونة فى الساعات القليلة التالية . وأرجو أن تسهلوا اتصالى بالمارشال روكوسوفسكى» ووقعها هكذا : « كبتن كونستنتين كالوجين من جماعة زارنى . وارسو » وبعث الكولونل مونتر أيضاً برسالة كالوجين إلى لندن طالباً أن يحولوها إلى المارشال روكوسوفسكى فى جبهة الميدان . ولم يرد رد من السوفيت .

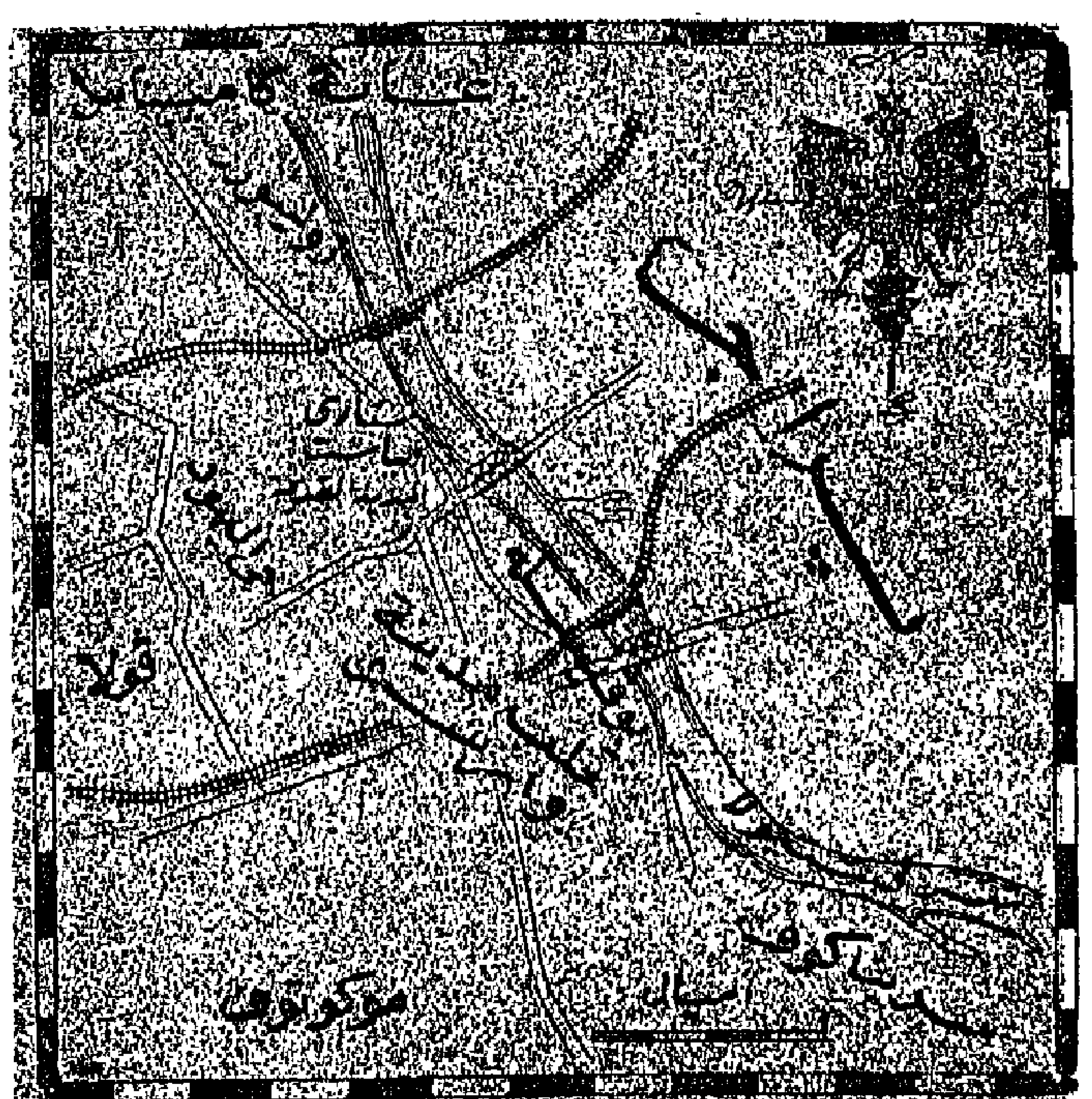
وازداد الموقف فى فولا سوءاً ، فقد أخذ الألمان يقاتلون مستيئسين ليعيدوا فتح الباب الغربى من طريقهم وسط وارسو .

وكان الدفاع عن فولا عسيراً جداً لأنها محوطة بأرض مكشوفة . وفى ٦ أغسطس صار مقر القيادة فى الخط الأمامى ، وأصبح من الصعب القيام بعملنا . ولم تحجم قط الفتيات اللواتى كن يحملن الرسائل ،ولكن الاتصال بالكولونل مونتر أخذ يزداد صعوبة .

وكانت الضرورة تقضى بإنقاذ أجهزتنا اللاسلكية وهى أداتنا الوحيدة للاتصال بالعالم ، ووسيلتنا المفردة للاتصال بالقيادة الروسية ، ولهذا أصدرت الأمر بأن ننتقل إلى ستارى مياستو — المدينة القديمة .

ولما غادرنا مصنع كاملر إلى ستارى مياستو، سرت للمرة الأولى فى حى اليهود ، وكنا لم نر خرائبها من قبل إلا من نوافذ المصنع .

وكانت المدينة القديمة حياً كله منازل عالية عتيقة ضيقة بنيت فى القرون الوسطى ، والكنائس والمنازل متلاصقة ، والطبقات



العليا تشرف على الشوارع الضيقة . وكان هذا الحى لم يمسسه سوء من الحرائق أو القنابل، فظل كما كان منذ قرون .

وصرنا الآن ندافع عن المدينة القديمة فى مواضع حصينة : مثل مطبعة الخزانة على الفستولا ، ومن دار البلدية إلى الجنوب فى اتجاه قلب المدينة ، ومن بنك بولندة وغيره على الجناحين ، وانتقل ديواننا الجديد إلى ميدان كراسنسكى، فى جناح من مدرسة كان الألمان قد اتخذوها مستشفى .

وكان أول ضابط تقدم إلىّ فى ستارى مياستو هو الكولونل فاشنوسكى ، وهو ضابط على أعظم حظ من الكفاءة ، قلده الكولونل مونتر قيادة هذا القطاع ، وكان رأيه أن الموقف غاية فى الخطورة ، فإن اللاجئين المدنيين يفدون زرافات ، والوحدات المسحوبة من قطاعات أخرى تكر راجعة إلى المدينة القديمة ، والنظام يحتفظ به ، والطعام يقدم ، والمعونة الطبية تبذل ، ولكن الحاجة إلى الذخيرة شديدة جداً .

فكررت مطالبتى لندن بإلحاح أن ترسل لنا الذخائر والسلاح ، وأن تنجدنا بالدفاع الجوى . وكانت محطة الإذاعة البريطانية تعزف كل ليلة اللحن الذى معناه « لا أعمال الليلة » . أما موسكو فما ورد منها ردّ .

وفى ٨ أغسطس فقدنا ضاحية فولا !

الحذاء الملتهب

٩ أغسطس، تغيرت الآن صبغة القتال: فقد نجح الألمان ، الذين قاموا بهجمات فى غاية العنف ، وبمعونة موجات متتابعة من الطائرات المنقضة ، وبالمدافع والدبابات ، وبإحراق المبانى ، فى شق طريق لهم بين ستارى مياستو والمدينة الوسطى ، ونسف سكة إلى نهر الفستولا عند جسر كيربدز . فقطعت هذه السكة كل اتصال للمدينة القديمة بالمدينة الوسطى .

ولما أصبحنا معزولين على هـذا النحو بعث الكولونل مونتر إلىّ برسالة عن طريق لندن ، يطلب أن نفتح مداخل المجارى فى ستارى مياستو . وفى اليوم التـالى خرج من مدخل المجارى فى ميـدان كراسنسك شخص علـيه طوائف شتى من الأقذار ، وكان فتاةً تحمل التقارير من الكولونل مونتر . وهكذا صارت المجارى هى وسيلة الاتصال بين القطاعات فى أحياء المدينة كلها.

١١ أغسطس : كان الضغط المتزايد من الأسلحة الألمانية الثقيلة قد أكره المدافعين عن ستارى مياستو أن يتخلوا عن المتاريس فى عدة مواضع ، ولكنا ظللنا محتفظين بنقط الدفاع الرئيسية وكان مصنع الكهرباء لا يزال يعمـل ، وجهازنا اللاسلكى غير معطل ، وكانت موسكو لا تزال صامتة ، ولكن محطة الإذاعة البريطانيـة فى ذلك اليـوم أذاعت اللحن الذى معناه « الليـلة نعمل » وأتبعت هذا بعزف لحن « الحزام الأحمر » ومعناه « فوق وارسو » .

وأقبلت الطائرات عند منتصف الليل ، فسرعان ما اجتاحت الأنوار الكشافة الألمـانية السماء وانفتحت أفواه المـدافع الألمـانية المضادة للطائرات ، ولـكن هذه لم تنحرف عن طريقها ، فبادرت ١٥ امرأة من العاملات فى المليشيا إلى إضاءة مصباح الزوايا ، ورسمت بالأنوار صليباً هائلا ، فهبطت الطائرات ــ وقد عددنا منها سبعاً ــ إلى قريب من الأرض وألقت حمولتهـا ، فأرسلت المدينة كلها صيحة ترحيب بها . وكان الناس يهتفون ، ويصيحون ، ويدعون ويضحكون ابتهاجاً . ولكنهم وقفوا ينظرون بغير حراك ، وقد اضطرمت النار فى إحدى الطائرات وسقطت محترقة فيما وراء الفستولا.

ودارت المعركة فى المدينة كلها الآن بعنف جديد ، لأن بعض ما ألقته الطائرات سقط بين المراكز البولندية ومراكز العـدو . وسقطت ربطة فوق كنيسة على مسافة مئتى ياردة من بنك الاقتصاد القومى ، وهو حصن ألمانى ، فصعد أربعـة رجال بواسل إلى القُبّة ، فقتلوا جميعاً . فصعد غيرهم من من الداخل وشقوا السقف فسقطت الربطة فى أيديهم .

وفى ليلتى ١٢ و ١٣ أغسطس ألقت الطائرات تموينات أخرى .

وقد استطعنا أن نظفر بثمانين فى المئة مما ألقى إلينا ، فقوّت هذه المعونة قلوب الجنود والشعب على السـواء ، فبلغت الثقة حداً رائعاً . وكانت هذه الأمداد تكفى لا لتمكيننا من الدفاع فحسب ، بل لاستئناف الهجوم مرة أخرى .

وفى خلال هذين اليومين قامت وحداتنا

بهجمات ناجحة وقضت على عدد من الجيوب الألمانيـة المنعزلة ، ولكننا لم نستعد زمام الهجوم ، وجاء القلم الاستخبارات بأن قوات ألمانية جديدة تصل ، وكان من الجلى أن فتور الهجوم الروسى ، لسوء الحظ قد مكن قوات ألمانية من العمل ضدنا .

وفى ١٤ أغسطس خرجت موسكو عن صمتها ، فأذاع الراديو السوفيتى الرسمى ، ومحطة الإذاعة البريطانية معاً البيان التالى :

« نشرت حديثاً فى عدة صحف فى الخارج أخبار من مصادر بولندية عن الثورة التى بدأت فى وارسو فى أول أغسطس بأمر من المهاجرين البولنديين فى لندن . وقد زعمت الصحف البولندية وراديو الحكومة اللاجئة إلى لندن أن ثوار وارسو كانوا على اتصال بالقيادة السوفيتية العليا ، وأن هذه القيادة لم تبذل لهم أية معونة . فهذا الزعم إما أن يكون ناشئاً عن سوء تفاهم ، وإما أن يكون قذفا فى حق القيادة السوفيتية العليا .

ولدى وكالة تاس من المعلومات ما يدل على أن الدوائر البولندية فى لندن ، وهى المسئولة عن الثورة فى وارسو ، لم تبذل أى محاولة لتنسيق هذه الحركة مع القيادة السوفيتية العليا ، فى هذه الظروف لا يكون المسئول عن نتائج الحوادث فى وارسو سوى دوائر المهاجرين البولنديين فى لندن » .

وقد كان وقع هذا الإعلان فى وارسو هو الذهول ، فأثار أعمق مخاوف الشعب وسخطه وشكوكه ، فما نسوا ذلك النداء الحار من موسكو : « يا أهل وارسو ، إلى السلاح ! هاجموا الألمان ! ليس ثم وقت يضيع ! » وما زالوا يذكرون اتهام رؤساء الجيش الداخلى بأنهم يعملون سراً على بقاء قواتهم جامدة فى وارسو .

وقد وافق ذلك ورود الأخبار بأن ميكولايجك قد عاد إلى لندن من موسكو . ولم يذكر شىء عن محادثاته مع مولوتوف وستالين ، ومن الجلى أنهما لم تنتهيا إلى اتفاق بين الحكومتين .

وقد أدركنا أنه فى الوقت الحاضر لا يجوز لنا أن ننتظر أى مدد سوفيتى من الجو ، أو أية حماية جوية أو أية معونة أخرى ، وأنه ليس لنا الآن إلا أن نعول على قوتنا ، وعلينا أن نحتفظ بوارسو بدون مساعدة من الروس إلى أن يستأنفوا زحفهم على ألمانيا . وكنا نعلم أن الروس لا يستطيعون أن يستأنفوا الزحف دون أن يتناولوا وارسو . فالمسألة هى : متى يتحركون ؟

ولما كان الهجوم الروسى قد بلغ عنفوانه على قوات العدو المتفككة المهافتة ، فقد بدا لنا أن قوة الاندفاع وحدها ستبلغ الروس وارسو قريباً ، فعلينا أن نثبت حتى يأتوا .

وأقبل زعماء الأحزاب السياسية إلى مقر قيادتنا بمشروعات لزيادة عملهم ، واقترح اثنان من حزب الفلاحين أن أصدر الأمر إلى كل وحدات الجيش الداخلى السرى فى بولندة بأن تزحف لنجدة العاصمة .

وكنت أعرف أن وحداتنا الريفية السيئة التسلح لا تستطيع أن تغير الموقف تغيراً يذكر ، غير أن عملا فى مؤخرة العدو يحول نظره ، قد يكسبنا فسحة من الوقت ، وكان الوقت هو العامل الجوهرى . ورأيت أيضاً أن وحدات تأتى من الريف قد تجلب مقادير من السلاح يتيسر تهريبها إلى المدينة ، فقبلت اقتراح حزب الفلاحين ، وطلبت من لندن أن تذيع رسالة تأمر كل الوحدات الميسورة الحسنة التسلح بأن تقصد على الفور وبأسرع الوسائل الممكنة إلى وارسو .

وفى الوقت نفسه ، وبواسطة لنـدن ، أصدرت الأمر إلى جميع الفلاحين القريبين من وارسو بأن يعدّوا تقـديم الطعام إلى المدينـة أول واجب عليهم . وكان حزب الفلاحين ينظم هذا التموين .

وقد استجاب ضباط الجيش الداخلى فى بولنده كلهـا لأمرى بأن يزحفوا لنجدة العاصمة ، غير أن عقبات شتى اعترضتهم .

وترددت أنباء من لوبلين ولفوف والمناطق الأخرى الواقعة تحت سـيطرة الروس ، وكانت الأنباء كلها مجمعة على أن وحدات الجيش الداخلى التى أعربت عن رغبتهـا فى الزحف إلى وارسو ، قد نزع سلاحها .

ولم يتيسر لى ، إلا بعد أن وصلت إلى لندن فى مايو ١٩٤٥ ، بعد هزيمة ألمانيا ، أن أرى برقيـة من لوبلين مؤرخة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤ ، تروى أمراً صادراً من قائد كتيبة المشاة السوفيتيـة السادسة عشرة ، وهذا الأمر يروى أمراً عاماً كنت أصـــدرته إلى وحدات الجيش الداخلى عن طريق محطـة الإذاعة البريطانية فى ١٤ أغسطس ١٩٤٤ ، وقد طلب الأمر السوفيتى من ضباط الجيش الأحمر أن يمنعوا سـير وحدات الجيش الداخلى إلى وارسو ، ويقول إن كل وحداته التى لا تزال تعمل فى المنطقة يجب أن ينزع سلاحها فوراً ، وأن توجه إلى المراكز العسكرية لترحيلها . وقد وصف الجيش الداخلى بأنه « الجيش الوطنى البولندى الذى تؤيده حكومة المهاجرين البولنديين » .

وقد فهم الألمـان من بلاغ وكالة تاس ما فهمنـاه : أى أن الجيش الداخلى يقف وحده الآن أمام قوات متفوقة عليه تفوقاً ساحقاً ، ولهــذا توقعنا أن يقوم الألمان بهجوم قوى على سـتارى مياستو ، وهو قطاع ضعيف جداً .

وفي اليوم السابع عشر من القتال بدأ الألمان يضربون وارسو بالمدافع الثقيلة التي استخدموها من قبل في حصارهم لسباستوبول، وكان انفجارها يدمر عمارات برمتها. وقد توخى الألمان دقة عظيمة في استخدام المدافع وسددوا نيرانها إلى قيادات المناطق ومراكز اللاسلكي، كما سددوها إلى ما كان لهم من مخازن مؤن ومستودعات للذخيرة.

وبعد أن استمر هذا الضرب طول الصباح انقطع إلى حين، وتقدم رسل الألمان في مواقعنا في سكسوني بارك رافعين علماً أبيض، فقابلهم ضابط بولندى خارج خطوطنا فسلموه رسالة بتوقيع قائد القوات الألمانية في وارسو. يطلب منا الاستسلام ويعرض على جنود الجيش الداخلي حقوق المحاربين في الأسر، ويهدد إذا رفض هذا الاقتراح، بسحق المدينة وأهلها.

ولم تحدث هذه الرسالة أدنى تردد في نفوس أركان حربنا.

وكان ينبغي، بمقتضى أصول الحرب كلها، لقوة حربية في مثل موقفنا، أن تستسلم، ولكنا رأينا أن الاستسلام للألمان مؤداه ذبح الجنود والمدنيين على السواء. ولهذا وعلى الرغم من امتناع معونة السوفيت، لم يكن أحد يشك في أن سبيلنا الوحيدة هي أن نواصل القتال حتى يستأنف الجيش الأحمر زحفه. وقد أمرت الكولونل مونتر بأن لا يرد على رسالة القائد الألماني.

وقد استطعنا أن نوجه إلى العدو رداً صريحاً بطريقة أخرى. فقد قام الكولونل مونتر بسلسلة من الهجمات على مواقع قوية للعدو، مبتدئاً بدار التلفون في القطاع الأوسط. وكان هذا البناء الضخم، وهو من أعلى المباني في المدينة، لا يزال وكراً لمقاومة العدو، وكان جنودنا قد أحدقوا به، ولكن الحامية ثبتت وجعلت تقذف الشوارع بنار متصلة من النوافذ العالية.

فجددنا هجومنا على هذا الحصن بمعونة شيخ جاوز الستين كان قبل ذلك قد تطوع فرُدَّ. وكان الشيخ عنيداً، فركب رأسه ومضى على طريقه، وكان قبل ذلك عاملا فنياً في دار التلفون، ويعرف البناء حقّ معرفته، وكان إلى جوار المبنى بعض الخرائب، فقضى الليل وحده يحفر سرداباً تحت الخرائب. وبعد أكثر من أسبوعين من العمل الشاق، كان قد حفر ممراً طوله نحو مئة ياردة، وبلغ بدروم مبنى التلفون، ثم أفضى بسر هذا الممر المؤدى إلى حصن العدو إلى قائد المنطقة. فرأى الكولونل مونتر، اعتماداً على هذا الخبر، أن يسخو بالذخيرة للهجوم.

وفي الليلة التالية، وفي الساعة الثانية،

بدأ الهجوم فى هذا السرداب، فدارت معركة عنيفة داخل المبنى حيث أقام الألمان المتاريس فى كل طبقة وكل ممر ، واستخدم جنودنا الألغام ، فنسفوا الجدران وشقوا ممرات . واستمرت المعركة فى سحب من الدخان الكثيف ، وأبدى الألمان مقاومة عظيمة ، وقاتلوا من أجل كل غرفة وكل طبقة .

وبعد عشر ساعات من القتال أبيد الألمان، وجرح الشيخ الذى حفر السرداب فى خلال القتال ، فكوفىء بمسدس وعشر طلقات .

وفى الأيام القليلة التالية زاد الهجوم فى قلب المدينة شدة ، وفاز بمثل هذا التوفيق، فقضينا على مراكز ألمانية منعزلة ، وغنمنا ذخائر لا تقدر بثمن ، غير أن هذا لم يكن يكفى للانتصار على قوات العدو الرئيسية . فشرع الألمان فى ١٩ أغسطس ، فى هجوم مركز على ستارى مياستو .

وقد عثرنا بعد بضعة أيام على أمر مع ضابط ألمانى قتيل، فيه بيان دقيق لقوة العدو المستخدمة فى هذا الهجوم فى منطقة لم يكن لنا فيها سوى خمسة آلاف رجل مسلحين كيفما اتفق . وقد جاءت الضربة الكبرى من عشر كتائب من المشاة الألمان تؤيدها بطاريتان من المهندسين ، ووحدة من دبابات النمر ، و ٢٠ مدفع ميدان ، و ٥٠ مدفعاً ضخماً وبطاريتان من مدافع عيار ٧٥ مم ، وبطارية من عيار ٣٨٠ مم ، (من نفس النوع الذى كان الألمان يضربون به دوفر من شاطىء المانش) وسرية للألغام ، وقطار مصفح وفضلا . عن ذلك كانت الطائرات المنقضة تقذف المنطقة بانتظام كل ساعة فى البداية ، ثم كل ربع ساعة .

وكان تركيز الضرب على هذا النحو ، موجهاً إلى منطقة لا تتجاوز مساحتها كيلومتراً مربعاً . وكان اللاجئون قد زادوا عدد السكان فى هذه المنطقة المحصورة إلى ٢٠٠،٠٠٠ ، ولم تكن فى المنازل القديمة التى يرجع عهدها إلى القرون الوسطى ، وقاية من هذا الضرب من مدافع الحصار الثقيلة ، فتقوضت كأنها مصنوعة من ورق، ودفن آلاف تحت أنقاضها، وكانت كلما شبت النار فيها تحترق كأنها من حطب .

وفى الساعات الأولى من هذا الهجوم أقبل على مقر القيادة أربعة من الجنود يحملون جثة الملازم كامار، وكان من أوثق رفقائى صلة بى ، فأردته شظية أصابت رأسه ، وكانت زوجته وبنته ترتديان البزة العسكرية، فتركتا مراكزهما لتشيعا الجنازة، ولم يكن عندنا نعش فسددت ألواح الخشب مسده ، وحملنا الجثة عليها ودليناها فى القبر، ولم نطلق ناراً لأننا لا نستطيع أن نستغنى

عن طلقة واحدة . ثم عادت زوجته وابنته إلى الفور إلى واجباتهما .

وكان فى كل أنحاء وارسو عدد لا يحصى من الجنود ، رجالا ونساء ، يرتادون المجارى محاولين أن يصلوا مراكزنا المنعزلة بعضها ببعض ، وكانت شبكة المجارى التى بنيت منذ ستين عاما ، تيها معقداً تحت الأرض ، ومجهولا شديداً الخطر ، يمتد أميالاً . وكانت المسالك فيها متفاوتة السعة ، وأصغر ما يمكن المرور منه ارتفاعه ثلاث أقدام وعرضه قدمان ، وكانت قطع الزجاج وأشباهها كثيرة فى الأوحال الراسبة فى أرضه المقعرة ، فمن المستحيل الزحف على اليدين والركبتين ، فإن أيسر جرح يحدث تسمما قاتلا ، فكان على سالكها أن يستعمل عصوين قصيرتين يعتمد عليهما ويثب كالضفدعة وثبات قصيرة ، فالسير غاية فى البطء والإجهاد ، وأحد هذه المسالك بين ستارى مياستو ووارسو الوسطى كان يستغرق اجتيازه تسع ساعات ، وإن كان طوله لا يزيد على ميل .

وكان سلوك ممر ضيق كهذا فى ظلام دامس وأقذار ترتفع إلى الخصر ، كثيراً ما يورث المرء فزعاً شديداً . وقد رأيت رجالا من أجرأ الناس لا يترددون فى الهجوم على الدبابات بزجاجة من البترول ، يتهالكون ويتهافتون بعد أن يقطعوا بضع مئات من الياردات ليس إلا من هذه المسالك الضيقة الوخمة .

وكانت هناك مسالك قليلة واسعة يستطيع المرء أن يقف فيها معتدل القامة تقريباً ، ولكن استخدامها كان ينطوى على خطر آخر ، لأنها مجعولة ليجتمع فيها ما ينزل فى المجارى من أحياء برمتها ، فالماء فيها عال والتيار قوى ، ولا سبيل إلى سلوكها إلا بالتعلق بحبل ، وقد يحدث فى أية لحظة أن يتدفق الماء فجأة من أى مسلك من المسالك الرافدة ، فيمتلئ المكان ويجرف التيار من فيه . وقد ضاعت أرواح كثيرة على هذا النحو فى هذه المسالك .

وكانت لندن هى مركز حركة المرور لنظام مواصلاتنا بالمجارى ، وكان يبدو من السخافة المطبقة أن نبعث برسالة عن طريق لندن لنتصل بمن هم على مسافة بضع مئات من الياردات ، ولكنه كان ينقصنا الأسلاك للتلفون ، وكانت أجهزتنا اللاسلكية على الموجة القصيرة أضعف من أن تصلح لاتصال بعضنا ببعض ، ولكن فى الوقت نفسه تستطيع بسهولة أن تتبادل الرسائل مع محطات لاسلكية قوية . وهكذا كانت مئات من الرسائل ترسل من كل الجهات إلى لندن لتعاد منها مرة أخرى .

وحدث مرة أن دورية دخلت فى المجارى

فى زونيبورز لترتادها وتهتدى إلى مسلك يؤدى مباشرة إلى قلب المدينة ، استطاعت أن تصل إلى هدفها بعد أن قضت ١٩ ساعة فى البحث ، وإذا بها تجد أن الفتحة مقفلة ، ولم تكن ثمّ وسيلة لفتحها من الداخل ، فبذل أحد رجالها مجهوداً ضخما وارتدّ إلى زوليبورز ، وبعث برسالة إلى لندن يطلب فيها تكاليف القطاع الأوسط أن يفتح مدخل المجارى . ففتح ، وأخرج الرجال منه .

وصار من المستحيل الآن تقريباً الاستمرار فى استخدام الراديو ، ففى ٢٥ أغسطس قال ضابط الإشارة إن ثلاثة من أجهزتنا اللاسلكية الأربعة دفنت تحت الأنقاض وتحطمت ، وأن الرابع عمله متقطع وقد يكف عن العمل فى أية لحظة .

وكان هذا يهددنا بخطر وبيل ، فإن الراديو لم يكن الوسيلة الوحيدة للقيام بواجباتى كقائد للجيش الداخلى فى بولندة كلها فحسب ، وإنما كان المناط الوحيد للأمل فى الاتصال بالسوفيت حين يستأنفون الزحف . فلم تبق لى حيلة إلا أن أنقل هيئة أركان حربى إلى قلب المدينة حيث كانت محطات الراديو تعمل ، ولم تكن مستهدفة لمثل هذا الخطر المستمر ، وقد اخترت موعداً لهذا الانتقال ليلة ٢٧ أغسطس .

وفى الساعة الحادية عشرة خرجنا ، وكان مدخل المجارى فى ميدان كراسنسكى على مسافة ٢٠٠ ياردة من المراكز الألمانية ، وقد غطته قنابلهم اليدوية ومدافعهم الرشاشة ، وكان علينا أن نقطع ٢٠٠ ياردة على ضوء الحرائق المشتعلة فى المبانى ، فوقفت جماعتنا واحداً وراء الآخر مستندين إلى حائط ، وجعلوا ينطلقون فرادى ، وبعد فترات متفاوتة إلى أكياس الرمل التى تحمى المدخل .

ولما هبطت إلى الجدار المبنى بالأسمنت المفضى إلى المسلك ، أدارت رأسى الرائحة الكريهة ، وأسال دموعى الهواء الفاسد ، فتدلّيت فألفيت الماء القذر يصل إلى فخذى ، وكان الأمر يتطلب جهداً بالغاً للتغلب على الاشمئزاز ، وكان التيار من القوة بحيث كان يتعذر الاحتفاظ بالتوازن ، فأمسكت بالحبل الذى فى يد المرشد ، وقبضت عليه بكل قوتى وتقدمت خطوات لأفسح لمن يلينى .

وقد قضينا ساعة فى حشد الجماعة كلها فى المجارى ، وكانوا نحو أربعين ، ثم وقفنا ننتظر فى ظلام دامس . ولما كنا سنمر تحت فتحات واقعة كلها تقريباً فى المراكز الألمانية ، فقد حظرنا استعمال الضوء ، وحرصنا على الصمت التام . وكان التنفس صعباً من جراء الرائحة ، وكان على كل من يدور رأسه ويعجز عن مواصلة السير أن يجذب الحبل ثلاثاً ، وحينئذ يأمر المرشد

بالوقوف . وكان المقرر أن نستريح قليلا بعد كل ساعة .

وكان علينا أن نقطع ميلا ، فإذا سارت الأمور على ما يرام رجونا أن لا تستغرق الرحلة أكثر من خمس ساعات .

وسار الطابور يتقدمه جنديان مع كل منهما مدفع تومى، وسرعان ما اشتد التيار ، واضطررنا أن نقعى قليلا فى هذا الموضع ، لأن المجازة لم يكن ارتفاعها يزيد على خمس أقدام، وإذا بصرخة فظيعة تفاجئنى من خلفى ، ذلك أن الفتاة باسيا التى اتخذتها للمراسلة تزحلقت وردّها التيار إلى الوراء .

واستطاع يانكوسكى أن يمسكها قبل أن تفلت ، وأن يجذبها ويقفها على قدميها مرة أخرى، وكانت الأصداء التى تجاوبت مروّعة، وكانت ناطقة بمزيج من الحزن والفزع واليأس يجاوز طاقة البشر .

وكنا من حين إلى حين نضطر أن نمر تحت سيل من الماء ينحدر علينا من مواضع فى سقف المجارى دمرتها القنابل ، وقد كاد هذا الماء يغرقنا ، وكان المجرى ربما أضاءه نور ينفذ إليه من ثغرة، وكانت هذه أخطر المواضع ، لأنا كنا فيها على مسمع من الألمان ، وقد يقذفوننا فى أية لحظة بالقنابل.

وبعد زمن قلّ ماء المجرى ، ولكن السير لم يكن من أجل ذلك أسهل، لأنه كان أحفل بالأقذار، والتنفّس أصعب من جراء النتن. وكنا لا نتنفّس إلا تحت الثغرات الخطرة .

وأخيراً لمحت على بعد ضوءاً خافتاً من مصباح إشارة أزرق ، وكان لا يزال علينا أن نقطع مئتى ياردة، خيل إلينا أنها لا تنتهى، وكانت ظهورنا وعضلات سيقاننا قد أصابها التوصيم ، وكان الضوء الأزرق يبدو لنا كأنه ينأى عنا إذ نتقدم، ولكننا بلغناه أخيراً، ووجدت يدى حبلاً مدلىًّ من المدخل فوقنا فخرجنا به من الفتحة الضيقة .

وكان للنظرة الأولى التى ألقيتها على قلب المدينة وقع قوى غريب ، فأحسست أنى فى عالم آخر ، فقد رأيت بيوتاً قائمة وبعض زجاجها سليم ، ولم تكن الأرصفة مكسرة أو عليها أنقاض ،وكان من الجلى أن الناس لا يزالون يجدون الماء ، فخيل إلىّ أن وارسو ما انفكت تحيى حياة السلام .

ومضينا والأقذار تقطر منا إلى مقر الكولونل مونتر، حيث أعدت لى ولرئيس أركان حربى غرفة واحدة . وسرعان ما أعطوا كلا منا دلواً من الماء لنغتسل ، فكانت أعظم النعم ، فسرّنى أن أنضو ثيابى التى كان يفوح منها النتن ، ورقدت نظيفاً لأستريح قليلا

وبعد ساعات أقبل مونتر ليصف الموقف فى المدينة، فقال إن أزمة الطعام تزداد حدة

بسرعة ، وإن معظم المخابز قد دمر ، وأن الخبز لن يوجد بعد الثامن من سبتمبر ، وقد عجزت الأمهات عن تغـذية أطفالهن لما أصابهن من الرجات العصبية ، ولأن اللبن معدوم ، وقد كثرت الوفيات بين الأطفال كثرة مروعة ، والتيفوس وغـيره من الأوبئة يهدد الناس ، والدسنطاريا متفشية .

وكان لما أذاعه السوفيت من رفضهم أن يأذنوا للقوة الجوية فى استخدام مطاراتهم وقع عميق فى نفوس النـاس ، ولم تكن الأنباء من وراء الفستولا مشجعة ، لأنهـا لا تنبىء بأكثر من الهدوء التام .

وكان أول ما يعنينى أن أنقذ المدافعين عن ستارى مياستو ، وهم ١٥٠٠ ، وكانوا لا يزالون ثابتين فى ذلك الموقع الأمامى المقضى عليه . وكانت خطتنا الأولى أن نقوم بهجوم موحد محـكم التنسيق نفتح به ثغرة فى خط العدو ، وقد حددنا لذلك ليلة ٣٠ أغسطس .

وكانت مهمة الكولونل فاشنوسكى فى ستارى مياستو غاية فى الصعوبة ، فقد كان عليه أن يسحب جنوده دون أن يفطن العدو ، وأن ينقلهم إلى مراكز جديدة للهجوم .

ولـكن المدنيين أصابهم الفزع حين رأوا الجنود ينسحبون ، وأرادوا لجزعهم أن يبقوا على مقربة من الجنود ، فانطلقوا يخرجون من السراديب ، فلفتت صيحاتهم نظر العدو فشرع يطلق النار على المتاريس المهجورة ، وما استطاع فاشنوسكى أن يخلص وحداته ويردهـا إلى مراكزها فى الوقت المناسب لصد هجمات الألمان ، إلا بعـد عناء شديد . وذلك فيما عدا إحدى الوحدات ، فإنها لم تتلق الأوامر الجديدة فى الوقت المناسب ، فهاجمت الأسفين الألمانى فى الوقت المعين وحدها وبدون معونة ، غير أنها ما لبثت أن ردتها نيران العدو الشديدة وألجأتها إلى الاحتماء بالمجارى ، ولم يكن معها مرشد فضلت ، وخرجت من ثغرة فى موقع ألمانى . ومن حسن الحظ أن الليلة كانت مظلمة ، وأن قائدها كان شاباً ذكياً سريع الخاطر ، وكان جنوده يرتدون بقايا ثياب عسكرية ألمانية استولوا عليها .

فأفشى الأمر فى جنوده همساً أن ينزعوا ما على أذرعهم من الشارات البيض والحمر ، وصف رجاله وجعل على رأسهم أربعة كانوا يحسنون الألمـانية ، ثم أصدر أوامره باللغة الألمانية بصوت مسموع ، ومضى بهم بسرعة إلى المراكز البولندية على مسافة مئتى ياردة .

وما كاد يفعل حتى وقفته دورية ألمانية ، وحذره رئيسها ، وأمره أن يسير فى سكينة حتى لا يجتذب إليه نيران البولنديين ، فسأله عن الطريق الذى يسـلكه ليتجنب الألغام ، فدل عليه ، فقاد كتيبته سالمة

إلى الاستحكامات البولندية. فحياه البولنديون نيران البنادق ، فقتل واحد وجرح اثنان .

على أن محاولة تخليص المدافعين عن ستارى مياستو أخفقت ، ولم تبق سوى سبيل واحدة للتراجع وهى المجارى . وكان هذا من أصعب القرارات التى اضطررت إلى اتخاذها فى وارسو ، فإنه لكى تنفذ هذه الخطة يجب أن تخلو الاستحكامات من حماتها ، ومتى نزلوا إلى المجارى فإنهم لا يستطيعون أن يكروا راجعين ، هذا إلى أنهم وهم فيها سيفقدون كل وسيلة للدفاع ، وأخلق بوجود مثل هذا العدد الكبير فى المجارى فى وقت واحد ، أن يلفت نظر الألمان إليهم ، ويكفى أن يقذفوهم ببضع قنابل غازات ، أو أن يحدث فزع ، فلا يخرج منهم أحد حياً .

على أنى لم أجد بديلا من هذا ، فأصدرت الأمر وأنا أشعر بثقل التبعة . وكان من حسن الحظ أن الألمان بعثوا برسل يقترحون هدنة إلى منتصف الليل ، ليدفنوا موتاهم ، فقبل الاقتراح الألمانى وصدر الأمر بالاستعداد للانسحاب بطريق المجارى .

وقد جاءوا يحملون معهم جرحاهم ، ومن المستحيل أن يتصور المرء كيف فعلوا ذلك ، ولكنهم فعلوه ، وسار الصف فى المجارى ببطء ، ولكن بغير توقف أو راحة ، لأنه كان لابد من التقدم ليتسنى للواقفين عند مدخل المجارى أن ينزلوا . وظلت المجارى وقتاً طويلا غاصة بالجنود ومعهم ٥٠٠ من المدنيين ، و ١٠٠ من الأسرى الألمان .

***

جعلت مقرى الجديد فى بناء استخلصناه من الألمان ، على مسافة ٣٠٠ ياردة من مركز ألمانى ، فقد علمتنى التجربة أن آمن مكان أقربه إلى خط القتال ، فإن الألمان لا يجرؤون أن يضربوا بالمدافع أو بالطائرات موقعاً هذا مبلغ قربه من مراكزهم .

وكان مجلس الاتحاد القومى يعقد جلسات فى مكان قريب ، وكنت أشهد اجتماعاته كل يوم . وقد بحث المجلس وسط أصوات الانفجار ، اقتراحاً من لندن بضم لفيف من الشيوعيين إلى الحكومة ، وهو تساهل من أجل روسيا كان رئيس الوزارة ميكولايتشك يرجو أن يؤدى إلى تفاهم معها . غير أن المسألة كان من العسير جداً تقرير شىء فيها .

فما كان ثم أدنى شك فى الموقف العام تجاه الشيوعيين ، فإن الحزب الشيوعى فى بولندة ما كان يعد هيئة تمثل عقائد سياسية ، وإنما كان يعد أداة لدولة أجنبية ، ولهذا كان خليقاً أن يسخط الناس جداً أن يضم شيوعيون إلى الحكومة البولندية .

غير أن المجلس لم يبحث فى هل يضم أو لا يضم شيوعيين إلى الحكومة ، فقد

كان أعضاؤه جميعاً يدركون ضرورة الاتفاق مع روسيا ، وأن الاتفاق يتطلب التساهل من بولندة ، وإنما كان موضوع البحث الوحيد هو هل نقدم لروسيا هذا التساهل الآن ، أو أن نطلب من روسيا كما نصح الاشترا كيون أن تستأنف العلاقات السياسية قبل أن نقدم تساهلا جديداً .

وكان رأى بعض الأعضاء أن التساهل مع روسيا خليق أن يدفعها إلى تقديم مطالب جديدة، وقالوا إن شروط الروس لاستئناف العلاقات كان فى البداية أن تقبل بولندة خط كيرزون كحد نهائى بين بولندة وروسيا ، وكان مؤدّى هذا النزول عن نصف أرضنا تقريباً .

وكانت الحكومة قد خاطرت بضياع ثقة الأمة بها وتأييدها لها ، وقبلت أن تبحث فى هذا التقسيم ، ولكن الحكومة الروسية قدمت حينئذ طلباً جديداً : فقد أعربت عن استعدادها للمباحثات ، ولكن مع حكومة بولندية «صديقة» لروسيا، واتهمت الحكومة البولندية الحالية والجيش الداخلى بأنهما « جامدان » ، وأنهما يتعاونان مع الألمان .

ولما صرح ميكولايجك بأنه مستعد لإقصاء أى شخص غير صديق لروسيا ، واجهه الروس فجأة بأمر واقع، إذ أقاموا فى موسكو « لجنة التحرير القومية » الشيوعية التى انتقلت فما بعد إلى لوبلين والتى اتخذوا منها حكومة لبولندة . والآن تطلب روسيا إدخال ممثلين لهذه اللجنة فى الحكومة البولندية تمهيداً لتجديد العلاقات السياسية .

وأخيراً اتخذ مجلس الاتحاد القومى قراره الخطير بالإجماع : أن يؤيد رئيس الوزارة فى إجابة هذا الطلب الأخير ، فإن التعجيل بإجابة مطالب روسيا قد ينقذ معظم العاصمة وأرواح المدافعين عنها .

ولكن الحوادث لم تحقق هذا الأمل . فقد قوبل ما عرضه رئيس الوزارة بمطالب جديدة ، مؤداها أن يعيد تأليف وزارته ، وأن يعين فيها واحداً من كل حزب من الأحزاب البولندية الكبرى ، وأن تكون الوزارات الأربع عشرة الباقية لأعضاء لجنة لوبلين المؤلفة من دمى فى أيدى السوفيت .

٥ سبتمبر : لم أكف قط عن طلب ذخائر وأسلحة من طريق الجو ، ولكنى أصبحت لا أعتقد أنها ستجيء . وكانت المدافع والغارات قد دمرت مصانعنا . ولم يبق بعد ٢ سبتمبر عندنا خبز ، وكان كل ما بقى من الذخائر ١٢ طلقة لكل جندى ، غير أن القنابل اليدوية المصنوعة من المفرقعات التى استولينا عليها كانت أكثر قليلا .

وفى ٤ سبتمبر دمر مصنع الكهرباء تدميراً تاماً، فانقطع اتصالنا اللاسلكى بالعالم

وتعطلت مصانع الذخيرة. وقد وجدنا بعض الآلات التي تدار بالبترول واستخدمناها في إدارة المحركات ، وبعد أيام أوجدنا تياراً كافياً لإدارة أجهزة اللاسلكي ، وواصلت المصانع إنتاج قليل من القنابل اليدوية .

وبلغت محنة الشعب أقصى حدود الطاقة فقد كانوا يعيشون منذ خمسة أسابيع ويموتون في سراديب رطبة ، وأصبحوا هَزْلَى ، متهضّمي الوجوه ، محمرّي العيون ، وكادت أعصابهم تتحطم من الظمأ والجوع والمتاعب والضوضاء المتزايدة والخطر الدائم .

وكانت حالة الجنود النفسية لا تزال حسنة ، وكنت بهم فخوراً ، بل أعظم فخراً مما كنت في أيام الانتصار والحماسة ، فقد ثبتوا على الرغم من الجوع والظمأ والجراح وقلة النوم ، وكنت أرى آيات التعب على وجه كل جندي ، ولكني كنت أتبين أيضاً عزماً لا يهي ، وكانت ندرة الذخيرة ونفاد الطعام ، والهبوط في الحالة المعنوية بين الأهالي ، كان هذا هو الذي لم يسمح لي بأي وهم فيما يتعلق باقتراب النهاية المحتومة .

ولكن خاطراً واحداً كان يجدد عزمي كل يوم على المضي في القتال ، ذلك أن استئناف الهجوم السوفيتي على جبهة وارسو قد يحدث في أية ساعة ، إذ لا مفر من زحف السوفيت . وقد يبدأ غداً .

٥ سبتمبر : في الصباح الباكر قام الألمان بهجوم مركز بالمدفعية والطائرات على بويسله ، وهو مركزنا بين قلب وارسو ونهر الفستولا . فكان من الجلي أنهم ينوون أن يخترقوا خطوطنا إلى النهر .

واستمر الضرب يومين ، وفي فجر ٧ سبتمبر جمع الألمان البولنديات اللواتي أخذن من ستاري مياستو وساقوهن إلى بويسله ، فلم يطلق جنودنا النار حين رأوهن مدفوعات نحوهم ، ثم أفاقوا وحاولوا أن يرمُوا الألمان المختبئين وراءهن ، ولكن الفرصة أفلتت ، فقد ارتمى النسوة على المتاريس وهجم الألمان من فوقهن ، واقتحموا .

ولما جاء الليل نجح جنودنا في وقف الألمان ، وقد فقدنا بويسله ، ولكن بقي في أيدينا قلب المدينة ، ووقف زحف العدو .

وفي ١٠ سبتمبر سمعت الأصوات التي ظللت أنتظرها ٤١ يوماً ، فقد تأدى إلينا من وراء الفستولا رعد المدفعية الروسية القوية ، وفي الوقت نفسه ظهرت الطائرات الروسية فوق المدينة ، فحلت بشائر الأمل في الوجوه محل الوجوم .

وجاءت اللحظة التي قد ترى فيها قيادة الجيش الأحمر من الملائم الاتصال بنا للتعاون الحربي فيما بيننا ، وقد بعثت برسالة بهذا المعنى إلى المارشال روكوسوفسكي عن

طريق لندن ، وأمرت الكولونل مونتر أن يعد فصائل لعبور الفستولا متى وصل الروس إلى الضفة الأخرى للاتصال بالقيادة الروسية.

على أنى كنت أشعر بقلق شديد ، فقد كان الألمان يشددون وطأتهم بالدبابات والمشاة على مراكزنا الباقية على الشاطىء الغربى . وكنت أعرف أن جنودنا المنهوكين تناهى بهم سوء الحال من جراء الجوع والظمأ وقلة الذخائر . وكان طلب الذخيرة يجىء منهم جميعاً ، فكان لا يخفى على أن مقاومتنا قد تنهار ساعة تصبح غايتنا قريبة المنال . وكان ينبغى أن نحتفظ بمدافعنا مهما كان الثمن إلى أن يستولى الروس على براجا .

وبعثت برسالة استغاثة أخرى إلى لندن ، وألححت فى طلب الأسلحة والذخائر وقلت: « ليس عندنا خبز منذ ١٢ يوماً » فجاء الرد بأن الروس وافقوا على السماح للأمريكيين بأن يستخدموا المطارات الروسية ، وأن نحو مئة قلعة طائرة ستقوم بعمل واسع النطاق فى خلال أيام قليلة ، فرجوت أن لا تجىء هذه المعونة بعد الأوان .

وكان كل شىء يدل على أن الهجوم الروسى يتقدم تقدماً حسناً ، ففى مساء ٢٢ سبتمبر احتلّ الروس الطرف الجنوبى من براجا ، وبدأت المدفعية الروسية تضرب مواقع الألمان فى وارسو على جانبنا من النهر .

وفى ١٣ سبتمبر حوّمت طائرات روسية وألقت إلينا أوراقاً جاء فيها أنها ستلقى مؤونة على سبيل التجربة ، وطلبت أن نعين المواضع بأنوار على هيئة نجوم . فلما كان الغسق كان رجال الإشارة منا فى مراكزهم ، فتلقينا أول مدد من الروس : غرارات من المواد المحفوظة الأمريكيــة ورصاص . ولما كان معظمها قد ألقى بغير مظلات ، فقد تحطمت عند اصطدامها بالأرض .

وفى نفس الليــلة ألقت طائرة ألمانية غرارات من البسكويت بين المواد التى ألقاها الروس ، فحدثت عدة حالات تسمم وبيلة بالزرنيخ قبل أن تفطن وحدات التموين عندنا إلى أن البسكويت مسموم . ومن الجلى أن الألمان أرادوا أن يعتقد الناس أن الروس ألقوا طعاماً مسموماً .

وظلت الطائرات الروسية بعد ذلك تلقى كل ليلة مؤناً . وفى ١٥ سبتمبر تلقينا من الروس مدفعين رشاشين ثقيلين ، و ١٥ مدفعاً من مدافع توبى ، و ١١ أداة لقذف القنابل اليدوية ، و ٥٠٠ قنبلة يدوية وعدداً من الغرارات ملآى بالشعير ، ولكن الأسلحة ألقيت بغير مظلات فتحطمت ، حتى طلقات الرصاص التوت ، على أن الرصاص كان روسياً لا يصلح لبنادقنا .

وكانت أساليب السوفيت الجوية تختلف

اختلافاً كبيراً عن أساليب حلفائنا الغربيين، فإن الطائرات البريطانيـة كان لا يستغرق عمل إحداها أكثر من ١٢ دقيقة ، أما عمل الطائرات الروسية فكان يستمر طول الليل، وكانت تتولاه طائرات صغيرة . وكان إبقاء مواقعنا مضاءة طول الليل يعرضنا لنار العـدو ، ولهذا كانت الخسارة بين نساء وحدة الإشارات عظيمة جداً .

ومع أن هذه العيوب قللت من قيمة المدد الروسى ، إلا أن ورود المدد دلّ على تعاون الروس ، فكان لهـذا أثره البالغ فى الحالة النفسية ، فقويت قلوب الجنود والمدنيين لإيقانهم أن الروس سيجيئون فى أية ساعة .

وفى ١٤ سبتمبر كان الروس قد احتلوا معظم براجا ، وكان الألمان ينسفون فى مشارفها الشمالية المصنع والثكنات .

وفى الساعة الثامنة مساء التقطت أجهزتنا نداء مذاعاً من موسكو بواسطة لجنـة لوبلين : « إلى وارسو المجاهدة : دنت ساعة التحرير ... والنجدة آتية . واصلوا القتال ! ومهما تكن بواعث الذين بدأوا الثورة قبل الأوان وبغير الاتفاق مع القيادة العليا للجيش الأحمر ، فإنا معكم بكل قلوبنا ، فواصلوا القتال ! »

وانتهت معركة براجا التى دامت ثلاثة أيام فى ١٥ سبتمبر، حين احتل الروس الشاطىء الشرقى لنهر الفستولا ، وكان هناك جفاف، وكان ماء النهر منخفضاً، حتى أنه فى بعض المواضع ما كان عرضه يتجاوز ٢٥٠ ياردة ، فصار لا يفصل الجيش الأحمر عنا سوى النهر الذى ضاق وضحل، ولكننا بقينا على غير اتصال به.

وكان مونتر قد أرسـل ثلاث دوريات منفصلة تنفيـذاً لتعليماتى ، عبرت النهر لتتصل بمقر القيادة السوفيتية ، فأما الأولى فعجزت عن الوصول وعادت ، وفى يومى ١٤ و ١٥ عبرت الدوريتان الأخريان النهر ومعهما تقارير وافية عن مراكزنا ، وعن مواقع العدو ، ومواضع المدفعية وغير ذلك.

وفى الساعة الأولى من صباح ١٦ سبتمبر هبط ضابطان روسيان بالمظلة فسقط أحدهما على حاجز حديدى فمات، وقال الضابط الآخر للكولونل مونتر إنهما جاءا من قبل المارشال روكوسوفسكى ليتصلا بنا ، وإن تعليماته لا تسمح له بإعطاء بيانات ، وإن عليه أن يصف الحالة لقائده ، ولكنه الآن فقد كل وسيلة تعين على ذلك ، لأن زميله كان عامل اللاسلكى، وقد أصيب الجهاز بتلف جسيم .

وقد أصلحنا له جهازه ، وأعرناه إحدى العاملات فى سلاح الإشارة ، فأرسلت له تقاريره بشفرته هو ، فنحن لا نعلم محتوياتها.

وكان كل امرىء فى وارسو يستيقظ كل صباح متوقعاً أن يكون يومه هذا

هو يوم تحرير المدينة . وكنت فى أثناء ذلك أعوّل على المعونة الأمريكية الكبيرة التى وعدت بها لندن للحصول على المواد الطبية والذخائر والطعام لتخفيف الأزمة فى موقفنا.

وفى نهاية البرنامج البولندى الذى أذاعته لندن فى الساعة ٩ من مساء ١٧ سبتمبر عزفت الموسيقى لحناً معناه أن الطائرات ستقوم برحلة إلينا الليلة ، وتلقينا أيضاً رسالة من لندن تقول إن الطائرات ستصل إلى وارسو بين ١١ صباحاً والظهر يوم ١٨ سبتمبر .

وكان اليوم شامساً دافئاً والسماء صافية ، وكان أهل وارسو لا يدرون أن الطائرات الأمريكية مقبلة ، فلما سمعت صيحة الفرح من المدينة علمت أن الطائرات قد ظهرت .

وغصت السماء كلها بطائرات مقبلة من الغرب على ارتفاع عظيم ، وكانت تسير فى نظام تام ، وخلفها خط طويل من نقط بيض هى المظلات التى تحمل المؤن ، فصارت وارسو تهذى من فرط الحماسة ، وتدفقت الجماهير من السراديب ، وامتلأت الأفنية ، وتغطت الجدران والأنقاض بالهاتفين .

ولكنى أحسست بأنى مشفٍ على اليأس ، لأن معظم الأكياس سقطت بعيداً من خطوطنا فى مواضع كانت فى أيدينا قبل أسبوع فقط ، فكفت الجماهير الحاشدة عن الهتاف ، وارتد الناس واجمين إلى السراديب.

وكنا لم نتلق بعد شيئاً من الدوريتين اللتين عبرتا النهر فى ١٤ و ١٥ سبتمبر ، فأرسلت دورية أخرى لتتصل بالتلفون مع القيادة الروسية ، وكانت أسلاك التلفون ممتدة تحت النهر إلى براجا . وقلت فى رسالتى إن عمال التلفون عندى سيلازمون أجهزتهم بعد الساعة الثامنة مساء ١٨ سبتمبر .

وأردت أن أثبت للسوفيت حسن نيتى نحوهم ، فقررت أن أخطو خطوة أخرى . وكانت محطات الراديو السوفيتية والمحطات التى يسيطرون عليها لا تزال تتهمنى بأنى مجرم حرب ، وتعلن أنى سأحاكم على القيام بثورة وارسو ، ولكنى على الرغم من أن الجيش الأحمر كان ينتظر أن يدخل وارسو فى أى يوم ، قررت أن أعلن اسمى وأسماء كل القواد الذين يحاربون فى وارسو كدليل على أنى لا أنوى أن أقوم بأى نشاط سرى ضد الروس أو أن أخفى أى شىء عنهم.

ولم تسفر كل هذه الجهود التى بذلتها للاتصال بالقيادة الروسية إلا عن الصمت ، ولم نتلق إشارة على أسلاك تلفون براجا ، أو جواباً عن نداءاتنا المتواصلة بالراديو .

ونقصت المؤن الروسية التى كانت ترد بالجو بسرعة ، بعد مجىء الطائرات الأمريكية يوم ١٨ سبتمبر ، وصار الإعراب علناً فى مقر القيادة عن الشك فى أن الروس

ينوون حقاً أن يعبروا نهر الفستولا ويستولوا على وارسو ، ولكنى لم أوافق على ذلك لأنه يناقض لمصلحة الروس القريبة والبعيدة جميعا .

وفى الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ من يوم ٢٩ سبتمبر رد الراديو السوفيتى على نداءاتنا للمرة الأولى ، وطلب بيانات معينة عن مواقع المدفعية الألمانية ، فأرسلها مونتر على الفور واقترح التعاون بيننا فى الأعمال الحربية .

وصرنا نتبادل الرسائل مراراً كل يوم ، وكانت رسائل الروس قاصرة على المسائل الفنية ، مثل إلقاء المؤن وضرب المدفعية ، أما اقتراحاتنا الخاصة بالتعاون فأهملت جميعاً .

فلما سحق الألمان موقعاً لنا ، لا يبعد إلا ٢٥٠ ياردة عن مواقع الروس ، دون أن يهب هؤلاء إلى عوننا ، قضى على كل أمل لنا فى معونة حقيقية من الروس . والواقع أن كل معونة روسية انقطعت فى ذلك اليوم.

وما زلت إلى اليوم عاجزاً عن فهم الحكمة من تشجيعنا فى البداية وإهمالنا فى النهاية . ولعل هناك أسباباً لم تظهر بعد .

وسكنت حركة الجبهة الروسية وصار السكون لا يقطعه إلا الطلقات المدفعية من حين إلى حين ، وأصبحت مسألة الأقوات مدعاة إلى اليأس . وكان لنا فى قلب المدينة مخزن فيه قمح وشعير نجا بأعجوبة من النار ، فأتيح لكل فرد أن يأخذ حفنة من الحبوب كل يوم ، فلما كان ٢٠ سبتمبر نفد هذا المخزون.

وكانت الخيول كلها قد ذبحت وأكلت قبل ذلك بزمن طويل ، واصطيدت الكلاب والقطط والحمام ، ولم يبق منها إلا القليل . وفى السراديب ارتقى الناس إلى ذروة التعاون فصاروا يتقاسمون آخر الحبوب ، ولكنهم أيضاً انحطوا إلى الحضيض ، فصاروا يطلبون الذهب والجواهر ثمناً للقمة . وكان الأطفال الذين نجوا من الموت يومئذ هم الندرة القليلة.

وقل الماء أيضاً قلة عظيمة ، لأن قاذفى القنابل اليدوية من الألمان كانوا يجدون أهدافاً حسنة فى الرجال والنساء عند الآبار القليلة حيث بقى بعض الماء القذر ، وكان الأطباء يجرون الجراحات بغير بنج ، ولم تكن هناك ضمادات فاستخدموا الورق لوقف النزف ، وفترت نفوس الناس فهم لا يعبأون حتى بصرخات المدفونين تحت الأنقاض ، وضعفوا وزايلتهم القوة اللازمة لرفع الأحجار .

وفى يوم ٢٧ سبتمبر استولى الألمان على ضاحية موكوتوف فعقدت اجتماعاً عاماً لأركان الحرب ، وسردت جهودنى الكثيرة لإيجاد التعاون مع الروس ، فخلصنا إلى أن القائد الروسى لا ينوى عبور النهر فى المستقبل القريب ، وأن موقفنا ميئوس منه . فقررنا أن نبعث برسالة أخيرة إلى المارشال

روكوسوفسكي وعلى رده يتوقف استمرارنا في القتال أو استسلامنا للألمان .

وبعثت بالرسالة في الليلة نفسها ، وأيد العامل الروسي في مقر القيادة الروسية أنه تلقاها . وقد وصفت فيها موقفنا الميئوس منه، وقلت إنه لاسبيل إلى احتمال الجوع والصبر على ضغط الألمان أكثر من ٧٢ ساعة ، فإذا لم تصلنا نجدة أو وعد بنجدة في هذه الفترة فسأكون مضطراً إلى وقف القتال. وعلقنا أملنا بهذه الرسالة ، وانتظرنا الرد .

وفي ٢٨ سبتمبر ركز الألمان نار مدفعيتهم وقذائف طائراتهم المنقضة على زوليبورز ، وظللنا ننتظر رد الروس طول ذلك النهار وتلك الليلة ، فلم يرد شيء ما .

وفي ٢٩ سبتمبر بعثت برسل إلى القائد الألماني، فوضع شروط التسليم وضمن حقوق المحاربين في الأسر لجنودنا ، على أني تلكأت في اتخاذ القرار النهائي آملا أن يجيء الردُّ الروسي .

وفي اليوم التالي اقتنعت على كره مني بأن روكوسوفسكي لن يرسل رداً . وكان موقف المدافعين عن زوليبورز ميئوساً منه، ولما كنت عاجزاً عن نجدتهم فقد أمرتهم بالكف عن القتال . وقد وصل إليهم هـذا الأمر في السادسة مساء . وفي الثامنة كانت وثيقة الاستسلام قد أعدت ووقعت. وللمرة الثانية في هذه الحرب سلمت وارسو لقوة أعظم من قوتها ، وفي بداية الحرب ونهايتها، قاتلت عاصمة بولندة وحدها .

وفي بكرة ٣ أكتوبر ساد المدينة مثل سكون الموت بعد ٦٣ يوماً من قتال مستمر ، وخرج الناس في الفجر جياعا شاحبي الوجوه من سراديبهم، وحمل النساء والأطفال والشيوخ على ظهورهم بقايا أشيائهم، وراحوا يمشون ببطء إلى غاية مجهولة، وكل ما كنا نعرفه أن الألمان كانوا يوجهونهم إلى معتقل في بروزكوف .

وبعد توقيع الوثيقة بعث الجنرال الألماني يدعوني لبحث تفاصيل إضافية للتسليم ، فوافقت على مقابلته ظهر يوم ٤ أكتوبر .

وكان الجنرال صورة حية للرجل البروسي وكان ممتلئاً ثقة بنفسه واحتقاراً لغيره ، ولكنه يستر هذا بالأدب المتكلف . وتكلم بصوت عال ووضوح شديد ، وبدأ بالثناء على شجاعة المدافعين عن وارسو والإعجاب بهم ، وأعرب عن عطفه على مصيرنا ، وقال إنه يدرك المرارة التي يشعر بها البولنديون جميعاً نحو الروس . وقال إنه واثق أن البولنديين لا يخامرهم الآن شك في سوء نيات روسيا ، وأن ألمانيا وبولندة تواجهان الآن عدواً مشتركا، هو الشيوعيون المتوحشون، فينبغي أن تسير الأمتان كتفاً إلى كتف .

وكان ردى موجزاً ، فبينت له أن استسلام وحداتنا فى وارسو لا يغير موقف بولندة حيال ألمانيا التى تحاربها منذ أول سبتمبر ١٩٣٩ . ومهما يكن شعورنا نحو روسيا ، فإن عبارة « العدو المشترك » لا محل لها ، فإن عدو بولندة هو ألمانيا .

فلم يقنط، ووافق على أن الألمان ارتكبوا أغلاطاً فاحشة فى معاملة البولنديين ، على أنه يعتقد أن الوقت يتسع لإصلاحها وللتفاهم والعمل معاً ، إزاء المصلحة مشتركة ، وهى مقاومة السوفيت .

فطلبت فى ردى عليه أن يحصر الكلام فيما جئت له ، أى فى شروط إجلاء المدنيين . فاقترح أن أنزل فى فيلا أعدها لى ، وقال إن الراحة والفراغ خليقان أن يمكنانى من الإشراف معه على إجلاء المدنيين عن المدينة .

فلما رفضت هذا تقدم باقتراح أخير : أن تسرى الهدنة التى وقعتها عن وارسو على جميع وحداتنا التى تعمل فى ذلك الجزء من بولندة الذى تحتله ألمانيا ، لمنع إهراق الدماء عبثاً . فرفضت مرة أخرى وقلت : إننا أدّينا كل واجباتنا كأمة محالفة خمس سنوات ، فلسنا مستعدّين للتخلى عنها فى ليلة النصر .

فقال : « ولكن ياجنرال ، أراك متأثراً بهزيمة أو هزيمتين أصابتا ألمانيا . إن انتصار ألمانيا محقق لا شك فيه ، وستذكر كلماتى هذه فيما بعد ، وسيكون النصر الأخير لنا فى هذه الحرب » . ويظهر أنه كان مقتنعاً بأن عند ألمانيا عدة أسلحة سرية تصنع الآن ، وأنها ستغير مجرى الأمور تغييراً جوهرياً .

فقلت إن رأيى مختلف جداً ، وانتهى حديثنا .

كانت الساعات الأخيرة أقساها علينا جميعاً ، فما كان من الهين أن نغادر آخر رقعة من المدينة التى عشنا فيها ٦٣ يوماً ، رجالا ونساء أحراراً ، والتى رقد تحت أنقاضها كثيرون من زملائنا .

وأذاع جهازنا اللاسلكى رسالته للمرة الأخيرة، فقال المذيع بصوت متهدّج: « لقد لبثنا شهرين أحراراً ، واليوم نعود مرة أخرى إلى الأسر، ولكن الحق أن الألمان لا يستطيعون أن يستولوا على وارسو مرة أخرى . فإن وارسو لم تعد موجودة » .

واقتربت الساعة المعينة ، فشرعت أغنى النشيد الوطنى البولندى ، فرفع الجنود والمدنيون أصواتهم بالغناء معى ، فأنشدناه إلى آخره . ثم سرنا واحداً وراء الآخر وسط الخرائب نحو مواقع الحرس الألمانى .



موتورات « رانسومس » الكهربائية ، يمكن الاعتماد عليها لأنها — ككل منتجات شركة « رانسومس » — آلات من الطراز الأول . فملفاتها ملفوفة آلياً ، وأجزاء الإنتاج والأجزاء الدوّارة فيها ، متوازنة توازناً ديناميكياً ، والملفات تم عزلها بطريقة التفريغ من الهواء .

ومن يشتريها ، يثق بأنه اشترى آلة تعطيه نتائج مرضية ، فى أشق الظروف وأصعبها .

وتقدم الشركة موتورات ذات التيار المتغير (من نوع المحركات التأثيرية) مختلفة القوى حتى قوة ٥٠ حصاناً ، وماكينات ذات التيار المستمر ، حتى قوة ٦٠ حصاناً تقريباً . وتقدم الشركة أيضاً مجموعة من الموتورات الصغيرة من الصنف الأول تتفاوت قوتها من حصان واحد إلى خمسة أحصنة .

موتورات ومولدات

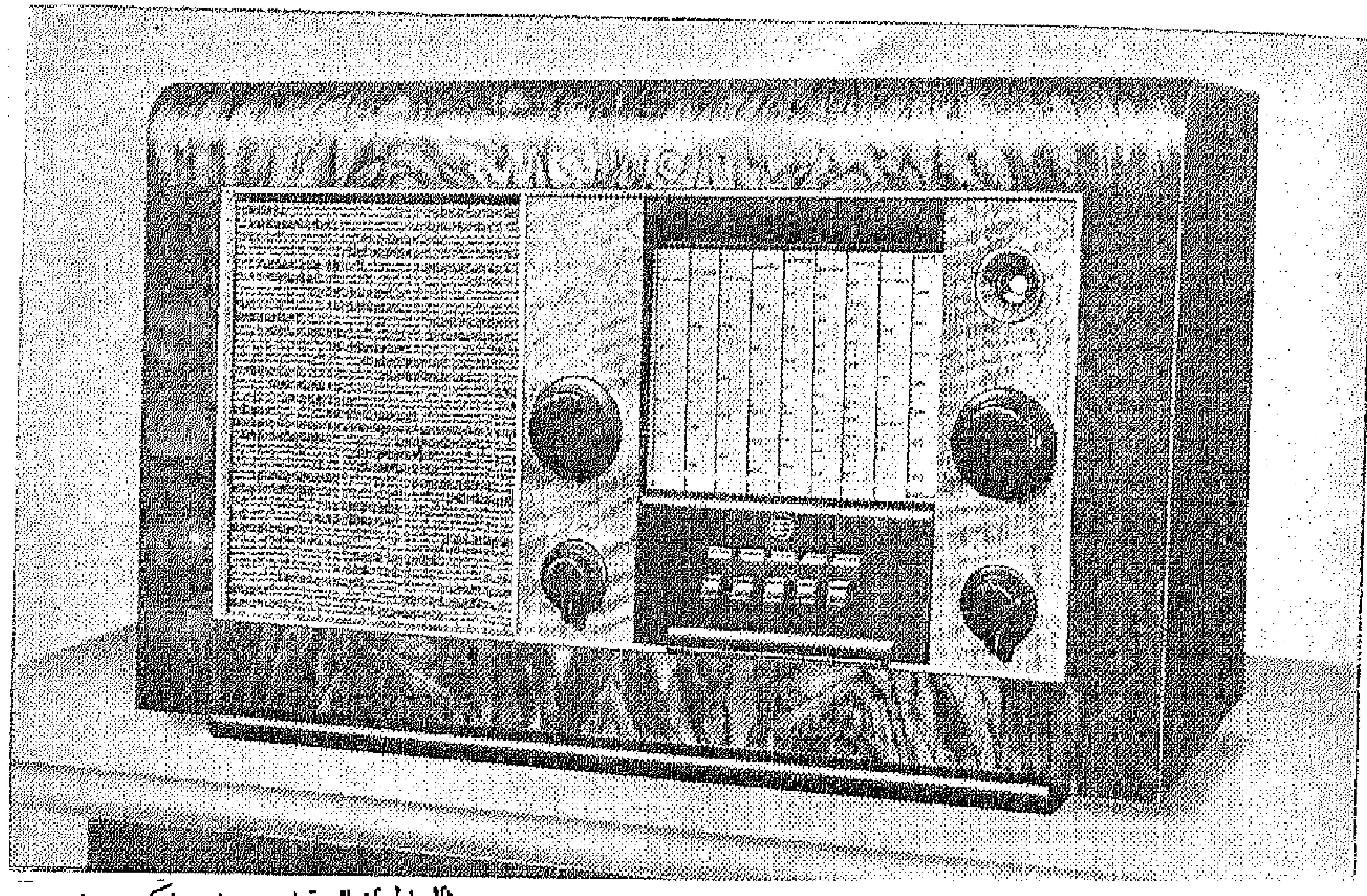
Ransomes

تطلب النشرات المحتوية على وصف هذه الآلات وصورها ، والنشرات المحتوية على تفاصيل العربات الكهربائية حمولة ١ ، ٢ طن » من ...

RANSOMES, SIMS & JEFFERIES, LTD. IPSWICH, ENGLAND.

أو

الوكلاء الوحيدين بالقطر المصرى ، **أنجال قلاده أنطون** ، بمصر واسكندرية



مثال الجهاز المستقبل من راديو إكو موديل 24 م

راديو إكو ولمباته

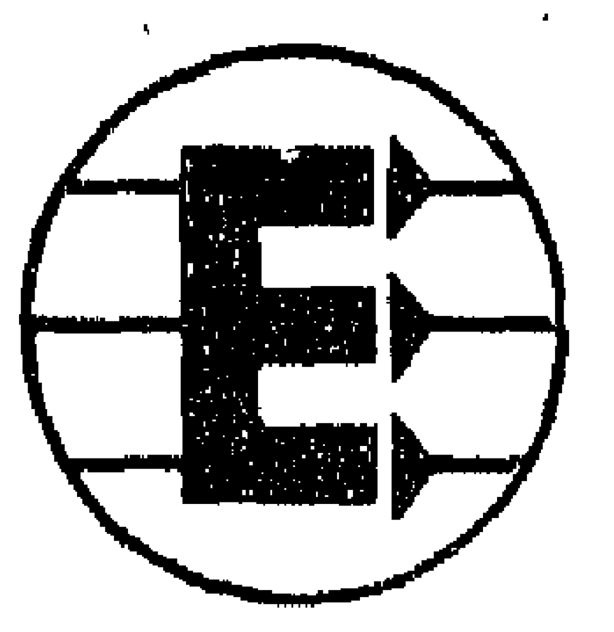
بدأت تصل الآن

بدأت السفن تفرغ الرسائل الأولى من أجهزة راديو « إكو » الجديدة — الأجهزة المستقبلة ، المصنوعة فى بريطانيا ، والمشهورة فى جميع أرجاء العالم .

وقد صُنِع راديو « إكو » ، خاصة ، لالتقاط البرامج العالمية المذاعة من جميع أقطار الأرض .

وإن خبرة « إكو » ، خلال الحرب فى شئون الراديو والرادار ، قد أسفرت عن أجهزة استقبال ، تفوق كل ما سبقها فى صدق الاعتماد عليها ، وحسن أدائها .

فحين تشترى الراديو الجديد الذى تريده ، أحرص على أن يكون من طراز « إكو » .

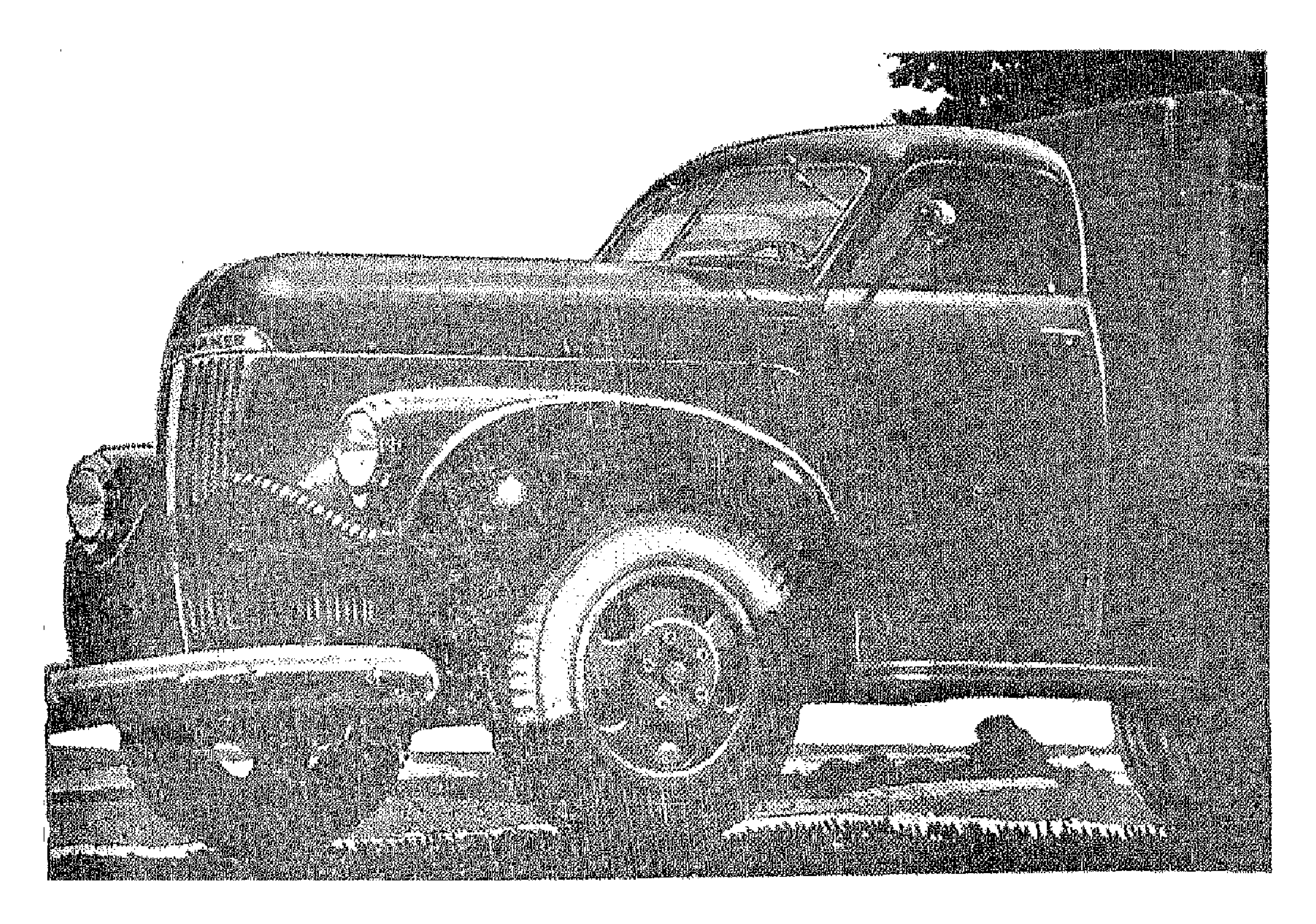


هذا رمز المنتجات الممتازة التى تصنعها شركة إ. ك. كول ليمتد..

E. K COLE LTD. WORKS, SOUTHEND - ON - SEA.



هذا الإطار على عجلة سيّارتك ...
دليل على صدق نظرك وحسن اختيارك
"چنرال تير"
شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت
أكرون . أوهايو . الولايات المتحدة
تلغرافيا : چنتيروكو اوكرونوهايو .
مصانع فى الولايات المتحدة ، وكندا
ومكسيكو ، وڤنزويلا ، وشيلى
والبرتغال
يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء
The GENERAL TIRE
© The General Tire & Rubber Co.
AKRON, OHIO



مركبات النقل الضخمة "ستوديبيكر" تتفوق في العمل النافع الطويل المدى

العالم بأسره قد علم منذ سنين طويلة أن ليس فى مضمار النقل ما يعادل امتياز « ستوديبيكر » .

إن علامة « ستوديبيكر » أكثر من رمز للتفوق . إنها تدلك على مركبة النقل التى تستطيع الاعتماد عليها ، مركبة النقل التى تقطع المسافات ميلا بعد ميل ، وسنة بعد سنة ، تؤدى أقصى خدمة بأقل نفقه .

وإن الظروف الحاضرة لا تساعد مؤسسة « ستوديبيكر » على تحديد مواعيد ثابتة لتسليم الطلبات التى تنهال عليها يوما بعد يوم من جميع أنحاء العالم . بيد أن القائمة التى تشمل أسماء المنتظرين زاخرة بأسماء شهيرة — هى فى الواقع أكبر مفخرة حصل عليها مصنع لمركبات النقل .

وهذه الأسماء ، بما تمثل من مصالح تجارية عظيمة ، لهى أبلغ دليل على شهرة « ستوديبيكر » . وإزاء ذلك يبذل « ستوديبيكر » كل وسع لتعجيل الإنتاج وتسليم الطلبات بأسرع وقت . ولا شك أن عملاء « ستوديبيكر » الكرام فى جميع أرجاء العالم ، الذين مضى عليهم وقت طويل فى الانتظار سيجدون أن سيارات « ستوديبيكر » ومركبات النقل « ستوديبيكر » هى حقاً خير جزاء لانتظارهم .

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل



أدوات السكك الحديدية

معظم القطر الحديدية اليوم تسير على قضبان وأدوات حديدية من صنع شركة « بثلهم ستيل » وهى محمولة على عجلات ومحاور من صنع شركة « بثلهم ستيل » — وتجرها قاطرات تستعمل ألواحاً لمراجلها ومواقدها من إنتاج شركة « بثلهم ستيل » .

وتضع شركة « بثلهم ستيل » مبدأ السلامة فى الدرجة الأولى عند تصميم هـذه المنتجات وصنعها وتفحص كل خطوة فى صنع الفولاذ فحصاً دقيقاً حتى تصبح الأدوات جاهزة فتتوفر فيها شروط السلامة هذا هو أحد الأسباب التى جعلت أرباب السكك الحديدية يعتمدون على منتجات شركة « بثلهم ستيل » التى تعد من أعظم شركة الفولاذ فى العالم .

Bethlehem Steel Export Corporation

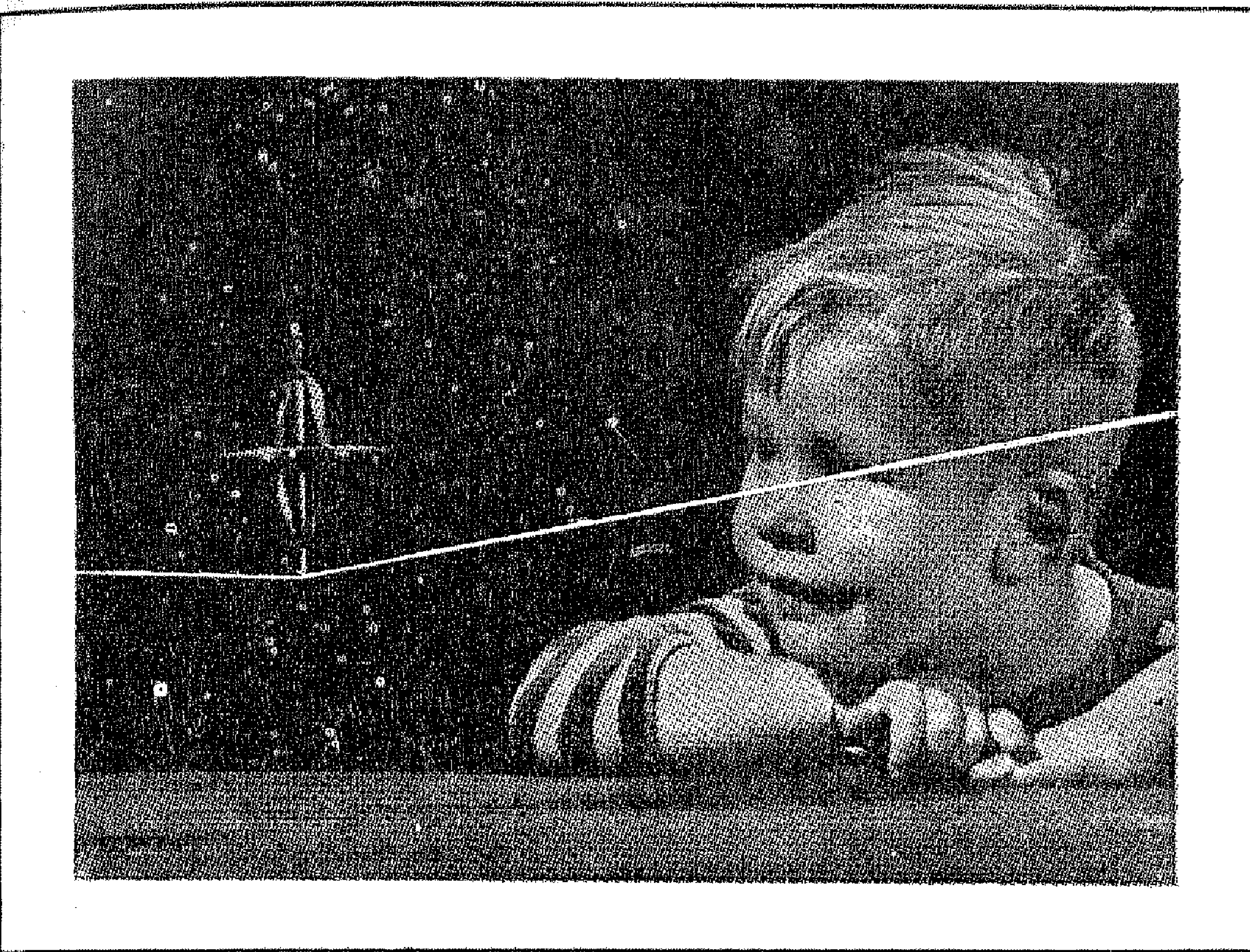
25 Broadway, New York, U.S.A.

الوكلاء فى القطر المصرى : **شركة الدلتا التجارية ش . م . م .**

فى العراق : **ستانلى شعشوعة** — فى فلسطين : **رافائيل ملتز**

فى سوريا ولبنان : **مشيل صحناوى وولده .**

أعين ترى عوالم جديدة

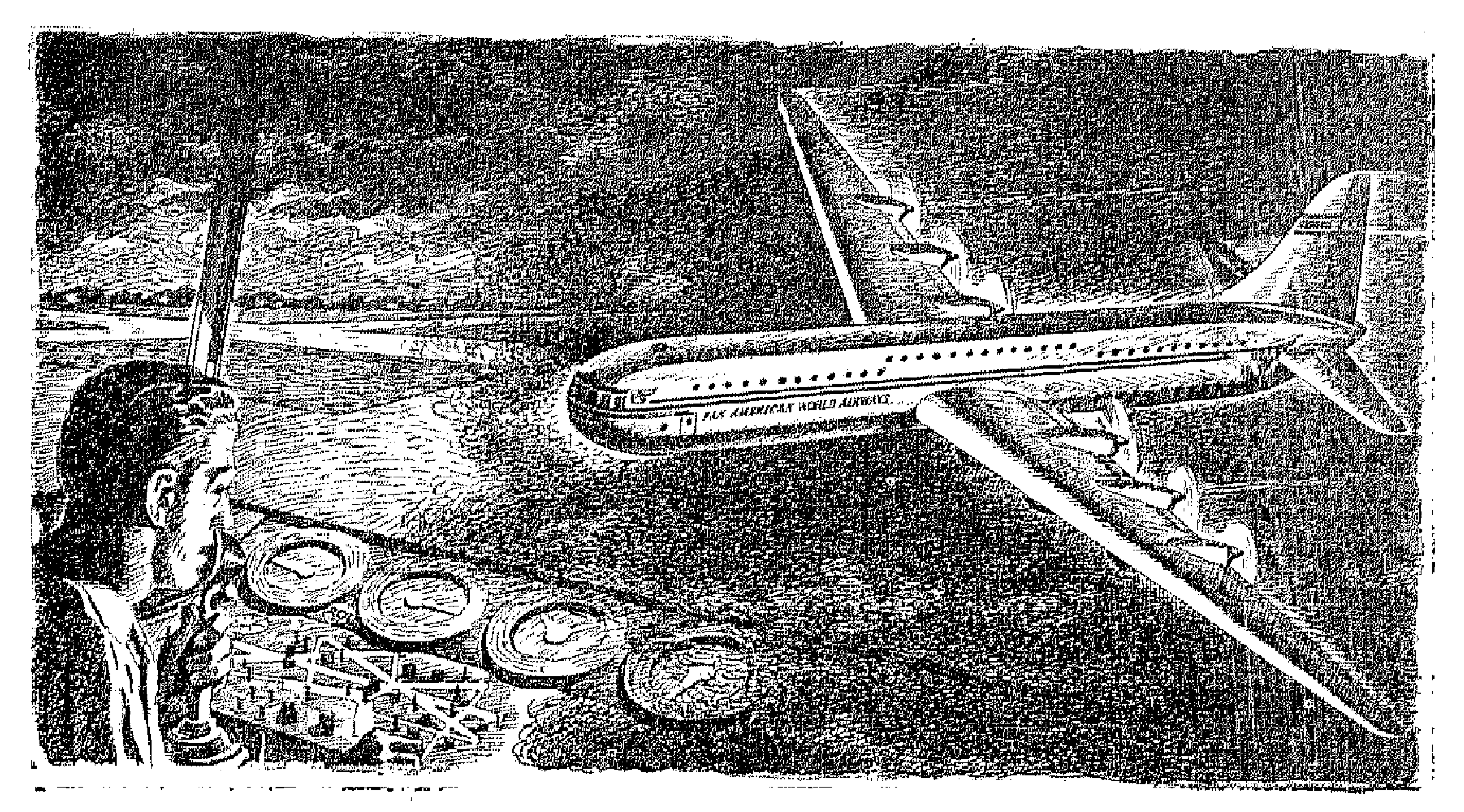


الخيال ... القدرة على ابتكار فكرة والقدرة على تنفيذها عملياً . هذه أشياء تهم « أوتو - ليت » . إن اسم « أوتو - ليت » على شمعة احتراق ، أو بطارية أو جهاز قيام أو توليد ، أو أية قطعة أخرى من القطع الكهربائية للسيارات ، هو الاسم الذى احتشد وراءه مهندسون مهرة تمكنوا بفضل الأبحاث التى لا تنقطع من أن يهيئوا للسيارات أعلى درجات الكفاية.

ولهذا يعدّ صانعو السيارات وأصحاب السيارات على حد سواء ، اسم « أوتو - ليت » رمزاً للزعامة والضمان فى جميع الأجهزة الكهربائية للسيارات .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
(Export Division) Chrysler Bldg, New York 17, N.Y., U.S.A.

AUTO-LITE أجهزة للقيام والاضاءة والاشعال



الطيران والراديو يتحدان لمجابهة احتمالات المستقبل

الطيران واللاسلكى اتحدا اليوم ليهيئا للأمم صداقة أوثق وتفاهماً أكبر ... وزيادة فى التعامل والتجارة من شأنها أن ترفع مستوى العيش والتعليم لجميع الناس .

وفى عهد الطيران غداً سيتسنى للشعوب أن تسافر جواً بأمان وراحة على متن طائرات جبارة. وستكون السماء طريقاً حراً لتوزيع منتجات العالم على جميع شعوب الأرض . وإن تقدم الطيران الفنى والصناعى فى خلال السنين الأخيرة من شأنه أن يسفر عن إنتاج طائرات أضخم وأسرع للمستقبل .

واللاسلكى يساير نهضة الطيران المدهشة فتراه يشترك مع الهيئات التى تدير المطارات ، وخطوط الطيران ، عاملا على تهيئة شتى الوسائل التى لا غنى عنها فى المخاطبات والملاحة ... بالراديو .

RCA تساعد الأمم على أن تتبوأ المكانة الجديرة بها فى عهد الطيران المقبل

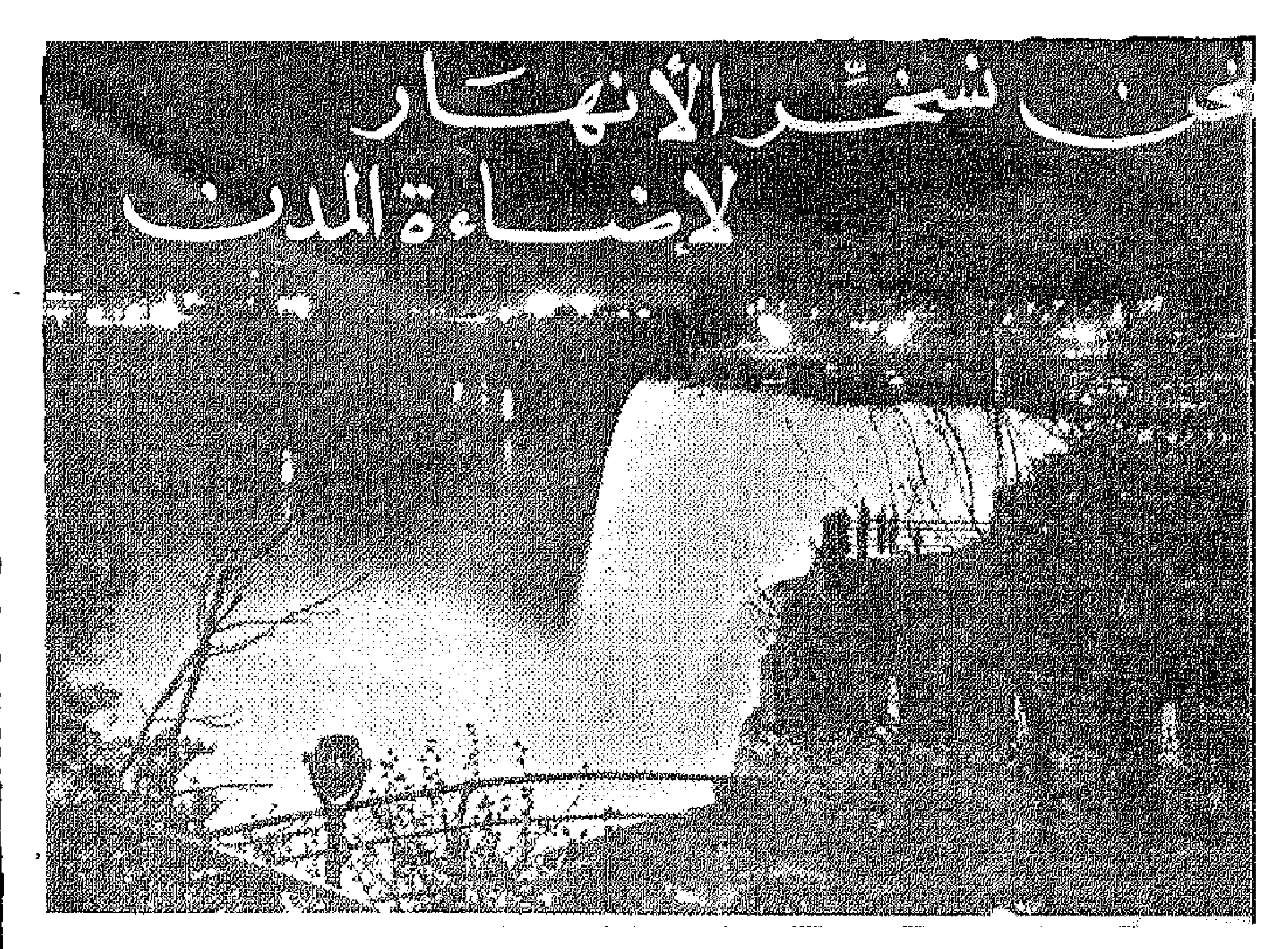
RCA تصمم وتنتج جميع معدات الراديو الخاصة بالمطارات على الأرض وبالطائرات فى الجو واللازمة لبرامج الملاحة الجوية محلية كانت أم وطنية أم دولية وفضلا عن ذلك فإن RCA تقدم خدمات فئة من مهندسيها المتخصصين فى الطيران للاستشارات الخاصة براديو الطيران . وهذه الخدمات تشمل جميع أطوار راديو الطيران : من تزويد طائرة واحدة بما يلزمها من معدات الراديو إلى إنشاء مجموعة التصميمات اللاسلكية لمطار بأكمله .

RCA INTERNATIONAL DIVISION



RADIO CORPORATION of AMERICA

745 FIFTH AVE., NEW YORK, N.Y., U.S.A.



أكثر من ١٦٠٠ من المنتجات للصناعة



معدات كهربائية



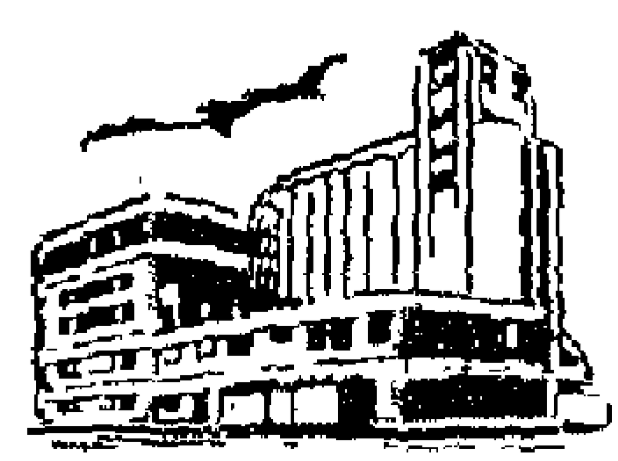
توربينات مائية وبخارية



آلات للأسمنت والتعدين



مضخات



آلات لطحن الدقيق

إن الماء أغزر موارد الطبيعة في العالم. وإذا أحسن ضبطه واستغلاله كان ذا شأن عظيم فى إنتاج ملايين من وحدات القوة فى شكل تيار كهربائى زهيد الثمن ... ويتيح إضاءة المدن، وتسيير المصانع، وإنتاج آلاف من المنتجات المختلفة التى تتيح للناس حياة أرغد!

وإن مؤسسة أليس شالمرز لا تقتصر اليوم على صنع التربينات المائية الهائلة التى تملك زمام القوى المائية، بل تصنع أيضاً المولدات التى تحولها إلى كهرباء ... كما تصنع المحولات والمحركات التى تنقل القوة الكهربائية إلى الآلات، وإلى وسائل النقل، وإلى البيوت.

ونحن فى الواقع ننتج المعدات لكل صناعة أساسية. مثل آلات التحطيم والمطاحن لمصانع الأسمنت — والآلات الرافعة للمناجم — والمضخات للرى ومراقبة الماء — أكبر مجموعة من معدات الصناعة الرئيسية فى العالم! فاحرص على أن تستخدم هذه الآلات تظفر بمنتجات أجود نوعا وأقل سعراً!



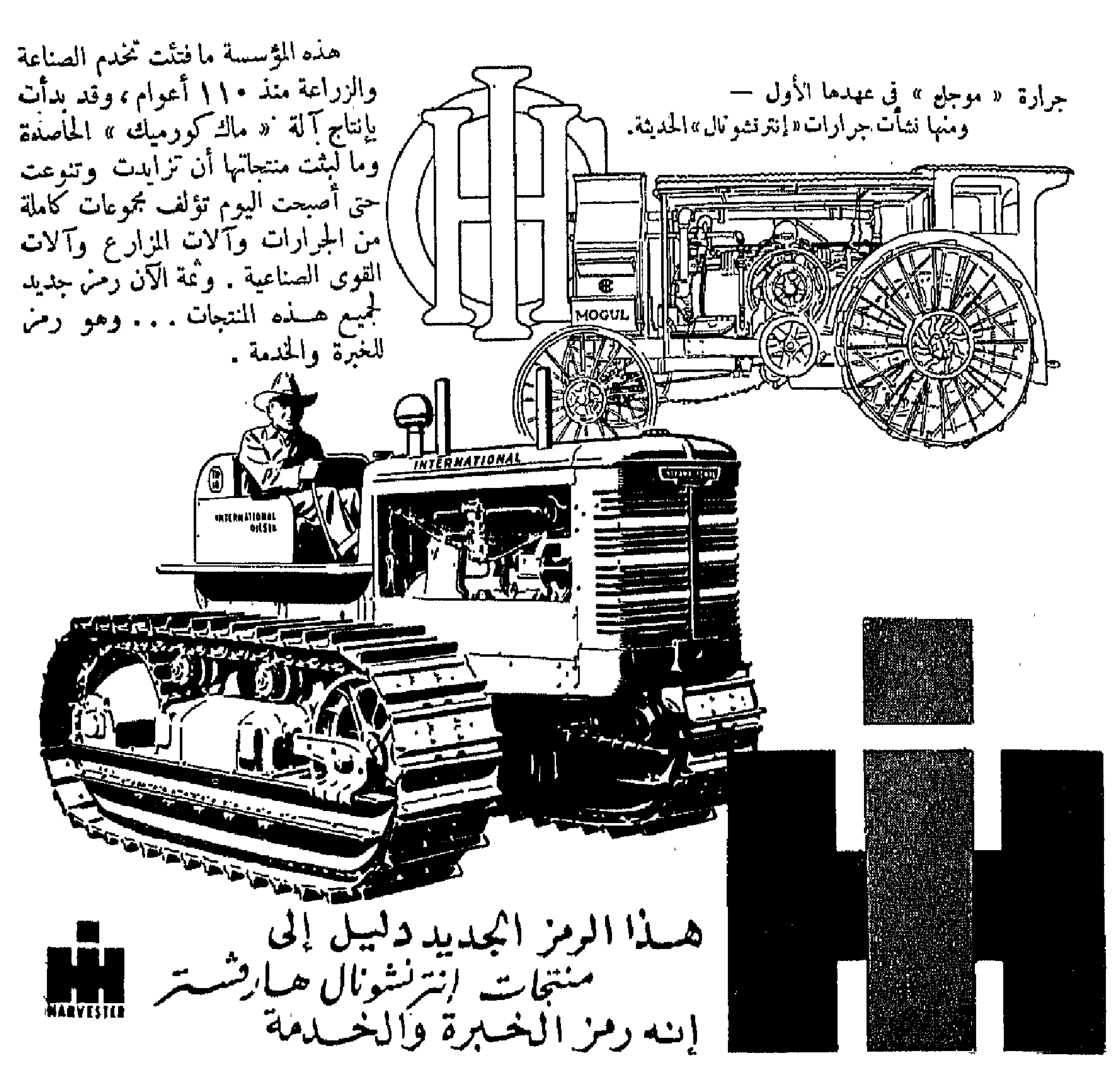
MILWAUKEE 1, WISCONSIN U.S.A.

الوكلاء فى الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش. م. م، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية . ٣١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد ٩/٢٨٢ شارع المستنصر ببغداد — ١٠/١٢٤ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إيسترن كوربوريشن، جده — إيران وأفغانستان : أمريكان إيسترن ليمتد، عمارة مبصر ناصية شارعى شهريزا وروزفلت، طهران. وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » فى مختلف البلاد القريبة والبعيدة.


فايرستون
Firestone


BANK
جارجويل
اف
خفيف الثقل
CR 4954
وفر نقودك
باستعمال زيوت موبيلويل



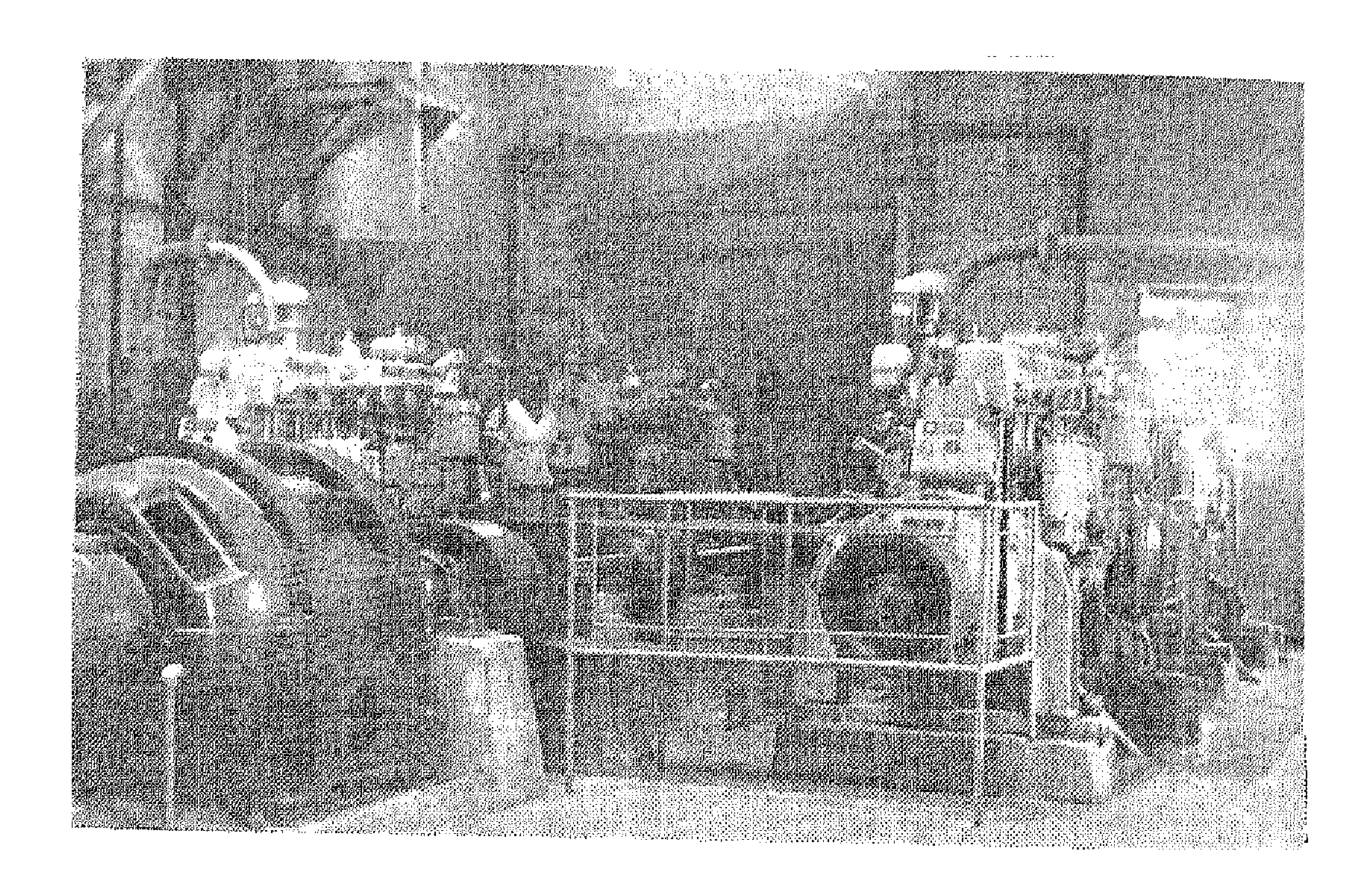
مرت سنون عديدة منذ أن اتخذ رمز «IHC» دليلا على كل آلة تنتجها شركة « إنترنشونال هارفستر » . ومنذ ذلك الوقت اتسع إنتاج شركة « إنترنشونال هارفستر » وأصبح يشمل مجموعات كاملة من جرارات « إنترنشونال » وآلات القوى الصناعية « إنترنشونال » وجرارات « ماك كورميك ديرنج » ومعدات المزارع « انترنشونال.... » . وهذه الآلات تخدم الصناعة والزراعة في جميع نواحيها .

وإن ما تمتاز به منتجات « إنترنشونال هارفستر » من متانة البناء ، وكمال الأداء ، والاقتصاد ، تبرهن عليه الخدمات الفائقة التي تؤديها لمستعملها في جميع أنحاء العالم . فابحث إذن عن هذا الرمز الجديد حينما تحتاج إلى مثل الآلات التي تنتجها مؤسسة « إنترنشونال هارفستر » إن هذا الرمز عنوان الشهرة المرموقة والتقدير العظيم في العالم أجمع ... كما أنه عنوان على الخدمة الفائقة للصناعة والزراعة .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building Chicago 1, U. S. A.

سيارات النقل إنترنشونال - آلات القوى الصناعية إنترنشونال
جرارات ماك كورميك ديرنج ومعدات الزراعة إنترنشونال

INTERNATIONAL HARVESTER



قوة فعالة لمصنع فى بغداد

فى مصنع شركة استخراج الزيت النباتى ببغداد (العراق) تقوم أربعة محركات كاتربيلر ديزل ، قوة ٦ سلندرات ، بتزويد المصنع بالقوة الكهربائية اللازمة . وكل محرك من هذه المحركات يولد قوة ١١٥ حصاناً وجميعها متصلة بمحور يسيّر مولداً كبيراً .

ولهذا التركيب الخاص مزايا عديدة . فكل محرك من محركات « كاتربيلر » ديزل وحدة قائمة بذاتها ، ومن الممكن نقلها بسهولة . وليس هناك أى ضياع للوقود عند ما يكون المصنع فى حاجة إلى جزء من القوة فقط إذ يتسنى تعطيل واحد أو اثنين أو ثلاثة من هذه المحركات دون أن يتعطل العمل فى المصنع وكذلك الحال فى الإصلاح أو الصيانة .

وفى الحق أن تكاليف الوقود الزهيدة وبساطة العمل ، وصفات الاحتمال ، كلها مزايا تجعل محركات « كاتربيلر » ديزل أكبر مصادر القوة ، وأكثرها اقتصاداً ، لمئات الأغراض المختلفة .

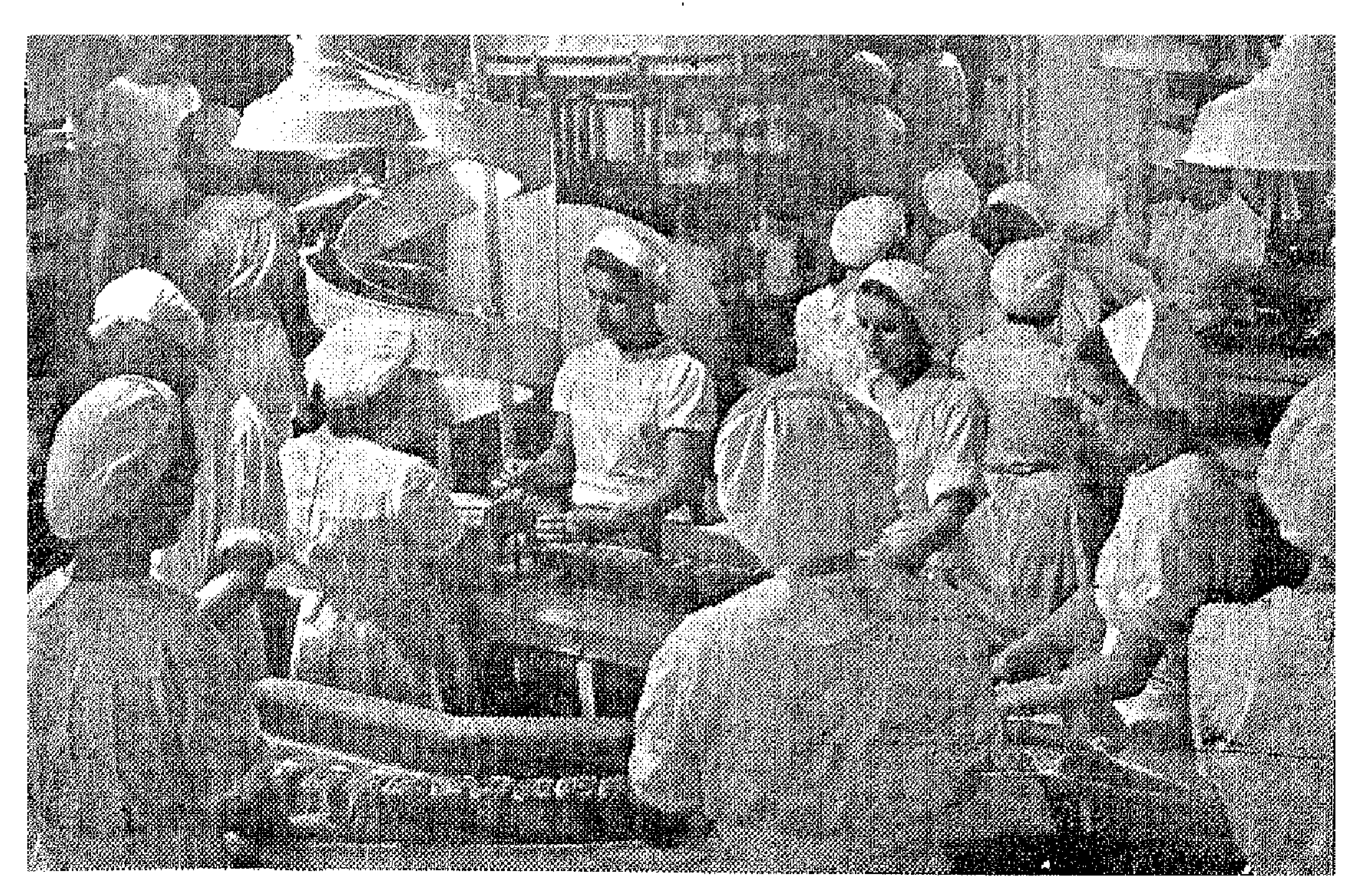
CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات • جرارات • ممهدات الطرق • معدات جرف التراب

غذاء أفضل لعالم أفضل



الآلات في خدمة الإنسان

عهد جديد أخذ يشرق على الإنسانية ... عهد ارتقاء يسيطر فيه الإنسان على القوى الآلية فتتيح له هذه السيطرة أن يكون عاملا أقدر وأنفع وأسعد . ويتمثل هذا التعاون بين الإنسان والآلة ، فيما تقدمه شركة « سويفت » المؤسسة العالمية ، من أطعمة فاخرة ، مغذية ، بأقل سعر ممكن فهذه الأطعمة الممتازة التي ذاع بها صيت « سويفت » هي نتيجة الأساليب المبتكرة لتوفير الوقت والطاقة تحت رقابة الإنسان .

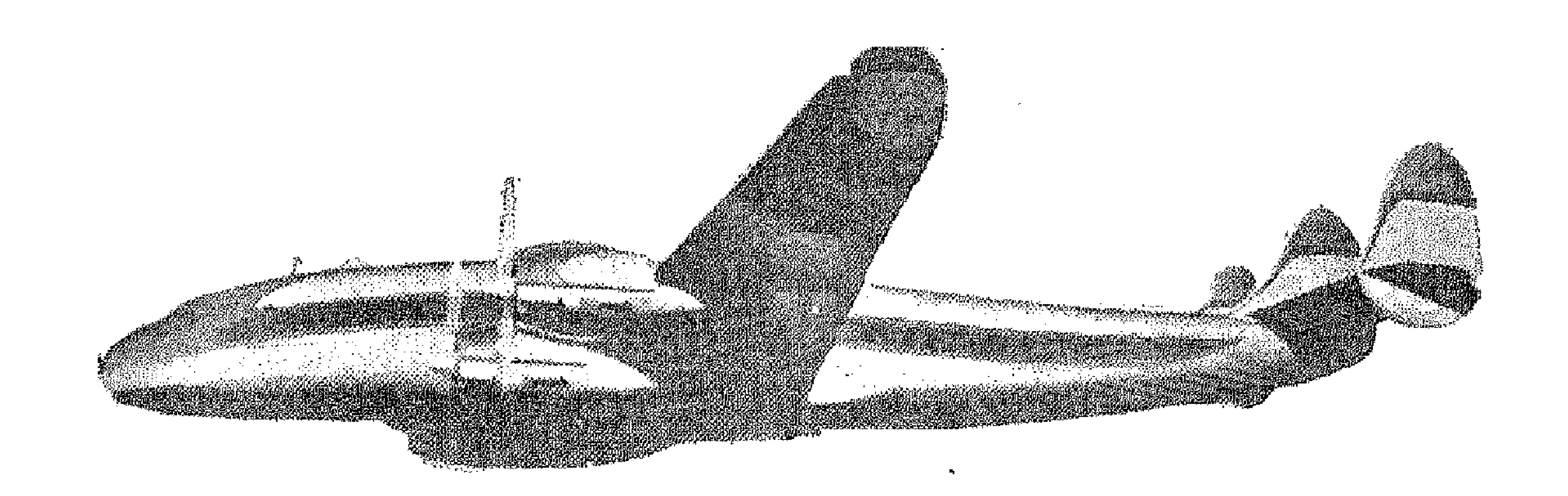
Swift

شركة "سويفت" الدولية

مصانع في الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواي توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

INTERNATIONAL SWIFT COMPANY

Av. Corrientes 389, Buenos Aires, Rep. Argentina



مستوى عالمى جديد

قام البرهان على ما نذهب إليه، وستنثنى، طائرات «لوكهيد كونستليشن» مستوى عالمياً جديداً فى النقل الجوى تحمله إلى كل بلد فى كل قارة . وإنك لتراها تعمل عملا منتظماً فى هذه الخطوط الجوية الكبرى .

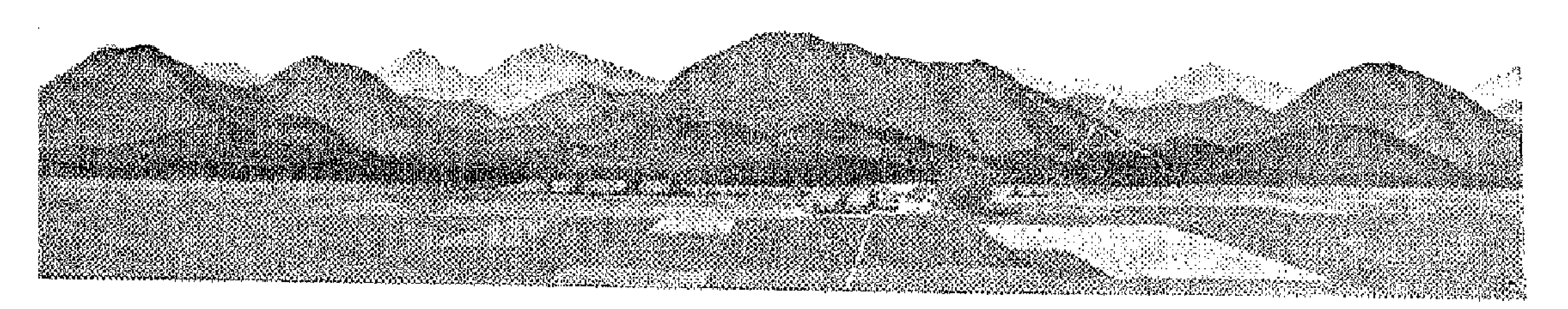
أميريكان إكسپورت
إيسترن
الحكومة الفرنسية
ك . ل . م . رويال دتش
ك . ن . ا . ل . م . رويال نذرلند إنديز
پان أميريكان
پاناجرا
ت . و . ا

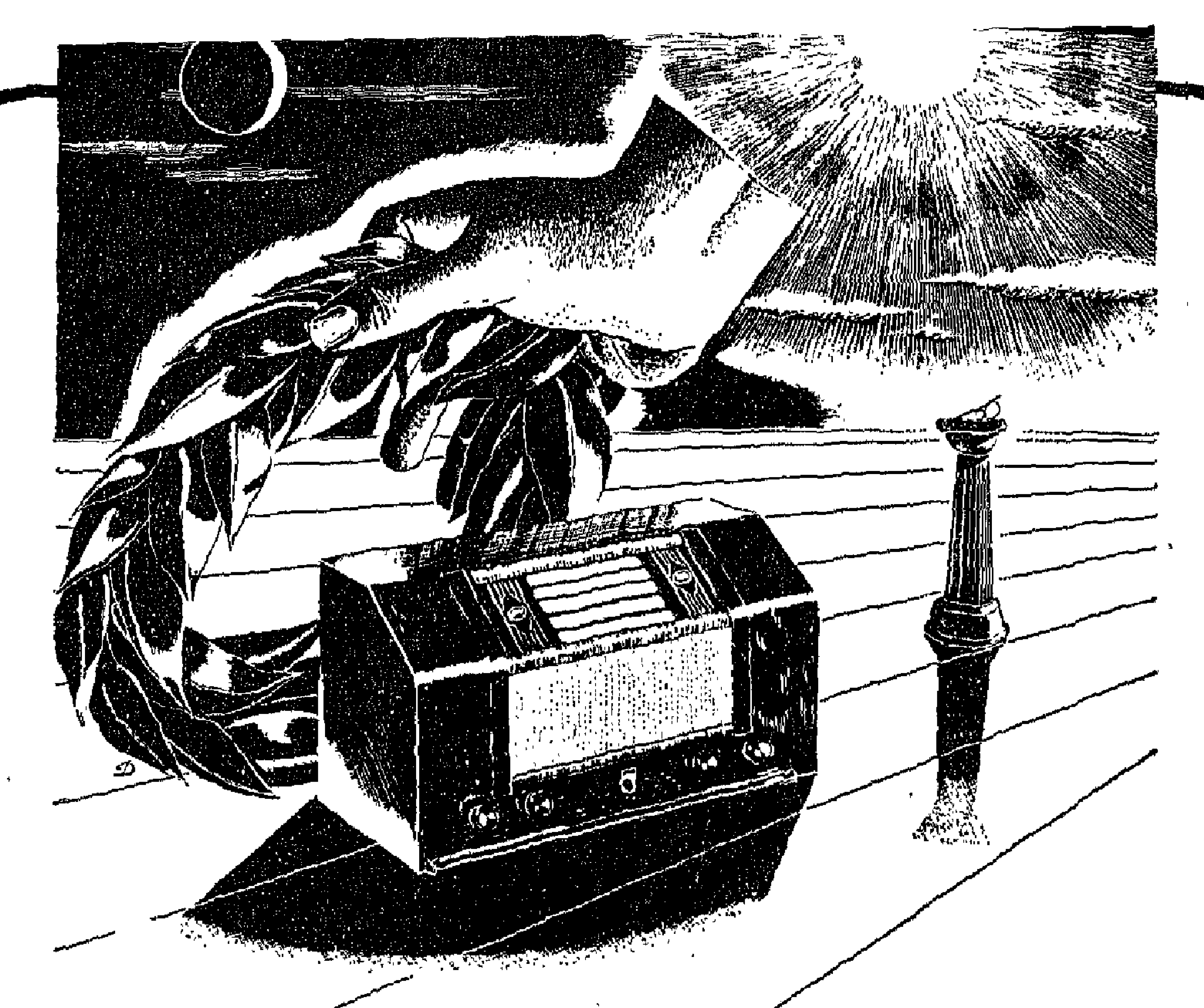
طائرة نموذجية لخطوط الطيران

لوكهيد كونستليشن

Lockheed Constellation

لوكهيد دائما فى الطليعة سباقة فى عالم الطيران





الزمن قد أثبت أن راديو فيليپس هو أحسن ما يعتمد عليه

حين تصبح أجهزة الراديو الجديدة متاحة فمن الخير، أن تذكر هذه الحقائق. إن أجهزة راديو «فيليپس» مصممة ومصنوعة خصيصاً لتلائم البلاد التى تستخدم فيها. فضلا عن أنها تضم خبرة نيف وخمسين عاما من الأبحاث والتحسين فى مضمار الكهرباء.

وهذا هو سرّ ظفر هذه الأجهزة فى أعظم تجربة: تجربة الزمن — خلال سنى الحرب يوم تعذّر الحصول على أجهزة جديدة.

وستأتيك قريباً أجهزة راديو «فيليپس» الجديدة متصفة بمزاياها القديمة، والتحسينات الرائعة التى اكتشفها «فيليپس» فى مختلف أرجاء العالم فى إنتاجه الحربى العظيم.

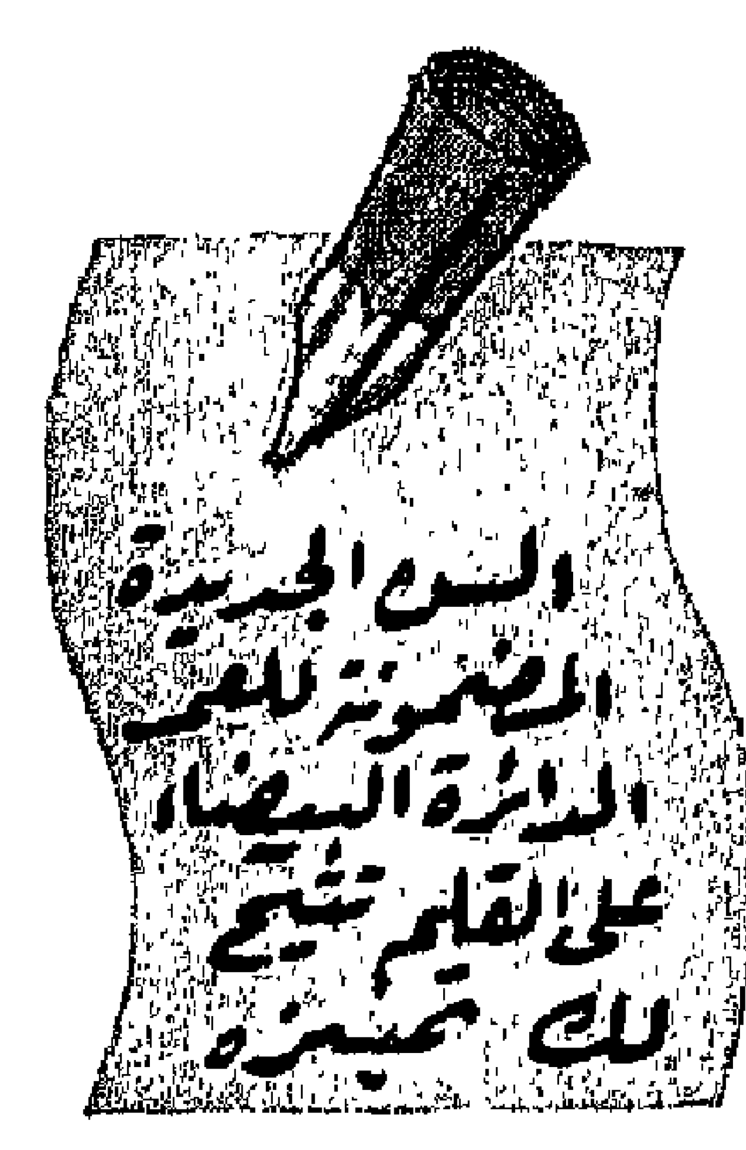
تذكر إذن أن وعود «فيليپس» قد تحققت. وكن على صلة دائمة بأقرب وكيل «فيليپس» إليك للظفر بأحسن ما فى عالم الراديو.

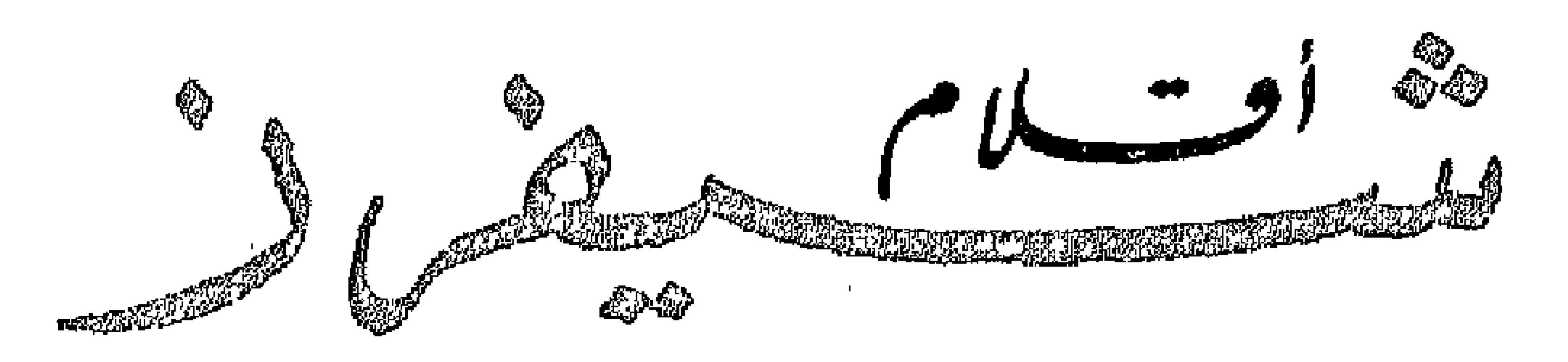
قريبا تأتى .... أحسن أجهزة

راديو PHILIPS فيليبس

هَدَايا منقطعة النظير
لأن نوعها منقطع النظير

وفى مضمار الكتابة تنطبق هذه الحقيقة على أقلام « شيفرز » ! مقارنة بسيطة تطلعك على السر ... فليس ثمة أى قلم آخر يستخدم مثل هذا المقدار من الذهب (عيار ١٤ قيراط) فى الموضع الصحيح — فى السن الاسطوانى العريض المضمون للعمر . وليس هناك قلم آخر يجعلك تشعر وأنت تكتب بأنه حقاً قلمك الذى كنت تبحث عنه — وأنه قلمك الذى ألفته منذ زمن بعيد ، حتى ولو كنت تكتب به لأول مرة ! إنه هدية ممتازة — لنفسك ولغيرك — وللبرهان فى التجربة . جرب قلم « شيفرز » ! جرب أقلام « شيفرز » جميعاً ! فستشترى « شيفرز » — وستهدى « شيفرز » — ولن ترضى عنه بديلا !





أقلام الحبر الجديدة "تريومف"

أقلام الرصاص الجديدة "فاينلاين"



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العـــالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرق مستحضرات الزينة للرجال . وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط.

ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمـــة دون أن يتهيج الجلد .

أكوا فلفا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعـــد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سنة



تقطع أميالا أكثر ... وتهيء أقصى حدّ من الأمان ، وتتيح أعظم قسط من الاقتصاد ، ولذلك ظفرت إطارات «جوديير» بتفضيل منقطع النظير من جميع راكبي السيارات فى جميع أنحاء العالم .

وقد بلغ من استمرار هذه الإطارات العظيمة على هـذا الأداء الممتاز حتى لتجد العبارة التالية تنطبق عليها حقاً وصدقاً منذ ثلاثين عاما .

إطارات « جوديير » تنقل فى العالم كله من الناس ومن البضائع أكثر مما ينقل أى نوع آخر من الإطارات

ولا يمكن أن نجد فى تاريخ النقل ما يشهد لإطار ما بتفوق الأداء ، مثل هـذه الشهرة منقطعة النظير التى ظفر بها « جوديير » .

على أنك تستطيع أن تثق أن خبرة « جوديير » الواسعة ـ تلك الخبرة التى اكتسبها فى أيام السلم ودعمتها تجارب الحرب ـ ستحمل فى المستقبل إلى جميع شعوب العالم إطارات أعظم إتقاناً وتفوقاً من كل ما سبقها .

إطارات مطاط

GOODYEAR TIRES

GILLETTE BLADE
MADE IN ENGLAND

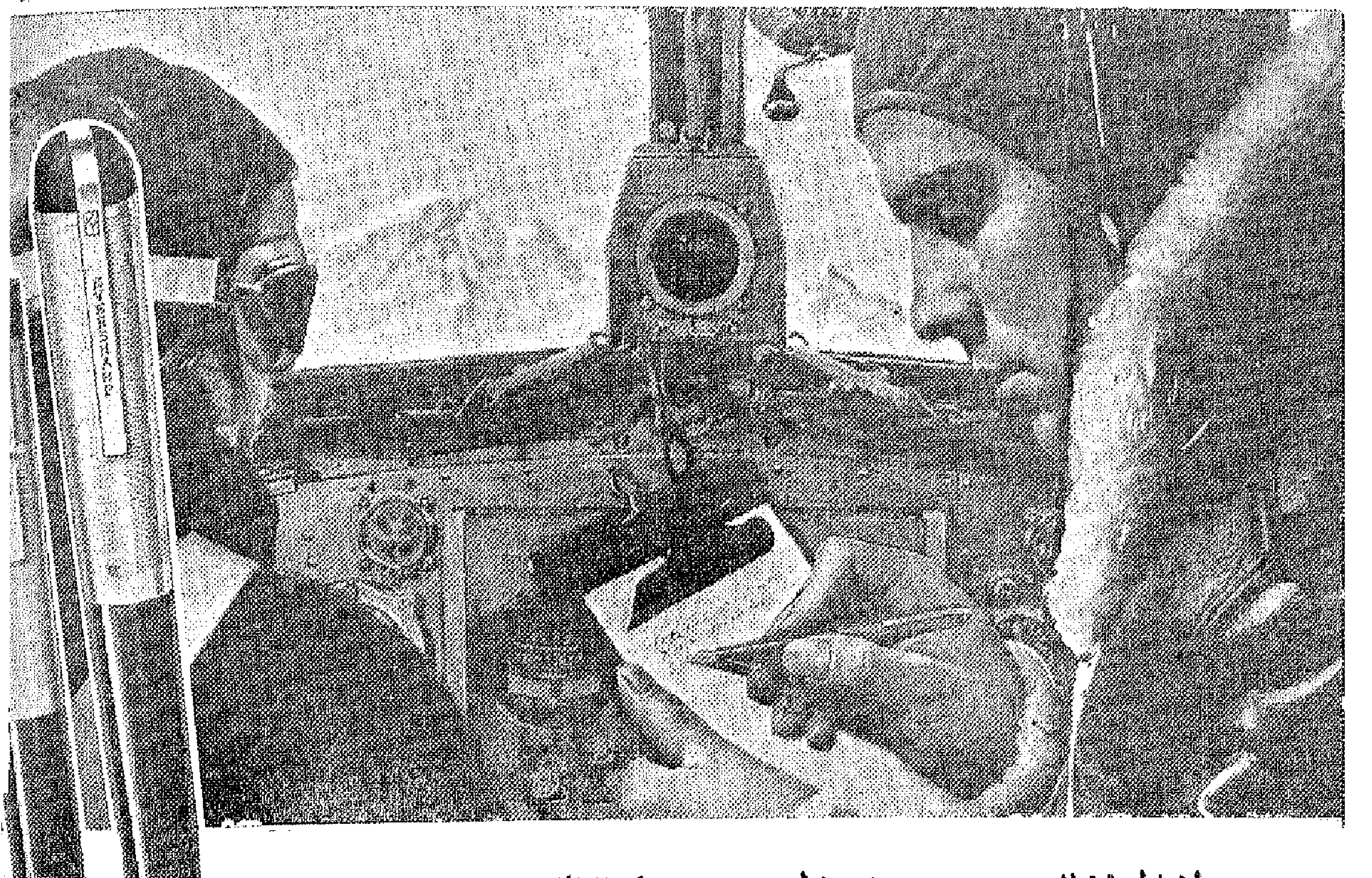
شفرات جيليت

الشفرة الجيدة هى التى تعطى حلاقة سريعة ناعمة . وهذه المميزات تتحقق فى شفرات جيليت . لذلك يفضلها ملايين الرجال فى انحاء العالم . وحيث ان انتاجها لا يزال محدوداً فاعتن بها .

١٢ شفرة جيليت "استندرد" بـ ١١



حيث تنضح الأقلام العادية
ترى إيڤرشارب هذا مستمراً فى كتابته !



إن الخزان السحرى يمنع رشح الحبر وتسربه فى الطائرة المحلقة فى الجو — وعلى الأرض أيضاً بالطبع !

فى الطبقات العالية تنضح الأقلام العادية وينتثر حبرها حتى ليخيل للمرء أنها « انفجرت » . أما قلم «إيڤرشارپ» المزود بخزان سحرى لمنع تسرب الحبر ورشحه ، فيستمر فى الكتابة على أحسن وجه . وكما يكتب « إيڤر شارپ » فى الطائرة كذلك يكتب على اليابسة . . . بطلاقة ويسر . . . حتى آخر نقطة من الحبر . . . كما أنه يكتب عدداً أكبر من الكلمات بين تعبئة وتعبئة !

أما ريشته السحرية الجديدة فقد بلغت من النعومة حداً يجعلك تعجز عن سماع صريرها وهى تكتب .

وهناك قرينه قلم الرصاص «إيڤرشارپ» ، وزن الريشة ، فيمتاز بزره السحرى ذى الطلقات . ويكفى ضغط بسيط على زره ليظهر الرصاص تماماً على طريقة المدفع الرشاش !

EVERSHARP, INC., CHICAGO, U.S.A.

وعلاوة على كل ذلك فإن خدمة القلمين مضمونة ، لا عدداً معيناً من السنين ، ولا مدى الحياة وحسب بل هو ضمان الأبد !

غطاء ذهبى - قصبة من المجائر فى مختلف الألوان الممتازة

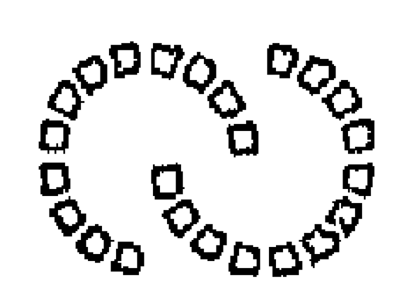
قدم إيڤرشارب ... تكون قدمت أبدع هدية

الألفاظ المطبوعة ، فإن كان مُهوِّماً ، كان كلٌّ متاعه حلماً يزين له أنهُ يضمها بين ذراعيه ، وهى تفرُّ منهُ كالغزال الشارد .

والحضارة الحديثة ، كما رأيت مجالىها فى شتى أمم الأرض ، ترهقُ من يريد أن يجنى من القراءة أعظم نفع . فالناس يلقون نظرات عابرة على عنوانات الصحف ، ويرون على الشاشة أشباحاً تتوالى توالياً سريعاً . وما يذاع من الأنباء والموسيقى يدخل من أذن ويخرج من الأخرى . فحين يقبلون على القراءة ، يندر أن يكون منهم من يندمج مع المؤلف أو الكاتب فى رحلة الفكر والخيال .

ففى هذا السيل المتدفق من الحبر الذى تسكبه أقلام الكتاب ، يحتاج الناس إلى حذف مالا خطر لهُ وما لا جدوى فيه من كلّ ما يكتب وينشر ، حتى يحصر الذهن فى الموضوعات التى تنفع الناس .

وقد تبينت أن مجلة ريدرز دايجست — وما تنشرهُ من طبعات فى شتى أقطار الأرض — إنما هى مدرسة تعلم القارىء أن يفكر ويتأمل وهو يقرأ فهى تهيب بقرائها أن يحطموا أغلالَ عادة بغيضة هى « قراءة التهويم » ، فإذا فعلوا كان جزاؤهم أن يدركوا كلتا الحسنيين : نشوةً تسمو بالعقل ، وخيراً ينفع فى الحياة .



استيقظ واستمتع بالقراءة

بوب ديفس
المؤلف المشهور والرحالة العالمي

لم يشهد عصر من عصور التاريخ الغابرة ما يشهدهُ هذا العصر من تدفق الكتب والمجلات والصحف والرسائل ، من مطابع العالم . وقد أخذ مدُّ الأميّة الطاغي ينحسر رويداً رويداً وعدد القادرين على القراءة يزداد ازدياداً مطرّداً حثيثاً ، ومع ذلك ، يلوح لى أن معظم الذين يكبون على القراءة ، لا يحسنون القراءة . فهم قلما يذكرون ما يقرأون ، ويندر بينهم من يفكر ويتأمل فيما يقرأ ، فلا يجنون من القراءة نفعاً دائماً .

والقراءة ، فى نظر فريق كبير من الناس هى الإكباب على تصفح كتاب ، دون الاستمتاع بذخيرته من فكر أو جمال . وليس ثمة ريب فى أن التصفح وحسب ، دون التأمل والروّية والمتعة ، هو أشبه مايكون بالذهاب فى نزهةٍ فى صحراء أو جبل أو روض ، دون أن تستمتع بمجالى جمالها . فالذين يقرأون ولا همّ لهم إلا أن يقتلوا الوقت ، لا يجنون شيئاً نافعاً من صفحات تتوالى على أعينهم ، وهم فى حالة أدنى إلى التهويم منها إلى اليقظة ، فبئس ما يفعلون . فلا بدّ ، لكل من يريد أن يحسن القراءة النافعة من أن يستيقظ لكى يستمتع وينتفع ، ولا بدّ لهُ من أن تكون حواسهُ جميعاً متنبهة ، لكى يلتقط الصورة العابرة التى تمثلها

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية